
كتاب الهلال
قيثارة مصر
صالح جودت
محمد رضوان

فبراير 2014 • الثمن 6 جنيهات

الهلال

الثقافة
غياب وتغييب وتواطؤ

- ناصر وعكاشة .. حاكم مستنير ووزير مبدع
- فاروق حسني: أنا وزير الحرام
- د. صابر عرب: مؤسسات الوزارة جزر معزولة
- المنصورة .. عاصمة الإبداع وقلعة التطرف

سلسلة شهرية تصدر عن مؤسسة دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة
غالى محمد

رئيس التحرير
محمد الشافعى



مدير التحرير
أحمد شامخ

المستشار الفنى
محمود الشيخ

مستشار التحرير
محمد رضوان

تصميم الغلاف: محمود الشيخ

الإدارة
القاهرة: ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا) ٢٣٦٢٥٤٥٠٠ (٧ خطوط)، المكاتبات: ص.ب: ٦١ العتبة - القاهرة. الرقم البريدي ١١٥١١ - تلغرافيا: المصور - القاهرة ج.م.ع.
تلكس: Telex 92703 hilal u n
فاكس: FAX: 3625469

ثمن النسخة

سوريا ١٢٥ ليرة - لبنان ٨٠٠٠ ليرة - السعودية ١٢ ريالا - البحرين ١.٢ دينار - قطر ١٢ ريالا - الإمارات ١٢ درهما - اليمن ٤٠٠ ريال - فلسطين ٣ دولار.

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ٩٦.٠٠جم داخل جمهورية مصر العربية تسدد مقدماً نقداً أو بحوالة بريدية غير حكومية - البلاد العربية ٤٠ دولاراً - أوربا وأسيا وأفريقيا ٤٥ دولاراً - أمريكا وكندا والهند ٥٠ دولاراً - باقى دول العالم ٧٥ دولاراً
القيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ويرسل لإدارة الاشتراكات بخطاب مسجل كما يرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد

الإصدار الأول/ يونيو ١٩٥٦

البريد الإلكترونى: helalmag@yahoo.com

لوحة الغلاف للفنان : جمال قطب

رقم الإيداع
٢٠١٤/٣٠١٣

قيثارة مصر

صالح جودت





ياجنتى يا كوثرى ياهبة النيل الثرى
يابهجة نائمة على بساط أخضر
يا شعلة دائمة على طريق الأعصر
حبيبتى، قاهرتى لن تغلبى، لن تقهرى
أفديك، يا حبيبتى من شر كل معتدى

صالح جودت

مقدمة :
ذكريات عن قيثارة مصر

كان اسم صالح جودت يتردد كثيرا في الإذاعة من خلال أغنياته العاطفية والوطنية التي يتغنى بها كبار مطربينا وكانت مقالاته وقصائده الرقيقة التي ينشرها على صفحات الصحف والمجلات في ستينيات القرن العشرين تشدني وتهزني ... وكنت في بلدتي أتابع هذا الاسم بكل إعجاب وتقدير وكان من الشخصيات التي تمنيت الالتقاء بها .

ولما اتجهت إلى القاهرة في نهاية عام ١٩٦٦ والتحقت بكلية دار العلوم بحي المنيرة كانت الكلية بالقرب من مؤسسة دار الهلال ، التي يعمل بها الشاعر الكبير .

ولكن تهيبي الريفي ، وخجلي الفطري منعاني من الذهاب إليه لمقابلته ، حتى أنجزت كتابي عن زكي مبارك ، فشجعني قليلا ، وحملت أصول الكتاب وطفت به على بعض الأدباء والصحفيين لأستطلع رأيهم فيما كتبت ، فوجدت أكثرهم لم يهتم بالكتاب كما كنت أتخيل وكنت أظن أن الدنيا كلها ستهتز لكتابي الأول .

وذات يوم من شهر مارس عام ١٩٦٨ اتجهت إلى دار الهلال وانتظرت في السكرتارية أطلب اللقاء بالشاعر صالح جودت الذي كان يعمل يومئذ كاتبا بمجلة المصور ، ولم يمض

عليّ خمس دقائق مرت عليّ كأنها خمسة قرون ، حتى أذن لى السكرتيـر بالدخـول ... ودخلت على صـالح جـودت واستقبلنى ببشاشته المعهودة ، ووقف بقامته الفارعة يرحب بى ليزيل عنى الرهبة والخوف ، وجلست معه بضع دقائق ثم تركت عنده أصول كتابى عن زكى مبارك وكان عنوانه «عبقرية زكي مبارك» وخرجت من عنده وأنا أشعر براحة نفسية كبيرة بعد أن وجدت ترحيبا طيبا من هذا الشاعر الكبير .... وفى أحد أعداد مجلة حواء التي صدرت في شهر أبريل ١٩٦٨ وجدت مقالا لصالح جودت بعنوان «بين ليلي العراق وليلى سنتريس» احتل صفحة كاملة تحدث فيه عن كتابى بكل الثناء والحب والتشجيع وأصبحت أثناء دراستى الجامعية أتردد عليه كثيرا بمكتبه بمجلة المصور وكان يهديني مايصدر له من كتب أدبية أو دواوين شعره ، وبدأت أكتب عنه دراسة أدبية بعنوان «شاعر ليالي الهرم» واستوحيت العنوان من ديوانه الرقيق «ليالى الهرم» ، وهي قصيدته التي تجمع بين الوطنية والعاطفية ورجعت إلى الكثير من المصادر والمراجع في كتابة هذه الدراسة حتى أننى توصلت لبعض كتاباته التي كان قد نسيها تماما

وكنت أثناء العطلة الدراسية التي تستمر عادة ثلاثة أشهر فى الصيف أراسله من بلدتي الجمسالية ، وكان يرد على

خطاباتي ببعض كلماته الرقيقة ، ومن أجمل ما أعتز به من رسائل ، رسالته المؤرخة في ٦ يناير ١٩٧٠ والتي قال لي فيها

«أخي الصغير الحبيب محمد محمود رضوان

«إذ أحييك ، فإنما أحيي فيك ، قبل الأديب ، الإنسان ، الذي لايتجاوب إلا مع كل مثال عال وأسوة كريمة . وهذا هو مايبشرني بك ، في مستقبلك ، كأديب طاهر لاتستطيع انحرافات التيارات الوافدة أن تجرفه أو تؤثر فيه . إني أهنئ نفسي بك ، ولك تحية من القلب»

ومضت الأيام وأنا أزداد تقديرا لهذا الشاعر الإنسان الرقيق الذي يقف موقفا صلبا لايلين من التيارات الماركسية والمذاهب الهدامة التي كانت طاغية في تلك الحقبة

وأعود إلى قصة كتابي زكي مبارك مرة أخرى .

زرت صالح جودت مرة ثانية لأشكره على ماكتبه عني وأتسلم منه أصول الكتاب ، وفوجئت بمقدمة ضافية رائعة خطها قلم شاعرنا الكبير لهذا الكتاب ، ولم تسعني الدنيا كلها

وحملت الكتاب بمقدمته إلى الهيئة المصرية العامة للكتاب التابعة لوزارة الثقافة لينشر بها ، وكان يسيطر عليها يومئذ بعض اليساريين وأصحاب الاتجاهات الماركسية ، فرفضوا

الكتاب بعد أن علموا أن مقدمته كتبها صالح جودت عدوهم اللدود الذي كان يخوض معهم معارك نارية حامية ، وعلم صالح جودت بالقصة فكتب في مجلة الكواكب في شهر مايو ١٩٦٨ مقالا عنيفا بعنوان «مأساة شاعر سنتريس» روى فيه مأساة كتابي المرفوض ، ومأساة ديوان أحمد فتحي الذي جمعه وقدمه للنشر في نفس الهيئة ولكنه رفض بحجة أنه «تحت المستوى المطلوب» !

ثم تمر الأيام وأحصل على ليسانس كلية دار العلوم عام ١٩٧١، وفي عام ١٩٧٢ تقدمت للعمل بدار الهلال، بعد أن رفضت العمل بالتدريس ، وأمر يوسف السباعي ، رحمه الله وكان رئيسا لمجلس إدارة دار الهلال ورئيسا لتحرير مجلة المصور يومئذ ، بأن أبدأ التدريب على الفور وكان ذلك حوالي شهر فبراير ١٩٧٢ تقريباً وبدأت التدريب بمجلة المصور ثم بمجلة الهلال . حتى عينت بها في مارس ١٩٧٣ ، محررا أدبيا .

ثم تمضي الأيام ويطلب مني صالح جودت أن أكتب مقالا أدبيا عن زكي مبارك في العدد الخاص الذي صدر من مجلة الهلال عن «أدباء العاطفة» في عدد يونيه ١٩٧٣ ، وكان مقالي الأول بالهلال عن «مأساة زكي مبارك أمير العشاق»

ثم نشر صالح جودت كتابي الذي رفضه خصومه من قبل

وصدر بعنوان «صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك» عن سلسلة كتاب الهلال في أكتوبر ١٩٧٤ ، وأحدث صدوره صدى طيبا في الأوساط الأدبية ، وتمضي الأيام وتزداد ثقة صالح جودت بي ، وأزداد تقديرا ووفاء له من خلال عملي معه بمجلة الهلال ، حيث تولى رئاسة تحريرها في مايو ١٩٧١ وكان رئيس مجلس الإدارة يومئذ الأديب يوسف السباعي

ثم بدأت أنشر في الهلال مقالات أدبية بين الحين والآخر ، برغم بعض العقبات من الحاقدين الذين حاولوا إفساد العلاقة بيني وبينه من العاملين بالمجلة مما لايتسع له المجال هنا

وفي شهر أكتوبر عام ١٩٧٥ جاء من يتعاقد معي للعمل كرئيس تحرير لمجلة السراج التي تعد لها العدة لتصدر بسلطنة عُمان كأول مجلة أدبية بها، وقدمت لصالح جودت طلبا بإجازة لمدة سنة بدون مرتب ، وحاول أن يقنعني بعدم الموافقة ، وأحسست أنه بشعور الأب الحاني يريدني أن أظل بالهلال بجانبه، ولكن إزاء إصراري وشرحي ظروف تمسكي بالسفر في تلك الحقبة ، لم يملك إلا الموافقة

وفي تلك الفترة داهمه المرض بصورة عنيفة ... وكان يداهمه بين الحين والآخر بصورة نوبات نزيف حادة وكان أكبرها أثناء زيارة له بالجزائر في مطلع ١٩٧٦ ، وفي شهر فبراير ١٩٧٦ صدر كتابي الثاني «مأساة شاعر البؤس

عبدالحميد الديب» في سلسلة «كتاب الهلال» وهو بمستشفى المعادى ، وزرته هناك وكانت السيدة زوجته تضع نظاما صارما للزيارة حيث كانت تمنع معظم الزيارات حفاظا على صحته ، ولكنى استطعت التسلل إليه فى حجرته الخاصة واستقبلني كعادته بكل ترحاب ومودة ووجدته يراجع أصول ديوانه «الله والنيل والحب» آخر دواوينه التى صدرت له .

ثم ساءت حالته الصحية بعد ذلك وسافر إلى لندن للعلاج عاد منها فى شهر يناير ١٩٧٦ ، ثم تحدد سفرى إلى سلطنة عُمان فى التاسع من فبراير ١٩٧٦ ، ومررت عليه بمنزله بشارع صفية زغلول بحى المنيرة بالقاهرة وذهلت عندما رأيته ... وجدته شبحا ... وجلست معه بعض الوقت وأنا أعرف حقيقة مرضه العضال وصافحته بحرارة ثم عانقته، وكانت هذه أول مرة وآخر مرة أعانقه فيها وسافرت بعدها إلى عُمان ... وهناك علمت بنبأ رحيله الحزين فى ٢٣ يونيه ١٩٧٦ وبكيت من أعماقى عليه .

نسيت أن أقول إننى قبل سفرى وأثناء مرض صالح جودت عكفت على إنجاز كتابى «صالح جودت شاعر النيل والنخيل»، فى غمرة انفعالاتى الحزينة عليه وقدمته للصديق السفير الشاعر أحمد عبدالمجيد ، فلم يملك الرجل إلا أن

يكتب له مقدمة عاطفية حارة مفعمة بكل مشاعر حزنه وأساه وهو يعلم بمأساة مرض الشاعر الرقيق وأعطاني الكتاب والمقدمة وهو يقول لي

«لقد كتبتها بكل انفعالاتي الحزينة وبكل مشاعري الصادقة» . ولقد صدر هذا الكتاب في أغسطس ۱۹۷۷ بعد وفاة الشاعر الكبير

★★★

واليوم إذ أقدم هذا الكتاب الجديد عن صالح جودت وفاء وعرفانا وتقديرا لدوره الكبير في الشعر العربي المعاصر ، فلأن صالح جودت سيبقى علما شامخا من أعلام الشعر العربي المعاصر ، وأحد أبرز شعراء جماعة «أبوللو» الذين تركوا بصمات واضحة في مسيرة شعرنا العربي المعاصر سيبقى صالح جودت بشعره الوجداني العاطفي والقومي والوطني ، وسيبقى بفكره الأصيل ودراساته الأدبية الرصينة، وأغنياته التي شدا بها كبار المطربين والمطربات وكان أحد رواد تطورها ورقيها

لكل ذلك وغيره من فكره ومواقفه الصلبة سيبقى صالح جودت علامة مضيئة مشرفة في تاريخ أدبنا العربي .

رغم أنف الحاقدين الذين يحاولون اسدال ستائر النسيان على اسمه وتراثه الأدبي الخالد !!

محمد رضوان

القاهرة يناير ۲۰۱٤

ذكريات عن شاعر الحب

بقلم: أحمد عبدالمجيد (*)

عرفت صالح جودت فيما قبل ثلاثينيات القرن العشرين ، ثم نأيت عن القاهرة بحكم عملي في السلك الدبلوماسي سنوات طوال بلغت الثلاثين ، ثم عدت لألقاه على بساط من الود ممدود ، وشعر نضج وعلا وسما وأضرب وأشجا وكنت منذ أن عرفته ، أتطلع إلى غد مشرق باهر يسطع على هذا الشاعر الذى يهرتنى اشعاعاته الشعرية الأولى فى حياته الباكرة ، كما شدتني إليه قصيدة ناجى فيها ممرضته وهو على فراش المرض وهو في العشرينات من عمره ، أودع فيها مشاعر حية راضية ، وأسى دفينا يحجبه عن الناس

واشتركنا معا كل في طريقه وعلى طريقته ، وإن كنت قد سبقته إلى ذلك بسنوات - في العمل الجاد للأخذ بيد الأغنية العربية مما ران عليها من إسفاف وأحاط بها من ابتذال في

(*) كتب السفير الشاعر أحمد عبدالمجيد (١٩٠٥-١٩٨٠) هذه المقدمة أثناء المرض العضال الذى أصاب الشاعر الراحل صالح جودت في نهاية عام ١٩٧٥ اضطره للعلاج في لندن حتى قضى عليه المرض في يونيو ١٩٧٦ ، وقد كتب السفير أحمد عبدالمجيد هذه المقدمة بعد تلقيه نبأ المرض العضال الذى أصاب صديقه الحبيب صالح جودت، فجاءت هذه الكلمات بمثابة دموع الوداع.

عشرينيات القرن العشرين .

وما رأيته يوما مكتئباً ... بل إنه ليبوء بالفشل من يحاول أن يجده متلبسا باكتئاب أو أسى .

وقد يكون داخله يغلى ويمور من شجن دفين يخفيه بين أضالعه شأن الرومانسيين

إنه النسمة التى تروح وتغدو بين الغصون لتحرك الأوراق وتنعش المحرور وتهدهد التاعس الحزين، وهو فى ذلك أعدل من النسمة التى لاتفضل غصنا على غصن أو تؤثر ورقة على ورقة !

وأشهد أنى ماسمعت لسانه يند عن لفظ يسىء لإنسان كائنا ما كان ، إلا أن يكون دفاعا عن بلده وحق بلده وسياسة بلده

بل لقد كانت كلماته كلها محبة وحب حتى غدت كلمة «يا حبيبى» من لوازمه فى الحديث ، وكم كان يلذ لى أن أنصت إليه وأنا فى مكتبه أنجز عملا لى بدار الهلال وهو يردد نشيد الحب ، وأنشودة المحبة ، عندما يرد على تليفون صديق وصاحب عمل يسأل عن عمله بالدار، وما أظن أنى أجد له بين من عرفت قرينا فى عمل الخير وحب الخير والسعى فى سبيل الخير ، على شاكلته أو قريبا مما هو عليه

لقد لمست فى خلقه كل مايجذب القلب للقلب ، والعقل للعقل ، والفن للفن ، فعاش سامياً فى حبه وفى فكره وفى

شعره الفريد .

وإنك لتلمس في شعره موسيقا شوقي ، ونزعة خليل مطران للتجديد والابتكار ، وثورة حافظ إبراهيم في وطنياته ، وعلو نبضه في كل أمر قومي يدفع به إلى حومة الثائر المهتاج.

★★★

لقد تركت الحديث عن شعره للمؤلف الأديب الصحفي محمد رضوان، الذي عرف وزامل وتتلمذ على يد الأستاذ الكبير وشاعرنا الأصيل في دار الهلال ، وهو جدير بأن يفي في هذا الباب حق الشاعر النابغ ، الذي يتسع فيه مجال القول والدراسة كل متسع

وماضي محمد رضوان في كتابة التراجم ، يضيء له الطريق ، منذ أن اتبع المنهج النفسي في الترجمة لشخصيات تراجمه ، حتى أجاد وأوفى على الغاية في هذا الباب من الأدب الحديث

وماذا أقول وماذا أدع ، وماذا يقول غيري وماذا يدع ، في شاعر ملأ شعره كل سماوات البلاد العربية ، وملأ نظمه كل دروب المشاعر الحارة والعواطف المتأججة ، هياما بوطنه مصر وبوطنه العربي ، وحفاظا على حقه ورفعته ، ودفاعا عنه إن ناله من دخيل أذى ، أو رماه بقذى من كذب أو بهتان

والحب في عرفه هواء وماء وشمس وغذاء

إنه يهتم بالحب قبل الحبيب ، فهو عاشق الحب ، وسادن الحب ، وراهب الحب ، ومنشد الحب على قيثارة الحب ، حتى أسلم الحب له قياده ، وأفرغ في قلبه المحبة ، وفي روحه العشق ، وسكب في عروقه محبة الله والأهل والوطن !

إن كل من استمتع بالاستماع إلى صالح جودت وهو ينشد شعره ويرتفع معه إلى ذروة غنائه لقصيدة ، إنما هو سعيد الحظ ، حسن النصيب .

ولقد سبق أن ذكرت لك أن الله أسبغ عليه نعمة تلك الشرارة المقدسة، التي تمد من يمتلكها بكل القدرات غير المتاحة للغير

***

وصالح جودت في كلمة هو صاحب مدرسة ، وصاحب أسلوب ، وصاحب قاموس شعري ، تفرد بكل هذا من رقة الجرس في كل ماينظم أو ينطق أو يهمس في شعره أو غنائه الذي اكتسى غلالة من وهج الشمس وضياء القمر

إنه ظاهرة لا تتكرر ، ومزيج صاغه الله من عبقرية وذكاء ووفاء

أحمد عبدالمجيد

القاهرة يناير ١٩٧٦

الفصل الأول :

حياته وثقافته

أنا قلب محير ، دائم الخفق

قليل الرضا كثير الوثوب

كل ثقب به، حكاية حب

بدموعي وحرقتي مكتوب

ابتدأت الهوى صبيا وأفنيت

شبابي في سجنه المحبوب

إن فى أضلعي بقية قلب

كان فى حبه شهيد القلوب !

صالح جودت

بين الأدب والسياسة

كان ذلك على الشاطىء الآخر من البحر المتوسط في تركيا ..... كان مؤسس الأسرة وعميدها سياسيا محنكا وأديبا لامعا يجيد الكتابة بأكثر من لغة

كان هذا الرجل هو جودت باشا ....

وكما يقول عنه معجم «المنجد» (١)

«جودت باشا (١٨١٣ - ١٨٩٤) ولد في لوفجة من ولاية الطونة وزير عثماني ألف بالعربية والتركية والفارسية

من كتبه «تاريخ جودت» ترجمه عن التركية عبدالقادر الدنا وفيه أحوال الدولة العثمانية ولاسيما أخبار الانكشارية».

وقد تزوج جودت باشا وأنجب فيمن أنجب من أولاد «إسماعيل جودت» وشب إسماعيل وروحه تشتعل وطنية وغيرة على الوطن والدين .

★★★

كان إسماعيل جودت أحد أحرار الترك الثوار ... وكان خطيبا مفوها وأديبا لامعا ووطنيا ثائرا وشاعرا رقيقا ينظم الشعر بالتركية والفارسية وقد لعب دورا بارزا مؤثرا في

---

(١) المنجد / الأعلام / بيروت / ص : ١٤٤

مقاومة السلطات الحاكمة في بلاده فاضطهد ولاحقته السلطات بشتى ضروب الاضطهاد والتشريد والعنت ، وكانت مصر وستظل ملجأ للأحرار في كل مكان وزمان ، فشد رحاله إليها واستقر بها واتخذها وطنا له وبرغم أرومته التركية إلا أنه أحب مصر وشارك في أحداثها وانفعل بقضيتها وتحمس لها

وعمل بالمحاماة

والظاهرة اللافتة للنظر أن جل شعرائنا الذين كانوا من أصل تركي كالهمشري وشوقي وصالح جودت كانوا من أصدق الشعراء وطنية وتغنيا بحب مصر والمناداة بحريتها واستقلالها ، وفي تلك الحقبة كان متزوجا من سيدة تركية

وعندما شبت الثورة العرابية (١٨٨٠ - ١٨٨٢) انفعل بها وشارك في أحداثها ولعب دورا بارزا وفعالا في مقاومة الخديوي والانجليز ، فقد ساءه ما وجده من الأحوال السيئة التي تثير الأسى ، والمظالم التي ترتكب

ولكن القوى الاستعمارية والرجعية تألبت على تلك الثورة القومية الوطنية فشاء الله أن تخذل وقبض على الثوار الأحرار وسيق إسماعيل جودت إلي المحاكمة ثم قضي عليه بالنفى إلي «النيل الأبيض» بالسودان لمدة ثلاث سنوات (١)

---

(١) عبدالرحمن الرافعي / الثورة العرابية / ص ٤٩١

ولكن السلطات آثرت ابعاده إلى تركيا ليكون تحت العيون والأرصاد خشية أن يثير ثائرة الناس في السودان على الانجليز والخديوي ، فنفي إلى اسطنبول .

وفي اسطنبول ولد ابنه كمال الدين جودت عام ١٨٨٢

وفي حوالي عام ١٨٩٦ عاد إسماعيل جودت إلى مصر مرة أخرى بصحبة ابنه كمال الدين الذي لم يكن يتجاوز الرابعة عشرة من عمره ، ورأى أباه وهو يتحمل صابرا التشريد والعذاب في سبيل الوطن والحرية ، فشب على كره للاستعمار منذ نعومة أظفاره

واستأنف إسماعيل جودت اشتغاله بالمحاماة

وورث كمال الدين جودت عن أبيه حب القراءة والاطلاع ، فقرأ من مكتبة أبيه أمهات كتب الأدب العربي القديم مثل مقامات الحريري والأغاني والأمالي وغيرها من شوامخ كتب التراث ، كما قرأ دواوين الشعراء الفحول من أمثال المتنبي وأبي تمام والبحتري وعمل كمال الدين مهندسا زراعيا ، فكان لايكاد يستقر في بلد واحد بحكم ظروف عمله . وفي عام ١٩٠٦ تزوج كمال الدين من سيدة من أسرة ذات علم ودين كان والدها الشيخ عبدالرحمن من أصل تركي ووالدتها من أصل مغربي كانت سيدة مؤمنة تقية صافية القلب هادئة

الطبع

وكان كمال الدين عذب الروح حلو الفكاهة يعشق الفن والأدب والجمال ويكتب شعرا رقيقا في الحب والغزل وقد نظم «جغرافية مصر» بالزجل وصدر في كتاب

ومن شعره قصيدة يصف فيها راقصة بالية رائعة أثارت إعجابه ، فرسم هذه اللوحة الشعرية الجميلة المعبرة عن الراقصات عام ١٩١٢م بعنوان «وصف بال» يقول فيها

راقصـــات عاريات　　في ضـــيـاء الكهرباء
ناظـــرات قاتـــلات　　لنفـــوس الأبـــريـاء
مائســـات بقـــدود　　كغصـــون في هـــواء
قـادمـــات كنســـيم　　طائرات في الفضـــاء
راجعـــات كنجـــوم　　تائهـــات في الجـــواء
عائـــلات دون ســـكر　　لأمـــــســـــام وراء
ســـالبات لاعبـــات　　بعقـــول العقـــلاء
ليس هذا الخلق شأن　　الخلق من طين ومـــاء
إنمـــا هذا مصـــاغ　　من لجـــين وصـــفاء

وكان كمال الدين يملك الكثير من الضياع والثروة ، ولكنه كان شاعرا أراد أن يمتع نفسه ، فبدد أكثرها قبل وفاته .....

طفولة شاعر

كان كمال الدين جودت - كما قلت - كثير التنقل والترحال من محافظة لأخرى بحكم وظيفته كمهندس

زراعي .....

وفي مدينة الزقازيق بمحافظة الشرقية كان مولد شاعرنا في ١٢ ديسمبر ١٩٠٨

وكان والده يعاني سكرات الموت بالمستشفى وأرادت والدته أن تسميه «عبدالرحمن» تيمنا باسم أبيها ، فكان لها ما أرادت ..

وفي اليوم السابع من مولد شاعرنا صنع الأطباء معجزة أنقذت الأب من الموت بأعجوبة، وأراد الله أن يمد في عمره...

وخرج الأب من المستشفى ليثير معركة كبيرة حول الطفل الصغير الذي اسمه عبدالرحمن والذي يجب أن يكون اسمه صالح تيمنا باسم شقيق له كان لامعا في دولة الأدب والقانون يومئذ وهو المرحوم المستشار صالح بك جودت (١) (١٨٧٨-١٩٦٨) والد الإذاعية ثريا جودت وكان للأب ما أراد.

صدر إعلام شرعي بتغيير الاسم إلى صالح جودت ثم ما لبثت الأسرة أن انتقلت إلى القاهرة بعد سبعة أيام فقط من مولد الطفل الصغير

---

(١) كان هناك اختلاف في سنة مولد شاعرنا ، فالمتعارف عليه أنه من مواليد سنة ١٩١٢ ولكن الوقائع والأحداث وأسرة الشاعر تؤكد أنه من مواليد١٩٠٨.

(٢) من مؤلفاته أمة الملايو (١٩٠٨) ومصر في القرن التاسع عشر (١٩٣١)، وترجم الكثير من القصص منها «كيد الغانيات» و«جهاد القلوب» تأليف لوزير أينو ومسرحية «الإيمان» تأليف أوجين بريو (١٩١٤) وترجمات جوستاف لوبون.

كان للأسرة بيت بمصر الجديدة تلفه حديقة خضراء جميلة

وفى طفولة شاعرنا المبكرة كان يسمع أباه وهو ساهر فى الحديقة بالليل ، وحوله نفر من أصحابه ، يقرأ عليهم من الشوقيات ، إذ كان مفتونا بشوقى ، وكان يعده سيد القدامى والمحدثين .

وفى هذه السن المبكرة ، أعجب شاعرنا جرس الشعر الذى يسمعه كل ليلة ، فتشرب موسيقا الشعر وأنغامه منذ نعومة أظافره

وعندما استطاع الطفل أن يقرأ بدأ يقرأ مقامات الحريرى وهو فى العاشرة ، وأعجبته الصنعة فى هذا الكتاب

ثم بدأ يقرأ الشوقيات حتى حفظها جميعا وهو فى الثانية عشرة ، وخلبته موسيقاها وظل طيلة حياته يؤمن بأن الشعر هو أول مايكون موسيقا وأن على من ينظم الشعر إذا لم يحسن الموسيقا أن يهجر الشعر إلى النثر .

وكان الابن يختلف مع أبيه فى كثير من أسس الأدب ،

كان الأب يعجبه شعر حفني ناصف وعائشة التيمورية وغيرهما من معاصريه . وكان الابن شغوفا بالأدب الحديث ورواده الجدد والتقى الاثنان عند رأى واحد فى أمير الشعراء، شوقي ، وبدأ شاعرنا بمحاولات بسيطة لنظم الشعر ولكنه استمر وبدأ يترنم بالشعر منذ طفولته المبكرة وهو دون العاشرة ، وكانت أشعاره وقتئذ تتسم بالموسيقية والرقة والعذوبة نتيجة قراءاته لشوقي في سن مبكرة .

وعندما لقي كمال الدين جودت وجه ربه فى يناير ١٩٥٢م كان قد أضاع كل ثروته ولم يترك شيئا وراءه ولكنه ورث صناعة القلم لابنه ، وهو أطيب ميراث

★★★

اختلف صالح جودت إلى مدرسة إنجليزية فى مصر الجديدة، وكان فى تلك الحقبة مرحا كثير الحركة والمداعبات وله ذكريات طريفة فى طفولته المبكرة .

من ذكرياته المبكرة أنه كان يكسر عدادات النور والمياه ويشعل مجموعة من الحرائق ، وكانت بالمدرسة مدرسة إنجليزية حسناء شقراء من موظفات المدرسة ... كانت وقتئذ فى العشرين من عمرها وكان صالح لم يتجاوز السابعة من

عمره ...

ورغم فارق السن الكبير إلا أن الشاعر العاشق الصغير المفتون هام بها حبا ونظم في حبها عشرات الأبيات من الشعر الغزلي الأفلاطوني يبثها حبه ونجواه وعواطفه المشبوبة

وعلمت بعواطفه نحوها ، فأولته اهتماما وشجعته وظلت تلك الحسناء المثقفة هي المثال الحي للجمال في رأى شاعرنا ثم التحق بمدرسة القرير بعد ذلك ...

ثم التحق بمدرسة مصر الجديدة الابتدائية وقاسى الأمرين من عصا ناظر المدرسة التركي بايزيد أفندي لشقاوته..



ثم ظفر صالح جودت بالشهادة الابتدائية وعمره عشر سنوات ... وعندما وقف لأول مرة في طابور الصباح بالسنة الأولى للمدرسة الثانوية نادى ناظر المدرسة اسمه وقال إن هذا التلميذ هو أصغر من نال الشهادة الابتدائية في تاريخ هذه الشهادة ..

وأسكرت هذه الكلمات الشاعر الصغير ، وكانت نتيجة

هذا أنه تعثر بالسنة الأولى لمدة ثلاث سنوات متواصلة

كان شاعرنا الصغير ، العاشق يقضي جل وقته في مسارح القاهرة ومنتدياتها مثل مسارح عماد الدين ومسارح روض الفرج .

وفي هذا الجو الساحر المفعم بألوان الفن وسحر الأدب والجمال تشرب النغم وتعرف على عشرات من النقاد والممثلين والمؤلفين والمطربين والمطربات ...

كان يسهر الليل ولايعود إلي البيت إلا قبل الثانية صباحا.. أصبح الشاعر الصغير المفتون بوهيميا .... واندفع فى هذا التيار الساحر بلا وعى

ولكن حدثت معجزة أنقذته من الانسياق فى هذا التيار الساحر الجارف ... قرر والده وكان يعمل وقتئذ مهندسا زراعيا بالمنصورة أن ينتزعه من جو القاهرة ولياليها ويلحقه بمدرسة المنصورة الثانوية لعله يفلح .

واتجه صالح جودت إلى المنصورة عام ١٩٢٧ إلى المدرسة الثانوية ليلتحق بها

ونجحت المحاولة

ومرة أخرى أصبح دائماً ترتيبه الأول على فرقته كل سنة..

في المنصورة

وفي مدرسة المنصورة الثانوية ظهرت موهبته الحقيقية في نظم الشعر وبالرغم من بساطة ما كان ينظمه فإنه كان يعد ارهاصات لما سيجئ بعد من مولد شاعر كبير..

وكان ينظم في المدرسة قصائده ويقرؤها على التلاميذ والأساتذة.

وحدث أن جاءت فرقة يوسف وهبي إلى المنصورة، واستضافته المدرسة هو وأعضاء فرقته، وقال صالح في تحية الفنان الكبير قصيدة منها هذان البيتان:

هذب نفوس شبيبة   للخلق أحوج ما تكون
فالخلق إن يلغ الكمال   بأمة، هدم السجون

ويبدو أن القصيدة قد أعجبت المحتفي به، فأخذها منه ونشرها في إحدى مجلات القاهرة الشهيرة...

وفي العام نفسه، قرأ في مجلة (الصباح)- وكانت يومئذ من أشهر المجلات الفنية والأدبية- مقالاً يتهجم فيه كاتبه على أم كلثوم، وكان قد نشأ على حب فنها، فامتشق قلمه، وكتب مقالاً طويلاً دافع فيه عن أم كلثوم وبعث به إلى المجلة، التي نشرته تحت عنوان (بقلم الأستاذ الكبير صالح جودت)..

ومنذ يومئذ، لم ينقطع عن مراسلة هذه المجلة، سواء بالشعر أو النثر، ومن هنا بدأ اتصاله بالصحافة الفنية والأدبية التي برع فيها وأجاد...

وفى المنصورة فى الفترة (١٩٢٧ - ١٩٣١) كانت المنصورة خميلة شعرية جميلة يغنى فيها شاعر الأطلال، ناجي، وشاعر الجندول على محمود طه، وشاعر الأعراف الهمشري...

وكان هؤلاء الشعراء يجلسون على شاطئ النيل بالليل يسمرون في شتى ألوان الأدب والفن والجمال...

وكان الأربعة يحلو لهم الالتقاء عند (صخرة الملتقى) وهى تقع بين البحر والصحراء بأطراف المنصورة ويستوحون منها أجمل الشعر وأعذبه.. ومن المنصورة بدأ صالح يتصل بصحف ومجلات القاهرة وتبلورت اتجاهاته الشعرية فى تلك الحقبة، فقد بدأ يتجه شطر شعر الحب والغزل يبدع فيه أيما إبداع.

وكان الشعراء الأربعة تجمعهم أواصر الشعر ووشائج الشباب وعبادة الجمال وروح الثورة على القديم.

وفي المنصورة بدأ الحب يتسلل إلي قلبه.. فأحب ملكة جمال المنصورة حينئذ، واستوحى منها عدة قصائد غزلية منها قصيدته (تصورى) التى يقول فيها:

قلت لها تصورى	يا فتنة المصور
تصورى حكايتى	فى حبك المحير
حكاية كأنها	خرافة المعمر

وصالح جودت هو ابن المنصورة، فقد تفتح شبابه الغض على ضفافها الفيح وعرف بين ربوعها هذا الحب العاصف المزلزل الذى أوحى إليه بأعذب أشعاره...

وأنجز شاعرنا دراسته الثانوية وانتهت أيام المنصورة الحلوة واتجه الشعراء الأربعة إلي القاهرة في عام واحد، هو عام ١٩٢١م كل إلي وظيفته ودراسته.. ودع صالح جودت المنصورة وفي قلبه حسرات علي فراق مهد الصبا ومدينة الحب والجمال والشعر والخيال.

ودعها بقلب مشبوب يتحسر علي لياليها الشاعرية الساحرة:

آه مما بى، وهل تدرين ما بى
يوم ودعتك ودعت شبابى
أين أحلامى على تلك الروابى
ذابت الأحلام فى قلبى المذاب

ويسترجع ذكريات الجمال في مدينة الحسن والجمال والشعر والخيال، حينما كان ينتهب بعينيه شوارد الحسن على ضفافها الخضر:

مادعا لحني ولا غنى نشيدى
غير غاداتك فى الخطو الوئيد
حين يخطرن على النيل السعيد
بالوجوه السمح كالنور المذاب

يتهادين بمعسول الدعاب

أه مما بي وهل تدرين ما بي

يوم ودعتك ودعت شبابي

ثم يودع محبوبته فيها، فيقول:

لي حبيب فيك أفديه بعمري

سمرة النيل على خديه تجري

هو إلهامي وأحلامي وشعري

ونعيمي بين عينيه وسكري

كان عند الليلة الظلماء بدري

وله نجواي في دنيا اغترابي

يا ترى يذكرني بعد الغياب؟

وظل شاعرنا يحمل لمدينة المنصورة أجمل الذكريات وأطيبها طيلة حياته، المدينة التي ذاق فيها رحيق الحب والوصال وتشربت روحه من جمالها عبادة روائع الحسن وبدائع الجمال.

مع جماعة أبوللو

التحق صالح جودت بكلية التجارة جامعة القاهرة عام ١٩٣١م، وفي هذه الفترة قامت جمعية (أبوللو) عام ١٩٣٢م برئاسة أمير الشعراء أحمد شوقي والدكتور أحمد زكي أبوشادي.

وينضم الركب القادم من المنصورة إلى تلك الجمعية وهكذا التفوا حول رسالة أبوللو.

ووجد صالح جودت نفسه وهو دون العشرين، عضواً بمجلس إدارة الجمعية، ممثلاً للشباب، يجالس كبار الشعراء والأدباء...

ثم نشبت المعركة بين مدرستي شوقي والعقاد، فيهب صالح جودت مدافعاً عن شوقي، مهاجماً خصومه بعنف وقوة.

وتشهد صفحات أبوللو قصائد الشاعر الشاب العاشق وتدور حول الحب والغزل والحيرة والقلق...

وفي عدد أول إبريل عام ١٩٣٣م نجد له قصيدة غزلية رقيقة، وهو لم يتجاوز العشرين بعد بعنوان (الشارد) يقول فيها: (١)

أيها الشارد عن وكر الهوى
قد عفا من بعدك القلب وذاب
كنت لا أشهد إلا نضرة
فإذا النضرة قد أمست يباب
كنت لا أسمع إلا بلبلاً
فإذا الشادي على الأيك غراب
كنت لا أشرب إلا خمرة

---

(١) أبوللو / إبريل ١٩٣٣م/ ص: ٨٨٢.

في كئوس قد ملئن اليوم صاب
كنت لي ياتاركي في لوعتي
أنت والألحان والكأس طلاب

★★★

لست أنسى في حياتي ليلة
أنصفتنا بعد ما طال الغياب
قربت منا غمام نحو فم
وتقضت بين لوم وعتاب
وسكون الليل أذكى شجونا
وظلام الليل مسدول النقاب

★★★

لك شعر ذهبي ساحر
ضاع في موجاته قلبي وذاب
لك خدان تبدت فيهما
حمرة تنساب من قلبي المذاب
والعيون الزرق من فوقهما
رائحات غاديات كالسحاب
حين قالوا إن آلام الفتى
ليس يفنيها من الدهر الذهاب
خفت هذا العيش أن يمضي بنا
أو يعيد الشيب أهوال الشباب

مـشـفـقـاً بالحب من آلامـه
أن يضيع العمر في هذا العذاب

ومن نفس الملهمة صاحبة (العيون الزرق والشعر الذهب) وكانت ممثلة جهيرة هي زينب صدقي(١٩٠٠-١٩٩٣) أحبها أكثر من شاعر وأديب منهم ناجي وأحمد عبدالمجيد وأحمد رامي- استلهم صالح جودت قصيدة أخرى بعنوان (العيون الزرق) نشرت في أبوللو يقول فيها: (١)

عـين من يهـواك تشـتـاق الكرى
قلب من يهـواك يشـدو بالحنين
هل رأيت الدمع من عـيني جـرى
هل سمعت القلب موصول الأنين؟

★★★

يا شـقـيق الزهر والطير.. أمـا
سـاءلت نفسك عني أخـويك
أنـا فـي روضك أرويـه بمـا؟
فاض من دمعي مدى العمر عليك

★★★

أزرع الآمـال في روض هواك
وأرويـهـا بدمـعي ودمي
فـإذا مـا عـدت ألفـيت نواك

---

(١) أبوللو / إبريل ١٩٣٣م/ ص: ٨٨٢.

في ثنايا الروض يبني مـسـأتمي

★★★

أيهـا الهاجـر من غيـر سـبب

لو تجـافي أنا راض بجـفـاك

العـيـون الزرق والشـعـر الذهب

ألجـأني يا حـبـيـبي لهـواك

وفي تلك الحقبة كان يعاني - كشاب في مطالع العمر - من الحيرة، والقلق والشك في كل شئ وعكس تلك الأحاسيس والانفعالات في عدة قصائد منها قصيدة (على الرمس) التي يقول في مطلعها:

قمت في الليل أناجي مضجعك

ليتني في الرمس أمسيت معك

وقصيدة (أكذوبة الموت) التي يقول في مطلعها: (١)

قد حرت في الموت وفي أمره

ومازواه الله عن سره

وتبلغ ذروة الشك والتمـرد في نفسـه في مطولة بعنوان (الراهب المتمرد) (٢) استخدم فيها الشاعر الأسطورة والرمز الفني في إبراز فكرته وهي عبارة عن حوار فلسفي طويل في

---

(١) أبوللو / إبريل ١٩٣٣م/ ص: ١٢٥.

(٢) أبوللو/ ديسمبر ١٩٣٣م / ص: ٢٩٣ - ٣٠٢.

دير بين راهب متمرد شاك في جوف الفلاة وبين كاهن الدير الذي يناقشه ويرد عليه ويحاول إقناعه.

وكان هذا الشك من الشاعر الشاب وهذا التمرد على كل شئ باعثاً على حملة ضارية من الشيوخ، فهجر شاعرنا الشعر حيناً، ولكنه سرعان ما عاد يغرد مرة أخرى، عاد إليه هذه المرة بعد أن ازدادت قراءاته، وتعمق فيما يقرأ، ولا سيما في أدب التصوف والمتصوفين، فعاد إلى الله قوى الإيمان، مفرطاً في الحب لذاته، رغم فلسفته القائلة بعبادة صور الحسن وبدائع الجمال للتقرب من الله..

وفي عام ١٩٢٤م نشر شاعرنا عدة قصائد عاطفية منها قصيدته (رمس الهوى) في فبراير وفي نفس العدد قصيدة عاصفة وفي عدد أول إبريل قصيدة (القصيدة الأخيرة) عبر فيها عن ندمه على شططه وغلوائه في شعر الشك والتمرد وجرأته على المألوف وعودته إلى شاطئ الإيمان واليقين؛ فقال:

يا إلهي قد نفضت الشعر عن قلبي وأخليت يدي
وكسرت اليوم أقلامي وأغلقت بقلبي شفتي
وتنكرت لليالي التي أوحت بأشعاري إليّ
عدت للمسجد والتقوى وأوهنت صلاة ركبتي
وغدا القرآن في يمناي يسترحم من نشر وطي
يا إلهي دمعة النادم نارها في مقلتي

وكتب الدكتور إبراهيم ناجي يقول عن صالح جودت بعد الحملة العنيفة التى تعرض لها بسبب جرأته (١).

(صالح جودت هو أحد الشعراء المجددين، الذين لا يبالون فى سبيل الحرية الفكرية بأى عقبة ولا حائل، وهو لذلك ماض إلى الأمام دائماً، مضطرد التقدم.

وعقله الخصب، ونبوغه الوافر، كفيلان بأن يضمنا له سبقاً وتجلية فى الميدان الذى اختاره لمواهبه الكبيرة).

ديوان صالح جودت:

صدر أول ديوان لشاعرنا فى بداية عام ١٩٣٤م وهو لم يتجاوز السادسة والعشرين من عمره بعنوان (ديوان صالح جودت).

وكان تجربة أدبية مبدعة استقبلها النقاد بحرارة وحماس...

وقد تميز شعر هذا الديوان بالموسيقا الهامسة وحلاوة الجرس والطلاوة، ويحتوى على قصائد مضمونها يغلب عليه روح التمرد والشك والتساؤل والحيرة لشاب فى عنفوان تفتحه وما يدور فى النفس من هواجس وتساؤلات، كما يشتمل على قصائد عاطفية ملتهبة يبلغ فيها أقصى غايات الإبداع والعذوبة.

(١) أبوللو / ديسمبر ١٩٣٣م/ ص: ٣٠٢.

وكتب الشاعر أحمد زكي أبوشادي(١٨٩٢-١٩٥٥) مقدمة الديوان أشاد فيها بالشاعر الشاب وبين نواحي الإبداع والتجديد في شعره وأصالته المتميزة فقال عنه: (١)

(إن صالح جودت بفطرته شاعر غنائي حساس، حلو العبارة، فياض العاطفة، جياش بالمعاني العذبة الرقيقة ولكنه إلى جانب ذلك الشاعر الوطني والشاعر الفلسفي حينما تثيره ظروف خاصة، فترى في ذلك الشعر الحيرة والاضطراب والآمال والآلام المتغلغلة في مشاعر هذا الجيل).

كان هذا رأي الدكتور أبوشادي في شاعرية صالح جودت وقد تبين منذ تلك الحقبة اتجاهات صالح جودت الذي جمع فيما بعد بين الروح العاطفية والوطنية في مزاج جميل خاص.

وقد أهدى شاعرنا الديوان إلى ملهمته الأولى صاحبة (العيون الزرق والشعر الذهب).

وقد كان هذا الديوان بمثابة مولد شاعر جديد له أثره المتميز في تطور شعرنا العربي المعاصر.

ملامح شخصية

من أبرز ملامح شخصية صالح جودت الصدق والصراحة والوضوح.. هذه الصفات كانت هي السبب المباشر في كثرة معاركه ومساجلاته الأدبية...

---

(١) ديوان صالح جودت / مقدمة أبوشادي.

وقد صور مشاعره وعواطفه وأحاسيسه في شعره بصورة نابضة بالصدق والصراحة وأبرز هواجس نفسه وما يعتمل فيها من صور الهوى والهدى بصورة صريحة.

وقد سافر صالح جودت إلى كثير من بلدان العالم، فقد أحب السياحة والرحلة وقد كان لهذه الرحلات والأسفار زاد نفيس أمد أدبه بفيض جديد من المشاعر والأحاسيس، وكان من نتاج ذلك كتابه في أدب الرحلات (قلم طائر).

وهو عاشق مفتون يهيم بالحسن وألوان الجمال لأنه جذوة من الوجدان.

ونفسيته مشرقة واضحة تلمس ملامحها في أشعاره التى رسم فيها صورة لنفسه وأفكاره ومشاعره.

★★★

قرأ صالح جودت في صباه ويفاعته الكثير من أمهات كتب الأدب العربي القديم مثل الأغاني ومقامات الحريري ودواوين المتنبي والبحتري والشريف الرضي، وفي الحديث الشوقيات التي حفظها عن ظهر قلب.

وفي فترة المنصورة (١٩٢٧ - ١٩٣١) استوعب مع رفاقه شعر شيللي وكيتس ووردز ورث وبايرون، وفتن بشعرهم وأغرم في بداية حياته الأدبية بشعر الطبيعة في الأدب الإنجليزي والأدب الفرنسي، واستهواه بصفة خاصة الشعر الرومانسي واستوعبه ثم أصبحت الرومانسية من أظهر سمات شعره.

فهو شاعر رومانسي حالم مجنح يتغنى بالحب والجمال ويعبر عما يجيش بنفسه بصدق وحرارة.

وقد نال صالح جودت بكالوريوس كلية التجارة عام ١٩٣٧م، ثم ظفر بالماجستير عام ١٩٤٩م وكان أول دفعته وكانت رسالته بعنوان (الدولة المثالية في الإسلام).

وقد عمل فترة في الديوان الاقتصادي ببنك مصر ثم ما لبث أن تفرغ للأدب والشعر من خلال عمله بالصحافة الأدبية والفنية والسياسية، فقصر كتاباته على مجلات دار الهلال الأسبوعية مثل (الكواكب وحواء والاثنين والدنيا والمصور) بالإضافة إلى مجلة الهلال الشهرية التي كان يكتب فيها مقالاته الأدبية حتى وصل إلى منصب رئيس تحريرها (١٩٧١ - ١٩٧٦).

كانت تجربة الشعر عند صالح جودت تجربة مميزة تعكس ملامح شخصيته ووجدانه المصري الأصيل، مما دفع الناقد د.عبده بدوي إلى تصنيف تجربته التي تؤكد أنه شاعر ذو مواقف واضحة وصريحة في للحياة والشعر والسياسة (١) .

أعتقد أنه ليس من السهل أن يتعرض الإنسان في عجلة لشاعر، فالإنسان ما يكاد يقترب منه حتى يجد أنه يتعامل مع

---

(١) د. عبده بدوي - في الشعر العربي الحديث / الكويت ١٩٩٧.

منشور ضوئي، فله أكثر من لون وأكثر من شعاع، وبخاصة حين نعرف أنه لم يقف في المنطقة المحايدة، وإنما التزم بقضايا مهمة يحبها، ويشارك فيها، وابتداء نعرف أنه نشأ في بيت شعري، فأبوه كان شاعرا، وجده كان شاعرا، والبيت كانت فيه مكتبة عامرة، ولقد كان أول شيء لفته في الشعر هو الموسيقى.

***

جمع صالح جودت في ثقافته بين الثقافة الأوربية والثقافة العربية فقرأ لأعلام الشعر الرومانسي أمثال ورد ذورث وبيرون وشيللي وألفريدي موسيه وغيرهم، كما قرأ روائع الشعر العربي منذ العصر الجاهلي حتى أمير الشعراء أحمد شوقي، فاستطاع المؤالفة بين التراث والمعاصرة، لكي تمتد الجذور الجديدة الطيبة، في تربة الأرض العريقة الطيبة، وهذا ما يفسر لنا التحاقه بجماعة أبوللو، في مطالع شبابه، وانسياقه مع شعرائها في موكب التجديد الذي تمثل حينا في بعض الملامح الرمزية والرومانسية، ثم تمسكه بعرى التراث الأصيل، طوال مسيرته الشعرية والأدبية.

الفصل الثانى:

شاعر الحب والغزل

يا مـلاكى، أنا من أحـببت فى الحب عذابى
ونشـرت الغـزل المشـبـوب فى كل الروابى
وبنار الشـوق واللهـفـة أحـرقت شـبـابى
أنقـذى روحى من النار، وفـوزى بالثـواب

صالح جودت

لاشك أن شعر صالح جودت العاطفي نسيج وحده في شعرنا العربي المعاصر، فهو متفرد بأصالة خاصة وسمات معينة وقد وصل إلي ذروة الكمال الفني في السنوات الأخيرة من حياته...

وقد صور صالح جودت مشاعره وأحلامه وعواطفه في شعره أعمق تصوير وأصدقه ورسم خفقات قلبه وأهواءه بأمانة وحرارة وصدق، فبزغ شعره رقيقاً شجياً...

وقد طرق شاعرنا موضوعات لم يسبقه قبله شاعر في طرقها وأبدع صوراً جديدة وفريدة هي ثروة في قاموس الوجدان في شعرنا العربي المعاصر، فاتسم شعره العاطفي بالبساطة والغنائية والصدق.

لقد أجاد شاعرنا التعبير العاطفي في شعره وأضاف لشعرنا العربي الكثير من المعاني والتعبيرات الجديدة المبتكرة..

من أجمل قصائده العاطفية وأرقها قصيدة «في جزيرة معك»، التي تبين رومانسية شاعرنا الحالمة وفيها يود لو غاب هو وملهمته بعيداً عن عيون الناس- التي هي الجحيم الحقيقي على حد تعبير سارتر- إلي حضن الطبيعة حيث

النجوى والوصال بين الطبيعة الساحرة في جزيرة نائية، فيناجيها قائلاً (١):

إن تسلني يا حبيبي
أي حلم أشتهيه
فهو أن أقضي عمري
في فراغ أنت فيه
فمتى تأمرني أن أتبعك
وأغني في جزيرة معك

ثم يصور لنا جواً عاطفياً مشحوناً بالظلال والشاعرية، صور لنا فيه صورة شاعرية جميلة للقاء عاشقين وخفقات قلبين وهمسات روحين يتناجيان:

أسأل الليل إذا الليل دنا
بدره المشرق أم بدري أنا؟
المنى والسحر والعطر هنا
والهوى والكأس والليل لنا
وأنا بين يديك
أجستني من شفتيك
رشفة منك إليك
وأسوي فوق صدري مضجعك
وأغني في جزيرة... معك

---

(١) صالح جودت / حكاية قلب/ ص: ٨٤.

ثم يواصل رسم اللوحة الشاعرية المبدعة للعاشقين الحالمين في صور شعرية متتابعة متناسقة:

العصافير التي توقظنا عند الصباح
والأزاهير التي تسكر أنفاس الرياح
والمزامير التي تهتف بالحب المباح
والمقادير التي تجهل ألوان الجراح
كل هذا الحسن يدعوني هنا
أي شيئ لك في تلك الدنا؟
لا تجبها وأجب قلبي أنا
واسأل الأقدار بي أن تجمعك
لأغني في جزيرة معك

ومن أجمل قصائده العاطفية قصيدة (الملاك الأبيض) التي يناجي فيها ملهمته النافرة :

يا ملاكي، نشر الليل غلالات الظلام
فافتحي قلبك للأحلام والنجوى، ونامي
واتركيني في اشتياقي واحتراقي يا غرامي
جئت أستشفي من الحب، فضاعفت سقامي

ثم يستثير مشاعرها لتعفو عنه وتعود إليه:

يا ملاكي، سامحي طيشي، ورقي لجنوني
واغفري الماضي وما يوحيه من سود الظنون

وارحمي ضعفي إذا ما شئت ألا ترحميني
هل ترين اليوم إلاك خيالاً في عيوني؟

★★★

وهذه قصيدة (ميعاد ليلة الأحد) من شعره الغزلي الرقيق، وهي تعبير عن وجدان شاعرنا، وتصوير لأثر الحب في نفسه وفيها تجديد في الروح والمضمون وهي تعبير عن تجربة عاطفية مع ملهمة يقول فيها: (١)

والضحى والغدائر الذهب
والعيون الشهباء كالسحب
وبخديك كاسي العنب
وبنهديك حلوى اللعب
قسم صنته عن الكذب

★★★

ذكريات اللقاء لم تنم
يقظات في مهجتي ودمي
غردات في نظرتي وفمي
فبحقي .. وحق ذا القسم
هل تعيدين ليلة الهرم؟

ثم يصف ليلة الهرم التي سعد فيها مع محبوبته في ظلال ابتسامة أبوالهول الغامضة:

---

(١) الرسالة / ميعاد ليلة الأحد / ١٩٤٠.

ليلة كابتسامة القدر
كنت فيها أحلى من القمر
جمعتنا بجانب حذر
من أبي الهول ساخر النظر
هل درى الحب قلبه الحجري؟

شعر الغزل الحسي

صاغ صالح جودت كثيراً من عواطفه وأحاسيسه بصدق وصراحة، وبجانب ما أبدعه من شعر الحب والغزل العفيف نجد في الجانب الآخر صوراً شعرية جريئة أجاد فيها التعبير، وعكس فيها التجربة الحسية فجاءت أكثر صدقاً وحرارة.

ولكنه رسم تلك الصور بلا ابتذال أو إسفاف، فجاءت في أسلوب جميل شفاف.

إن شاعرنا الرومانسي لجأ إلى المرأة واتخذها ملاذاً ومهرباً من قسوة وهجير الحياة بجمالها وسحرها، عله ينسى أحزان روحه مثلما فعل الشاعر المدلل: اللورد بايرون.

فشاعرنا دائماً كان يشكو الظمأ إلى حنان المرأة وحبها، ويود لو أصبح ملاحاً في بحار الحب والجمال، ليرتوي بعد ظمأ..إن قصيدة (ظمآن) التي كتبها وهو لم يتجاوز السادسة

والعشرين من عمره تفصح عن نفسية محبة عاشقة للحسن والجمال يقول فيها: (١)

أجل ظمــآن يا ليلى ومــاء الحب فى نهــرك
خذيني في ذراعيك وضمــيني إلى صــدرك
دعيني أشرب النور الذي ينساب من شعرك
وروى لهــفــة الظمــآن بالقــبلة من ثغــرك
هبى لى ليلة أثمل يا ليــلاى من خمــرك
تقولين: جمعت السحــر يا ظمآن في شعرك
وأنت قصيدتي الكبرى وهذا الشعر من سحرك
أيا ليلى رأيت القلب لا يســأم من ذكــرك
خيــال أنت فى فكرى فهلا جلت فى فكرك
كــأنى راهب الفتنة يستــشــهد فى ديرك
وقــد يشــرك بالله، وبالفــتنة لا يشــرك
على أنى عــرفت الله لكن حــرت فى أمــرك
أجل ظمــآن يا ليلى ومــاء الحب فى نهــرك

★★★

ومن قصائد الغزل الحسي قصيدة (ليلة الوداع) وهى تفصح عن مدى ولهه بجمال المرأة وفتنتها، يقول فيها: (٢)

أســرعي الآن أســرعى
فــات وقت التــمنع
لم تعــد غــيــر ليلة

---

(١) أبوللو / يناير ١٩٣٤م /ص: ٣٩٨.
(٢) ليالى الهرم / ١٩٥٧م.

من غـــــرام مســـــودع
كنت بشــــــرى وجنتي
ومســــراحي ومـــــرتعي
كم على صــــدرك الحنون
توســـدت مضـــجـــعي
وعلى ثغــرك الحبـيب
تخـيـــرت مـــوضـــعي
وحـــوالى فــرحـــتي
وحـــــــواليك أذرعي

ويصور فلسفته في الغزل، وأبيقوريته المنتشية المبتهجة بالحياة، فيرد على منتقديه بقوله: (١)

ومـــادروا أن الهـــوى رحلة
في زورق الله إلى الشـــاطئ
إلى جنان الله في أرضـــه
إلى جناها العـــاطر الدافئ
إلى صلاة في محـاريبـها
وخلوة في ديرها الهـــادئ
إلى صيـام عن جمـال الدنا
إلاك في عش الهوى الهـانئ

إن شعر الغزل الحسي عند صالح جودت شعر صادق أصيل، لأنه كان وليد تجربة شعورية صادقة امتزجت فيها الأفكار بالعاطفة، وخرجت إلى العاطفة الإنسانية الرحبة وقد

---
(١) حكاية قلب/ ص : ١٢.

صور لنا مشاعره وأحاسيسه وعواطفه بحرارة وصدق مما أضاف ثروة لشعر العاطفة والوجدان في أدبنا العربي المعاصر.

وصالح جودت عاشق معتز بكرامته وكبريائه مهما أخذته نشوة الحب لايقبل الذلة أو الهوان، ففي هذه الحالة يضع كرامته فوق حبه وهواه

نزل الستار على الروايه
وتبددلت تلك الحكايه
طلع الصباح بنوره
فرفعت للعصيان رايه
لاتسأليني من هواي الآن
.. مالك في هوايه؟
يكفيك أنك لست أنت
.. ولم تعد لي فيك غايه
فلكل عاطفة مدى
ولكل عاصفة نهايه

★★★

يا من جعلت الحب تسليه
.. لقلبك، أو هوايه
إني استثمرت العمر فيك
.. فقال لي عمري كفايه
لا تسأليني أن أعود
.. فأين أرضك من سمايه؟

شاعر النيل والنخيل

من أبرز ملامح شخصية شاعرنا وطنيته وحبه لمصر منذ مطالع شبابه المبكر

وقد جمع في شعره الحب والوطنية في مزاج جميل فهو يعد «شاعر الحب والحرية».

وقد سار شاعرنا يجمع بين الاتجاه الذاتى العاطفى والاتجاه الوطني القومي.

وقد أبدع شاعرنا الكثير من القصائد القومية عبر فيها عن الأحداث الوطنية والقومية في تعبير فني عميق لايعتمد على صخب الألفاظ وضجيج الكلمات بل يعبر في موضوعية وعمق عن تلك الموضوعات في شعر مهموس رقيق.

وقد عبر صالح جودت في العديد من كتاباته وشعره عن مشاعره الوطنية الجارفة وحبه الغلاب لمصر واعتبرها أمه بل أعز من أمه (١)

«كنت - ككل إنسان - أحب أمي ..

وكنت - ككل إنسان - اعتقد أن أمي هي خير الأمهات على الأرض، وأن حياتها كانت قصة نادرة من البطولة والتضحية والايثار لانظير لها في قصص الأمهات

وعندما احتفلنا في مصر لأول مرة بعيد الأم، كانت أمي في ذمة الله.

---

(١) مجلة حواء ١٦ مارس ١٩٦٦.

ووضعت رأسي بين يدى أفكر بشعور المحرومين من حنان الأمومة في عيد الأم.

كل ذى أم قد أعد اليوم هدية لأمه

وأنا وأمثالي .. ماذا نقدم؟ ولمن؟

وبمجرد المصادفة .. وقع نظرى على خريطة للعالم معلقة على الحائط مواجهة لمكتبي . ووجدت بصرى يتركز على نقطة خضراء من هذه الخريطة، هي مصر .

وجعلت أردد اسمها   مصر .. مصر .. مصر

وحلا لي هذا النداء .

وأحسست أنني لست يتيما

وأن أمي لاتزال على قيد الحياة.. وستبقى على قيد الحياة.. إلى الأبد بإذن الله.

إن أمي الخالدة هي مصر ..

ولشاعرنا مواقف مشرقة في مواجهة الفساد والطغيان والإنجليز في فترة ما قبل ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م.

نشر قصيدة بعنوان «أخرجوا من بلادنا» قبيل ثورة ١٩٥٢م، وهي صرخة قوية في وجه الاستعمار ليرحل عن مصر وإلا سقيناه كئوس الصاب والعلقم والهلاك:

أخرجوا من قناتنا فهى منا

وإلينا وبالجلاء تحل

إن رضيتم به خرجتم كراما

أو أبيتم فثم روع وويل

أخرجوا من بلادنا واتركونا

واحملوا جندكم من النيل واجلوا

وفي شعره القومي حين يتحدث عن مصر يتحدث من خلال مواطن الحسن والجمال في ربوعها، فهو حب عاشق مفتون بكل بقعة من بقاعها والاشادة بفتنتها وسحرها الأخاذ، فهو يعد بحق «قيثارة مصر» التي تعزف لنا أنبل قصائد الوطنية والانتماء لمصر.

في قصيدة «ليالي الهرم» تتجلى خصائص شاعر الحب والحرية بأجلى صورها وأدقها.

فهو هنا يرسم لوحة شعرية جميلة لبقعة من أجمل بقاع مصر تجمع بين حضارة الماضي التليد وعبقها وعطورها، ومن بعيد تظهر مصر الحاضر بكل ما فيها من حضارة وتقدم، إنه هنا يرسم صورة حية لنجوى عاشق رومانسي لمحبوبته في ظلال الهرم، ويستعيد معها أمجاد مصر التليدة وعظمتها الغابرة (١).

يا حبيبي نامت الشمس وراء الهرم

وتهادى القمر النشوان بين الظلم

---

(١) صالح جودت / ديوان ليالي الهرم/ ١٩٥٧م.

ملكا يختال تيها فوق عرش الأنجم
وينادى كل لهفان إلى الحب ظمي

★ ★ ★

ها هنا مهد أبى الهول هنا
كاتم الأسرار من عهد منا
هيئ الأحلام والنجوى لنا
عبقرى الصمت منذ القدم
فتمتع بليالى الهرم

ثم يحدث محبوبته فى ظلال أبى الهول بأمجاد مصر وحضارتها الغابرة وكيف كانت مصر على مر العصور والأجيال مقبرة للغزاة

يا حبيبى هذه الربوة لغز العالمين
رقية من سحر فرعون لصد الفاتحين
أين قمبيز وأنطونيو وركب الواهمين؟
أين نابليون؟ هل ردته مرفوع الجبين؟

★ ★ ★

هذه القمة أم القمم
كم طوت ثورتها من أمم
وشدا النيل بحلو النغم

زالت الأعـــــلام إلا علمي
فـتـمـتـع بليالي الهرم

ثم يحدث محبوبته عن سحر مصر وجمالها في صورة شعرية بديعة، نلمس فيها نظرة العاشق المفتون بمواطن الفتنة والجمال في وطنه ومرابع السحر والخيال في ليالي القاهرة:

يا حبيبي هذه أمجاد مصر الساحره
كل روح خطرت فوق رباها شاعره
قف على الربوة في ضوء النجوم الساهره
وتأمل فتنة النيل وسحر القاهره

★ ★ ★

وسنى البدر على الوادى يميل
والهـا يلعب في شعر النخيل
راقصا في مسرح الموج الجميل
بشعاع شاعرى ملهم
فتمتع بليالي الهرم

إن قصيدة «ليالي الهرم» تعبر عن اتجاهات صالح جودت الفنية والوجدانية والروحية أصدق تمثيل وأعمقه، وهي تمثل اتجاهه الفني في الجمع بين الحب والوطنية والغزل في عبادة الحسن وعبادة الوطن، وهذا ما دعاني إلى تسميته «شاعر ليالي الهرم» و «شاعر النيل والنخيل» و«قيثارة مصر» الخالدة.

وقد صدرت لشاعرنا ستة دواوين شعرية تمثل التطور الروحي والوجداني والفني لشاعرنا أروع تمثيل وأصدقه.

في صدر شبابه كان شاعرا رومانسيا مجنحا وقد سيطرت عليه فورة الشباب وروح التساؤل والشك والحيرة والتمرد، ثم روح الحزن والكآبة والتبرم بالواقع والقيود والأغلال التي تحد من جموحه وانطلاقاته.

ثم انطلق شاعرنا انطلاقة خلاقة وحطم قيوده وأغلاله واندفع ينهل من مفاتن الحياة أجمل ما فيها، ويغني لها أجمل أغاريده وأعذبها وفتح قلبه للحياة والنور والحب..

وشعر صالح جودت منذ محاولاته الأولى كان شعرا غنائيا وجدانيا رقيقا، سواء كان الوجدان ذاتيا أم جماعيا أم قوميا، وقد عكس في هذا الشعر أشواق روحه وهمسات وجدانه.

وقد صدر أول ديوان للشاعر عام ١٩٣٤م وهو لم يتجاوز السادسة والعشرين من عمره باسم «ديوان صالح جودت» ثم صدر له ديوان «ليالي الهرم» عام ١٩٥٧م، وديوان «أغنيات على النيل» عام ١٩٦٢م، وديوان «حكاية قلب» عام ١٩٦٥م، ثم ديوان «ألحان مصرية» عام ١٩٦٨م الذي يجمع بين الشعر العاطفي والشعر الوطني، وأخيرا ديوان «الله والنيل والحب» عام ١٩٧٥م.

تلك هى دواوين شـاعرنا التي تمثل تطوره الروحى والفنى أصدق تمثيل وأعمقه منذ عهد أبوللو حتى رحيله (١٩٣٢-١٩٧٦).

إن صـالح جودت فنان أصيل في إخلاصه وعذوبة أسلوبه ووحدة بنائه الفني في شعره والتجديد في شعر الحب والغزل وطرافة صوره الشعرية.

لقد جدد في الشعر شكلا ومضمونا في الألفاظ والمعانى والأخيلة والصور، لقد أبدع لنا أجمل أغاريده وأعذبها في الحب والغزل ورسم لنا صورا فنية مبدعة رسمتها ريشة فنان صادق أصيل يغني للحب والجمال والوطنية.

شاعر غنائي حسي لعوب

يقول الدكتور محمد مندور عن صالح جودت (١)

«صالح جودت شاعر غنائي حسى لعوب».

«ولعلنا نستطيع أن نميز هذه الخصائص بسهولة فى الجزء الخاص بالعاطفة فى ديوانه «ليالى الهرم» الذى يمثل مرحلة نضجه، فهو يضم ما قال من شعر منذ سنة ١٩٣٢م حتى ١٩٥٨م، بينما ديوانه الأول لايضم إلا ما قال من شعر قبل العشرين من عمره، وإن يكن ذلك الديوان الأول قد أثار زوبعة عنيفة من النقد الذى قام به المحافظون من رجال

(١) د. محمد مندور الشعر المصرى بعد شوقى.

الأزهر الشريف بسبب قصيدة «الراهب المتمرد» والذي صور فيها راهبا يتمرد على الدين جريا وراء لذات الحس، وهذا التيار أصيل في طبيعة صالح جودت الذي لا يحجم في ديوانه ليالي الهرم عن أن ينظم قصيدة باسم «دين جديد» هو دين الحب المعربد، وفيها يقص قصة عابثة من نوع قصص عمر بن أبي ربيعة في الحجاز وحول مناسكه.

وصالح جودت يحدثنا في استخفاف شعري كيف طارد فتاة من أرز لبنان ذاهبة إلى الكنيسة حيث نحاها ركنا من الدير هادئا ليقبلها فيه.

وغـانيــة من أرز لبنان غـضــة

صليـبيــة الأهواء ليس تلين

ولقد يقول البعض إن في هذا الشعر مجونا وعبثا بالمقدسات، ولكننا في الحق لانراه يتجاوز في المجون الكثير من قصائد الغزل التي يفص بها الشعر العربي القديم منذ امرىء القيس صاحب:

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له

بشق وتحتي شقها لم يحول

حتى عمر بن أبي ربيعة الذي كان يترصد الحسان في مناسك الحج، ولايتورع عن أن يشبب تشبيبا سافرا بشريفات المسلمات.

نحن لانحس بعد ذلك في مجون صالح جودت فجوراً..

بل نحس خفة ودعابة ينطبق عليها ما وصف به نفسه عندما اختتم مقدمته لديوان «ليالي الهرم» بقوله: وأحس أن الروح المصرية هي أخص خصائص هذا الشاعر الذي حدثتك عنه» أي صالح جودت نفسه.

وإن تكن الحسية طاغية على ما يسميه صالح جودت في ديوانه شعر العاطفة، وهذه الحسية قد تصيب شعره بالسطحية أحياناً ولكنها لاتفقده قط تلك الأناقة الأصيلة في شعر صالح، وفي شخصه على السواء كما أن روحه الخفيفة المرحة ودعابته المجنحة تخفف من تلك الحسية فلا نرى فيها فجوراً ولاتهالكاً، حتى عندما يوغل في تلك الحسية مثل قصيدته عن رقصة السامبا:

ودقت نغـمـة الجـازبند ايذاناً بما تملي

وهل تملي سوى الرغبة في ثورتها تغلي

كجزءين حبيبين قد ارتدا إلى الكل

ثم يقول مندور عن صالح جودت:

«أما أنه شاعر عابث لعوب يشف عن روح الصالونات المصرية، وما يجري فيها من دعابات غزلية عابثة فباستطاعتنا أن نجد لذلك أكثر من شاهد في ديوانه «ليالي الهرم» مثل قصيدته «ما اسمك»:

ما اسمك بين الأسامي ... يافتنتي يـا غـرامي
إن قلت أم لم تقـولي ... فاسمك أحلى الأسامي».

★ ★ ★

ويتناول د. فوزي عطوي موقع غزل صالح جودت من التشبيب والنسيب فيرى أنه عالج الغزل الروحاني والغزل الحسي المادي، وتساءل في دراسته هل عمد صالح جودت إلى النسيب والتشبيب معا، بصورة متكافئة متوازية، أم حابى أحدهما على حساب الآخر؟

وهل نظر الشاعر، أيا كان اتجاهه الحسي أو الروحاني، إلي المرأة – الأنثى، أم المرأة – الإنسانة؟

ثم هل أرضى صالح جودت عاطفة الشاعر ومعاناته وشكاواه التي لاتبرأ من التذلل والتوجع؟

أم أرضى كرامة الرجل، كأنما وجد نفسه في الخيار بين عاطفة الشاعر، وكرامة الرجل.

يجيب د. فوزي عطوي عن هذه الأسئلة (١)

«لعل الإجابة الأولى السريعة عن مجمل هذه الاسئلة والتساؤلات، أن مواقف صالح جودت من قضايا القلب والوجدان، وأحاديثه إلى المرأة أو عنها، نسيبا أو تشبيباً،

---

(١) د. فوزي عطوي/ صالح جودت الشاعر والإنسان– دار الفكر بيروت ١٩٨٧/ص٣٥٠.

كانت كلها من التشابك والتعقيد حيناً، ومن التناقض والتباين حينا آخر، بحيث يغدو من الصعوبة بمكان كبير تحديد اتجاه وجدانى من اتجاهات الشاعر، دون ظلم اتجاه آخر له، أو ايضاح موقف معين له من مواقفه تجاه المرأة عموما، دون الالتفات على موقع آخر.

فالواقع أن صالح جودت، وهو الشاعر الذى عرف بالغزل وعرف الغزل به، في مرحلة من مراحل أدبنا الحديث، عالج الغزل الروحانى والغزل الحسى المادى، وتوسل الغزل أحيانا فى مطالع قصائده، كما كان يفعل الجاهليون، واتخذه، فى بعض الظروف، رمزا لشعب، كما هو الحال فى حديثه عن «ليلى العراق» و«ليلى دمشق» فلا غرابة أن نستنتج استنتاجا منطقيا بأن صالح جودت كان شاعرا عذريا، وحضريا بالمفهوم الكلاسيكي للشعر الغزلى العذرى والشعر الغزلى الحضرى، فضلا عن كونه نظر إلى المرأة ككائن لطيف من هذه الكائنات التى تسبغ على الوجود جمالا ورقة وهدوءا، كما نظر إليها ككائن يثير العواصف أنى اتجه، وكان فى كل الأحوال قادرا على أن يواجهها وهو يرتدى «فروة الحملان» الوادعة، المسالمة، أو على أن يجابهها بالخوافى والقوادم وهو فى مثل شموخ البزاة والنسور، بل فى مثل إبائها وعنفوانها،

كأنى به آمن أن معاملة المرأة هى أفسح المجالات لتجسيد المثال الأثير

«إن لكل حادث حديثاً، وإن لكل مقام مقالا».

وبعد هذا، بل فوق هذا كله، كان صالح جودت يهرب من عالم الرومانسية الخيالية الحالمة، ومن عالم الرمزية التصويرية والفكرية معا، إلى عالم الواقع الاجتماعى الملموس، فلا يداور المرأة ولا يناور حولها، بل يحدثه بلغة تقريرية مباشرة، كاشفاً عن براءة لا يتحلى بها غير الشجعان، من كل عقدة نفسية أو جنسية. ولهذا فهو يبدأ منذ مطالع التكوين الوجودى، فلا يرى سببا للوم اللائمين له، ولاسيما إن أتاه اللوم من المرأة حين يكشف عن أفكاره الجريئة، ويدعو المرأة دعوة حسية إلى عالم المتعة واللذة، فكيان الإنسان مجبول بهما، منذ أن عصر آدم وحواء عصير «التفاحة المحرمة» فى عروق نسلهما:

لا تلومينى لأفكارى الجريئه
أول القصة فى الأرض الخطيئه
لا أبونا آدم عف، ولا
أمنا كانت من الذنب بريئه
عصرا فى دمنا تفاحة
ما لنا فيما تغذيه مشيئه

هــي فــي كــل ذهــاب نــغــم
ولهــا ترنيــمــة فـي كل جـيـئــه

وهكذا يجد الشاعر مبررا لانغماسه في اللذائذ، ولدعواته إلى نهل المتع وارتشاف أسباب الصبوات، فآدم أول الأنبياء قد استغنى باللذة عن جنان الخلد المليئة بالهناءات. وهو، بعد هذا، يعتبرها أصل الكون، وأغنية الأجيال، عبر العصور، وما سر استمرار البقاء الإنساني على صفحة الأرض سوى سر التعلق بهذه اللذة التي يشوهها الجاهلون فيسبغون عليها صفات بذيئة دنيئة، رغم كونها ضمانة نشأتهم، وضمانة البقاء لأبناء البشر، ماداموا يتحابون، ويتوالدون :

وحول النظرة الوجودية إلى المرأة يقول فوزي عطوي (١)

« وعلي ضوء هذه النظرية الوجودية إلي علاقة الرجل بالمرأة، أو علي الدقة والتحديد، علاقة الذكر بالانثى، نستطيع أن نفهم الجو العام الذي أشاعه صالح جودت في قصيدته الشهيرة «غجرية» ومطلعها

هـاتي فنونك خلصــا ، ودعي
لغـــة الرقي والرمل والودع

فهو لايؤمن بالحظوظ، وقراءة الأكف، والتنبوء بالمستقبل، ذلك أن حكاية التنجيم والتبصير لاتهزه، سواء وقعت أو لم

---

(١) المرجع السابق (ص٢٥٢).

تقع، وهو يأخذ دنياه أخذا واقعيا وجوديا، لايقيده أمل، ولايحطمه يأس، ولا يقلقه غيب ممزوج بالدمع والسقم، ولهذا، فأنت تراه لايتعجل الدنيا ومفاجآتها، وإنما يكتفي بالتشوق إلى أن يحين الزمان الملائم، وإلا كانت حاله كمثل حال من اقتنى الغرس وخلعه قبل أوان النضوج

أنا آخذ الدنيا، كما قدمت
في غير ما يأس ولا طمع
وأحب أيامي، وإن كشفت
أحداثها عن ألف مصطرع
مالي وللمجهول أعرفه
فأعيش باقي العمر في هلع
لابد من دمع ومن سقم
ودوائر ممرورة الجرع
لم أعرف الآتي وحلكته
إن كان نجمي غير ملتمع؟
ولم التعجل في مفاجأة
حسناء لم تنضج ولم تذع؟
إن التشوق وحده أمل
كالبكر في أحلام مفترع
ومن اقتنى غرسا ليخلعه
قبل الأوان، جنى ولم يبع

وإذا كانت هذه الأبيات التي قدم بها لقصيدة «غجرية» قادرة على أن تتبوأ مكانة بارزة في فلسفة صالح جودت ونظرته إلى الوجود، إن صح أن لكل شاعر بل لكل إنسان فلسفته الخاصة، ففي ظني أنه لم يسبق لي، قبل قراءة قصيدة «غجرية»، أن أحسست بهذا الانسياب الشعرى المترف الميسور الذى لايحس به أحد كما يحس به أولئك الموهوبون الذين أنعم الله عليهم بآلاء الشعر ونعمه، ولم أقرأ، من قبل، وصفا متراقصا، متمايلا، ملهوفا، وبالغ الدقة في آن، كوصف صالح جودت لحركات بنات الغجر اللواتي يمتهن الرقص، والاثارة، والفتنة المجنونة البلقاء.

يقول صالح جودت، مشيرا إلى الحلقة التي تضعها الغجريات في أنوفهن، واسمها «الخزام»، وإلى الاكراميات النقدية التي يرعى بها إليهن الساهرون واسمها «البياض» في لغة «الغجر»، متوسلا هنا أيضا الاسقاط الديني القرآني:

يا زهرة برية نبتت
في قفر واد غير منزرع
هاتي فنونك في أصالتها
غجرية همجية البدع
لي «الخزام» وأطلعي شفة
مشبوبة، محبوبة الدلع

وعن الحب المستحيل عند صالح جودت يقول د.فوزى :

«ولقد يطول بنا حديث الشعر العاطفي الوجداني الغنائي، في دواوين صالح جودت وقصائده المتناثرات على صفحات الصحف والمجلات العربية، لو أحببنا أن نمضي بعد في الحديث عن ذلك اللون المترف من الشعر الذي أستطيع أن أسميه لك، أن شئت «شعر الدلع العاطفي» كما هي حال بعض قصائد «الله والنيل والحب» مثل «السنة المكسورة» التي أهداها إلى الشاعرة الجميلة «ك» وهي الأديبة السورية كوليت خوري وقد أوحت بها إليه سنها المكسورة النائمة بين صفين من اللؤلؤ، و«تصوري» «أي تصوري» و«على النيل» أو بعض قصائد «ألحان مصرية» ، مثل «صغيرتي» و«مينيون»(١) أو تلك المترجمات العاطفية الشعرية .

غير أننا نقف عند ظاهرة «الحب المستحيل» الذي كان يداعب خيال صالح جودت، فلا يراه في الواقع، ولا يلبث، بعدئذ، أن يهرع إلى عالم الخيال، يستحضر تلك المرأة المثالية التي لم تخلق بعد

(١) والعنوان تعريب لفظي للكلمة الفرنسية mignonne وهي المرأة الحلوة قليلة الجسد، ويرى الشاعر مرادفا لها باللهجة المصرية هو لفظ «قطقوطة».

من خيالى فيك أحببت خيالي

وتأسيت على مر الليالي

ذلك أن الخيال يقيد الشاعر كلما أطلقه الحبيب، وهو يفك عقال الحبيب إن قيده حبيبه، وهو فى اللقاء يزجي التهنئات، وأما فى الجفاء، فما أسرع ما يرق لحاله، إن الخيال أحنى فى صبوته من الحبيب، وهو أوفى عنه وأدنى نوالا، فإذا طافت بالحبيب أنشودة حلوة الايقاع، ناداها أن تعالى إلى. ولهذا، فقد بات الشاعر يحب الخيال والحبيب معا. إنه يحب فى الخيال ما يرسمه للحبيب فى خاطره من حلو المجالي فهو مثال بارع، حتى ليبيت حسن من يحبه الشاعر صورة هيأها له روح الخيال الفنان، ولكن الخيال أرحب مدى فى المكرمات:

أنت منان إذا واصلتني

وهو لايعرف منا فى الوصال

أنت مناع الهوي، لكنه

كلما ساءلته لبى سؤالي

ويمضى الشاعر فى امتداح الخيال الذى لايعرف، كالحبيب، سبيلاً إلى القلق والغيرة والذى يتربع على القنن ذات الجلال، بينما يتيه الحبيب فى الأرض وأهوائها

أنت بدري، وهو الشمس التي
ملأت روحك من نور الجمال
فإذا ما حجبت أضواءها
فهلال أنت، أو دون الهلال

ثم إن الشاعر ينسجم مع هذه النظرة التي ترى للخيال ميزة بل ميزات يفضل بها المرأة الواقع، فيرنو إلى «الحب المستحيل» أي إلى عالم المرأة المثال، ويروح يعزف ألحانه اليائسة تحت نافذة «سيراناده» المرأة التي لم تخلق بعد، فإذا هي امرأة في الخيال، يراها الشاعر، جنانا، ولا يراها عيانا، وإذن فهو يرى المثال الذي لم يتجسد في الواقع الملموس، لا بل يصر على رغبته في رؤية المثال من دون الواقع، فلو حقق الواقع له «ليلة القدر» ذاتها، لرفض ذلك الواقع المحال حتى ولو تحقق.

وتبلغ «الأنانية» التي يكابر فينفيها عن نفسه وعن عاطفته الجامحة، مبلغها حين يصف الشاعر لنا أمنيته وغايته من حب المرأة المثال

مناي أن تحيا بفكري، ولا
تخطر في الدنيا لغيري ببال

وما أنانى أنا إنما
أخشى عليها من قلوب الرجال
وهى التى صورها شاعر
مبتكر أبدع فيها الجمال
من عنصر الوهم اجتلى رسمها
والوهم فى الدنيا أعز اللآل

ولكن الغريب في أمر الشاعر أن يعترف بأنه كان هو الفنان الذى صاغ تلك امرأة الخيالية المثالية، ثم أمسى وهو عبد لما صاغه بيديه وكأنه هنا يكرر أسطورة «بيجماليون» :

كناحت «العزي» إذا ما رمي
معوله، ذل لذات الجلال
وسار في الناس بأوصافها
حتى أحبوها بغير اعتدال

ولكن الناس بحثوا، كما بحث الشاعر فى الأرض عن مقام تلك الحبيبة المستحيلة فكانوا وكان كمن يرجمون فى الغيب، ويبدو أنهم سيظلون يبحثون عنها طويلا بغير جدوى.

ويتناول د. فوزى قصيدة «قالت سها» التى وجهها إلى زوجته فمهما عشق ستظل هى الحبيبة الوحيدة، فيقول:

«ولعل أطرف قصائد صالح جودت العاطفية، تلك القصيدة اليتيمة التي ذكر فيها زوجته «سها عبدالحميد الصحن» وبرر لها فيها - أو قل حاول أن يبرر - زئبقيته في الهوى، وتقلب قلبه بين ألوان الحسان اللائي لايدري إلى أيتهن يصبو، فهن ما بين ضامرة يحتويها بكفه، وفارعة يصبو لقامتها الهيفاء، وسمراء لها وقع في القلب، وشقراء لها وثب في النفس، وعاقلة تتجلى فيها الفتن الرواسي، وماجنة مهذارة لعوب، وساذجة تضوع منها البراءة، وماكرة لها دلع ولوب، وقاسية يستهويه ما فيها من روح التحدي، وناعمة مستلذة مستحبة، وهو بينهن جميعا:

يثير جمالهن شجون نفسي
كأن جمالهن على ذنب

ويكرر الشاعر وصف الشانئين له واتهاماتهم لقلبه الزئبقي

وقال الشانئون: فتى لعوب
نوازع قلبه لاتستتب
أحاديث الغرام عليه تترى
وهاتفه المجلجل يشرئب

ويعـبث في مـلاعـيـه كطفل
يظل إلى صدور الغيـد يحـبـو

ويتهمه الشانئون، فوق هذا، بأنه يهيم بامرأة جميلة، فإذا لاحت امرأة أخرى لحق بها، ثم إذا لاحت ثالثة، كبا دونها، وما إن تبدو له امرأة رابعة حتى يخدعها بعهد زائف لايدرى إن كان يبرمه أم يقطعه

ولا تصل الحكاية منتـهـاهـا
ألا تبت حكايتـهـم وتبـوا

ولا يحاول الشاعر في أية لحظة تكذيب هذه «الرواية» التي يقولها «الشانئون» لأنه يعلم يقينا أن أصحاب الرواية صادقون، وليسوا شانئين، كما يتهمهم، لا بل نراه يعمد صراحة إلى تبرير تنقله من فنن إلى فنن ومن زهرة إلى زهرة في روضة الحب الزئبقي

أنا، إن أغـر أحـلام الصـبـايا
بما أغـري، فليس على عـتب
أترجـمـهن للأيام شـعـرا
تضـوع بنشـره صـحف وكـتب
وأمنحـهن من شـعـرى خلودا
كـأنى بالخلود لهن رب..

وإذا صح قول القائل قديما : «إن أعذب الشعر أكذبه» فما أعذب ما يترجمه هذا التبرير من كذب أبلق. إن أيسر سبل الاقناع لدى الشاعر، اسماع المرأة ثناء تحب أن تسمعه . ألم يقل أحمد شوقي

خدعوها بقولهم حسناء
والغواني يغرهن الثناء

والمهم، بعد كل هذه الرواية، أن سؤالا فاجأ الشاعر على ما يبدو، إذ قالت له زوجته «سها» «أتحب غيري؟» فأجابها، رغم «المفاجأة» «وحقك لا أحب» معلنا لها أنه اتخذها، دون النساء الأخريات، هوى مقيماً، له «بيت وناصية ودرب» وأنه باعها عشرته ووهبها اسمه، وهو مهما يرتحل، فإن له إليها أوبة ورجعى

ولكن الخيال يعز إن لم
يحرك شجوه بعد وقرب
يعربد في تبذله، فيحلو
ويقبع في تبتله فينبو

ثم يتساءل ويسأل كيف يسوغ له أن يرد طرفه، وما هو بأعمى، أو كيف يكون له أن يرد قلبه، وما هو بالحجر الصلد، ثم هل يرضى زوجته أن يجفو خياله، وأن يشهد لهفته والنار تخبو من حوله؟ ويلقي أمامها بحد دفاعه الأخير :

وأمـا الأخـريات ، فـهن كـأسي
من الإلهـام، أشـربهـا وحـسب
وهن منابعي في الشـعـر، لكن
إليك المنتـهي، وهنا المصب.

ثم يخلص الناقد «فوزى عطوى» إلى أن صالح جودت كان صدقا وحقا «شاعر الحب» فيقول

«ومهما تعددت مناهج صالح جودت واتجاهاته في الحب، ثم مهما تباينت أساليبه المتأرجحة ما بين رومانسية وواقعية ورمـزية، والمتـوسلة إلى قلوب الغـوانى طرق النسيب أوالتشبيب، فثمة أمر لاريب فيه، وهو أن الحب كان ممتزجا بأنفاس صالح جودت، وكان غذاءه الروحانى، بل أكاد أجزم بأنه كان أيضا غذاؤه الجسدي، لقد كان صالح يأخذ الدنيا كـمـا تجيء إليـه، ويتـقـبل الحب وصـالا وصـدودا سـواء بسـواء، وكان أشد ما يضنيه أن يجد نفسه ذات يوم، وهو ذو قلب خلي من الهم والقلق، أو من السعادة والفرح، فتراه يقول في قصيدته «حب من السماء»

من لامني، إمـا شكوت الهـوي
فـليس يدرى لـذة الشـكوى
أول من أرثي لحـرمـانه

من لم يذق همـــا ولاشـــجــوا

بليت بالحب وأوصــــــابـه

ومـــــا ألذ الحب من بلوي

هل آدم أشـــــقى بحـــــوائه

أم آدم أشـــــقى بلاحـــــوا

ويخلص د. فوزى عطوى إلى أن صالح جودت، كما وصف نفسه فى غير مقام، راهبا يتعبد فى أديرة الهوى الغلاب، يستخفه الجمال أنى تلفت، ويغزو الحب قلبه أيان أقام، فيرسم بالجمال لوحات من الفن العبقرى الخالد، ويغنى بالحب أرق أغنيات النجاوى بين قلوب الوالهين .

وإذا شئنا أن نبحث عن فلسفة للحب عند صالح جودت وجدناه قيثارة للحب والغزل يغرد كما غرد الشعراء العشاق الوالهين، الراكضين خلف بدائع الحسن، وألوان الجمال، فتراوحت انفعالاته العاطفية، وتباينت مواقفه، لأنه شاعر الغزل الطروب والحزين معا، الذى يعزف لنا الشعر والتغريد ويعرف الشجو والدموع فى الوقت نفسه، لأنه شاعر الوجدان الذى يعبر عن أفراح قلبه، وأحزان روحه بصدق وتلقائية، فأصبح بحق قيثارة للحب لكل ألوانه وأطيافه.

الفصل الثالث:

رحلته مع الشعر

لاتقولوا «شاعر مات»
وما قيمة الشاعر في عصر الفضاء؟
قيمة الشاعر في أمته
أنه يفتح أبواب السماء
إنه يزرع ألوان المنى
إنه يبدع ألحان الغناء
إنه يجعل للعمر شذى
إنه يمنح للروح الضياء
إنه يعزف موسيقى النهى
إنه ينشر في الأرض الصفاء

صالح جودت

منذ عام ١٩٧٤ بدأ المرض يثقل على صالح جودت الشاعر الطروب المحب للحياة ، وكان غالبا يضيق بأوامر الأطباء وتعليماتهم ، وسافر إلى مستشفيات لندن فى أواخر عام ١٩٧٥ ، وظل يعانى من المرض العضال الذى هد قواه ، وأرهقه .

ومن أكثر المآسي في حياته أنه عرف أن نهايته قريبة في مطالع عام ١٩٧٦ حيث أطلعه الأطباء على حقيقة مرضه وهو في لندن ، فآثر أن يكون موته على الأرض التي أحبها وعشقها أرض مصر الخالدة ، وما لبث أن فارق الحياة فى ٢٢ يونيه ١٩٧٦ م عن عمر يناهز الثامنة والستين وترك زوجته تبكيه أحر البكاء لحلو صفاته وطيب شمائله...

★★★

وقد مر صالح جودت في صدر شبابه بمحنة صحية خطيرة إذ أصيب صدره بمرض عضال وهو لم يتجاوز العقد الثالث من عمره ، ودخل المستشفى للعلاج واستلهم من وحى هذه التجربة المريرة وهو على فراش المرض قصيدة مؤثرة سماها «نحو الآخرة» وتأثر الأصدقاء والمحبون فكتب الأديب الكبير الدكتور زكي مبارك مقالا بمجلة الرسالة تحت عنوان «شاعر ينبغ فوق سرير المرض» قال فيه (١)

---

(١) الرسالة : ٢٣ سبتمبر ١٩٤٠

«مضت سبعة أعوام والأستاذ صالح جودت يحقد على أبشع الحقد لسكوتي عن التنويه بمواهبه الشعرية ، وما هدأ نار الحقد في صدره إلا عرفانه بأني لا أخصه بذلك السكوت وإنما هو مبدأ أرتضيته ودرجت عليه ، وذلك المبدأ هو الضن المطلق بتشجيع الناشئين ، لأني أعتقد أن كل شئ يجوز فيه التشجيع إلا الأدب والبيان ، فالتشجيع هنا مفسدة ولا يقع إلا من «الجماعة» الذين يحتاجون إلى أسندة من الهتاف والتصفيق ، والتحدث عنهم بحق وبغير حق في الأندية والقهوات والجرائد والمجلات.

وهذا المبدأ هو الذى فرض على جمهور من هذا الجيل أن ينفضوا من حولي ، فما يهمهم أن يذكروني بالجميل في مجلة أو جريدة ، لأنهم لا يذكرون أني طوقت أعناقهم بشئ من التشجيع ، وأنا غير آسف على ما فاتني من ذلك الحظ الجزيل.

ولو أني استبحت التفريط في الحرص على هذا المبدأ مرة واحدة لاستبحته في معاملة الأستاذ صالح جودت ، وهو صديق لا أذكر أنه قصر في حفظ العهد إلا باتهامي بالسكوت عن التنويه بمواهبه الشعرية ، وهو اتهام مردود ، لأني لا أذكر أن أشعاره نقلت قلبي من مكان إلى مكان حتى أجشم نفسي مشقة الدرس لشعره البليغ.

كان صالح جودت يتقاضاني الكلام عن شعره في كل لقاء، وكنت أجيب بأن ذلك سيكون يوم يظفر بدرجة من درجات الجامعة المصرية ، لأني أخشى إن شجعته أن ينصرف عن الدرس وينقطع لقرض الشعر ومراسلة الجرائد والمجلات ، فلما سمع صالح جودت نصيحتي وظفر بالدرجة المنشودة جاء يذكرني بما كنت وعدت ، فهل وفيت بما وعدت؟..

حملني الزهد في اجتلاب المودات على وصل السكوت بالسكوت ، كما كنت صنعت في معاملة صاحب «الجندول».

ثم شاءت الأيام أن أسمع أن صالحاً وقذه المرض فلم يعد بهجة الأندية الأدبية ، ولم يبق رجاء في التحدث إليه إلا بعد استئذان الطبيب

فإن كنتم سمعتم أن الشعراء وصفوا الدنيا بالخيانة والغدر والعقوق فاعرفوا أن ذلك الوصف لم يحق على الدنيا إلا لبغيها الأثيم على مثل هذا الشاعر ، وله قلب أطيب وأطهر من قطرات الندى فوق أزهار الربيع.

ومرت ثوان ودقائق وساعات وأيام وليال وأسابيع وأشهر ولم يخرج صالح من سجن المرض ، فما أطول شقائي بمحنتك القاسية ، أيها الصديق

وعلى حين غفلة أسمع أن الفتى الذى لم يرضنى شعره قد نبغ فجأة فوق سرير المرض فهو الذى يقول فى تصوير ما بقى من أوتار هواه فى دنياه:

فليـــرحم الله آمـــالى وأهوائى
إنى قنعت بهـــذا المخـــدع النائى
بقـيـــة العمــر أيام تـــدب على
صـــدر تهـدم إلا بعض أشـــلاء
أعـيشـهـا ناسكا فى ركن صـومعة
قـامت على صـخـرة كـالموت صـماء
يبـدو خـيـال الأمـانى لى فـأطـرده
حـــتى كـأن الأمـانى بعض أعدائى

ثم يصف عزلة المستشفى وأحوال ساكنيه فيقول

أواه من عـــزلة كـــالسجن مغلقـــة
علـى جــــــــــراح وآلام وأرزاء
مـــا هذه الجـثث الملقاة فى سـرر
أنصـــاف مـوتى على أنصـاف أحـياء
صـفـر الوجـوه كـأن السـقم عـفـرهم
بحـفنـــة من تـراب القـبـر صـفـراء
للآه فـيـهــم تراتيــل منغـمـــة
تنسـاب من قصـبـات نصف خـرسـاء

وما لهم من نهار فيه مرحمة

ولا لهم ليلة ليست بليلاء

ثم يلتفت إلى الممرضة الحسناء – ومن تقاليد المستشفيات أن تكون الممرضات صباح الوجوه إلى حد الفتون ليغرسن بذور الأمل والحياة في صدور المكروبين – فيقول

من يا ممرضتي الحسناء قدر لي

أن ألتقيك بأرض غير حسناء

ماذا أتى بي هنا ؟ ما خضب عافيتي؟

وكيف غال شبابي غائل الداء

قد كان لي موعد في الصيف مرتقب

على الشواطئ بين «الرمل» والماء

فما لذا الصيف يمضي بي على جبل

جهنمي اللظى في جوف صحراء

وأنت هل عطفك المبقي على رمقي

عطف المحبين أم عطف الأطباء ؟

إن كان ذاك فيا سعدي ويافرحي

أو كان هذا فإني في الأذلاء

الحب يشهد أني يا ممرضتي

ما صدني عنك إلا فرط إعيائي

أما بعد فهذه الشاعرية ليست صحوة الموت يا صالح ،

وإنما هى الفجر الصادق ، وسترجع إلينا بعد أيام وأنت فى غاية من عافية البدن والروح.

★★★

وعندما بلغ صالح جودت سن الخمسين كتب مقالا تحت عنوان «اعترافات نصف قرن» استرجع فيه ذكريات الطفولة والصبا والشباب وحكايته مع الشعر والفن والجمال » (*)

«ولدت فى يوم عجيب يوم ١٢ ديسمبر ١٩١٢، أى أننى ، بعد خمسة أشهر فقط ، أكون قد قضيت على ظهر هذا الكوكب نصف قرن من الزمان . وهى مرحلة يجمل بالمرء عندها أن يقف قليلا ، أو طويلاً ، ليحاسب نفسه عما قدمت طوال هذه السنين من خير أو شر وأنا - مع أني محاسب متخرج في كية التجارة - أكره الحساب كراهية شديدة، ولكي أسهل على نفسي إجراء العملية الحسابية التى لابد منها ، لأنها حسبة العمر عمدت إلى أضابيرى أقلبها.

وأول ما وجدت فى أضابيرى ، شهادة الميلاد . وشهادات الميلاد تكون عادة أهدأ وثيقة فى حياة الإنسان . ولكن يبدو أن شهادة ميلادى اقترنت بمشكلة .. فعندما ولدت، كان أبى يعانى سكرات الموت بالمستشفى.

وأرادت أمى أن تسميني عبد الرحمن ، تيمنا باسم أبيها،

(*) الهلال أغسطس ١٩٦٢ - الحقيقة أنه من مواليد عام ١٩٠٨ بعد التدقيق والتمحيص (المؤلف).

فكان لها ما أرادت . وفى اليوم السابع من مولدى ، صنع الأطباء معجزة أنقذت أبي من الموت ، وخرج من المستشفى ليثير معركة كبيرة حول الطفل الصغير ، الذي اسمه عبدالرحمن ، والذى يجب أن يكون اسمه «صالح» تيمنا باسم شقيق لأبيه كان لامعا في دولة الأدب والقانون يومئذ.

كان عمرى - يوم هذه الحكاية - سبعة أيام ، ولا أظن أنه كانت لى أذنان تسمعان أو ذاكرة تعى تفاصيل الخناقة ، ولا الألفاظ الجارحة التى تبودلت بين أبى وأمى يومئذ ، وكل منهما متمسك بقراره ، فى اعتزازهما: هى بأبيها وهو بشقيقه...

ولكن الرجل انتصر في النهاية ، وصدر إعلام شرعى بتغيير الاسم ، ومات عبد الرحمن وولد صالح جودت.

كان لنا بيت صغير فى مصر الجديدة ، تلفه حديقة لطيفة. وفى طفولتى المبكرة كنت أسمع أبى وهو ساهر فى الحديقة بالليل ، وحوله نفر من أصحابه ، يتلو عليهم كلاما منغما عرفت أنه اسمه شعر.

وكانت في البيت مكتبة ثرية ، وكان أبي كلما ضاق صدره يمد يده إلى كتاب منها بالذات ، يطيل النظر فيه.

وعندما تعلمت فك الخط ، مددت يدى إلى هذا الكتاب تعرفت من عنوانه أن اسمه «مقامات الحريرى» وفى السابعة أو الثامنة - وأنا بالمدرسة الابتدائية - بدأت أقرأ مقامات الحريرى.

ثم ظفرت بالشهادة الابتدائية وعمرى عشر سنوات وقد أسكرتنى كلمات ناظر المدرسة أننى أصغر من نال الشهادة الابتدائية ، وكانت نتيجة هذا أننى تعثرت بالسنة الأولى بالمرحلة الثانوية لمدة ثلاث سنوات متصلة حيث كنت أقضى جل وقتى فى مسارح عماد الدين ومسارح روض الفرج.

وفى هذا الجو الساحر المفعم بألوان الفن وسحر الأدب والجمال تشربت روحى النغم وتعرفت على عشرات من النقاد والممثلين والمؤلفين والمطربين والمطربات.

كنت اسهر الليل ولا أعود إلى البيت قبل الثانية صباحاً.

أصبحت فنانا بوهيميا بعد أن اندفعت فى هذا التيار الساحر بلا وعى فأنسانى دراستى ومستقبلى العلمى.

ولكن المعجزة حدثت حينما قرر أبى - وهو يعمل يومئذ مهندساً بالمنصورة - أن ينتزعنى من جو القاهرة، ويلقى بى فى مدرسة المنصورة الثانوية ، لعلى أفلح.

وأفلحت المحاولة فعلا ... ومرة أخرى أصبحت أول فصلى كل سنة ، والعبرة التى أحب أن أخرج بها من هذا الاعتراف فى هذه المرحلة ، أننى استطعت أن أستغل الفشل. وأزرع أرضه حبات النجاح فالسنوات الثلاث التى ضيعتها فى جو المسرح هى التى هيأت لى - بعد حقبة طويلة - أن أكتب الأغنية والقصة والمسرحية وأن أمارس صناعة النقد.

والمنصورة أرض طيبة ، تنبت الحب والجمال ، وتثير الشعر والخيال وعلى ضفاف المنصورة ، تعرفت إلى زميلين لي في المدرسة ، هما الشاعران محمد الهمشري ومختار الوكيل (مدير الإدارة الاقتصادية بجامعة الدول العربية الآن) كانا ينظمان شعرا جميلاً ، فشاركتهما فيما يصنعان.

وكنا نخرج من المدرسة ، لنلتقي بشاعرين يكبراننا سنا ، هما الدكتور إبراهيم ناجي ، والمهندس علي محمود طه ... شاعر الجندول وتحولت الحياة كلها عندي إلى ملحمة شاعرية.. فلم أعد أفكر في شئ إلا الشعر حتى النثر كنت أكرهه.

إلى أن قرأت يوما مقالا في مجلة أسبوعية معروفة ، بإمضاء «أديب محايد» يتهجم فيه كاتبه على أم كلثوم ، وكنت أعشق أم كلثوم من بعيد. وثرت من أجل أم كلثوم . وكتبت مقالا عنيفا أفند مزاعم الأديب المحايد وبعثت به إلى المجلة ، التي نشرته في مكان حفي ، وبقلم الأديب الكبير الأستاذ صالح جودت كان عمر هذا الأديب الكبير يومئذ ١٤ سنة.

وعندئذ أدركت أن الشعر ليس كل شئ ... بل أن للنثر جماله ، وأجمل ما فيه هو لقب «الأديب الكبير».

وأخذت أراسل هذه المجلة ، وأكتب فيها مقالا كل أسبوع، وأظفر بلقب «الأديب الكبير» كل أسبوع.. إلى أن نجحت في

البكالوريا ، وزحفت إلى القاهرة.

وذهبت لأقابل رئيس تحرير المجلة ، الذى دهش عندما علم أن الشخص الذى خلع عليه لقب الأديب الكبير ، ليس إلا غلاما قادما من المدرسة الثانوية ليلتحق بالجامعة.

وخرجت من عنده مكسور الجناح ... ولكننى رغم هذا واصلت الكتابة ويركبنى الغرور – قاتله الله – مرة أخرى وأتصور أننى صعدت إلى السماء ... بحيث لا أستطيع أن أكون تلميذا وأستاذا معا ... تلميذا فى كلية التجارة ، وأستاذا فى مجلس إدارة جمعية أبوللو ، صاحب كرسى إلى جانب كرسى أمير الشعراء أحمد شوقى ، وشاعر القطرين خليل مطران...

وتتكرر المأساة ... مأساة السنة الأولى فى المدرسة الثانوية . تتكرر فى السنة الأولى بكلية التجارة ، وأرسب ثلاث سنوات متتالية ! ويتكرر نفس الشعور .... هل صحيح أننى ضيعت هذه السنوات الثلاث هباء من العمر؟

أحاسب نفسي الآن، فأجد أنني كنت مخطئا حين اعتقدت أنها ذهبت هباء..

أبدا..

لقد تعلمت خلال هذه السنوات الثلاث أشياء كثيرة وكبيرة. وتعلمت كيف أقرأ ... وماذا يجب أن أقرأ فى كل

أدب عالمي، وتعلمت أن القراءة أجمل متع الحياة . وتعلمت أن الأديب الذي يكف عن القراءة يوما واحدا، يصاب فكره بشلل جزئي ... تماما كالشلل الجزئي الذي يصيب ساقي لاعب الكرة إذا كف عن التمرين اليومي، وكالشلل الجزئي الذي يصيب أنامل عازف القانون إذا كف عن العزف اليومي.

أما كيف خرجت من محنة الرسوب المتوالي فقصته تحملني على الاعتراف بجميل رجل هو الآن في ذمة الله ، هو المرحوم الدكتور زكي مبارك أصدر الدكتور زكي مبارك كتابا قيما عنوانه «النثر الفني في القرن الرابع» وقررت جمعية أبوللو أن تقيم له في هذه المناسبة حفلة تكريم بدار سينما كوزمو.

كان ذلك قبل امتحاني بأسبوع واحد .. وتركت دروسي ، وسهرت ليلتين أنظم القصيدة التي سأتلوها في حفلة التكريم وذهبت إلى الحفلة. وعند الباب ، لقيت المحتفي به ، الدكتور زكي مبارك ، الذي ما كاد نظره يقع علي حتى صاح في وجهي بأعلى صوته أمام ملأ من الناس:

* أنت جاي تعمل ايه هنا؟

* جاي أقول قصيدة.

* أمشي يا ولد ذاكر دروسك .. أنت ناسي ان امتحانك الجمعة الجاية..

ووجمت لحظات أمام هذه الوقاحة – أجل .. لقد سميتها يومئذ وقاحة – وغرقت في بحر من نظرات الناس الراثية حولي ، وعدت إلى البيت وكلي حقد عليه ، وعلى الشعر ، وعلى الأدب.

وانكببت على كتب كلية التجارة، ولم أنم خمسة أيام ، ومر الامتحان ... ونجحت .. وأصررت على أن اترك الأدب إلى أن أنجز دراستي إلى نهايتها .. وهكذا تخرجت، وكنت الأول !

الدرس الذي استفدته من هذه التجربة، أن الطالب يباح له أن تكون له هواية . ولكن لا يجوز له أن يدع هذه الهواية تشغله عن دراسته أبدا ، إلى الحد الذي يهدد بالقضاء على مستقبله العلمي أو المهني.

بعد ذلك التاريخ بعشر سنوات ، فكرت في أن أكون دكتورا في العلوم السياسية والتحقت بالدراسات العليا ، وحصلت على الدبلومين بامتياز ، وكنت أول دفعتي في الماجستير . وأعددت رسالة الدكتوراه عن «الدولة المثالية في القرآن» وإذا بخطاب من الجامعة يقول لي إن الجامعة لا توافق على موضوع الرسالة.

كان ذلك سنة ١٩٥٠ ... في عهد الملك فاروق . والسبب غير مذكور في خطاب الجامعة ، ولكنه معروف أن الدولة المثالية في القرآن لابد أن تكون هدما للدولة التي يجلس على عرشها فاروق ومزقت الرسالة وتنازلت عن الدكتوراه.

إننى لا أروى قصة حياتى فى هذا المقال ، فما هى بالشئ الذى يهم القارئ . ولكننى أنتزع من هذه القصة اعترافات لم أكتبها قبل اليوم ، لأقدمها للشباب ، لعلها تهديهم فيتجنبوا عثرات الطريق ... عثرات الطفولة .. عثرات الطيش .. عثرات الرسوب ... عثرات الهواية .. عثرات الأدب ... عثرات الفن!»

وحول تجربته مع القلم يكتب صالح جودت حكايته وتجربته فى ميدان الأدب والفن والشعر (*)

«أضحك كثيرا حينما أذكر تجاربى مع الحياة أذكر أننى حاولت - فى صباى - أن أكون بطلا رياضيا . ومارست أكثر من لون من ألوان الرياضة ، ككرة القدم ، والتنس ، والتجديف ، وكرة السلة ... و ... و ... ولكنى لم أستطع أن أكون بطلا فى شئ منها ... أبدا

وحاولت أن أكون فارسا .... ومرة .... جمح بى الجواد ... وطار بى لمسافة طويلة بسرعة خيل السباق ، وأنا ثابت فوق ظهره ، وصحابى يرمقوننى فى ذهول ... وفجأة وجدت نفسى أمام ترعة واسعة ... وأشفقت أن يستطرد الجواد فى سيره فألقيت بنفسى من فوق ظهره ، وسقطت سقطة فاجعة... وأذهلنى بعد ذلك أن أرى الجواد يتوقف على بعد خطوة منى.

(*) الهلال مارس ١٩٧٤

أما أنا فقد كسرت ساقي ، وبقيت في الجبس شهرا كاملاً... وحاولت أن أكون ممثلاً ... وعرض على الممثل الكبير جورج أبيض ، رحمه الله ، أن أقوم معه ببعض مشاهد من الروائع التي اشتهر بها ، مثل لويس الحادي عشر وأوديب وعطيل ، على أن تشترك معنا ابنته سعاد.

وكانت «البروفات» تبشر بالنجاح ولكني حينما وقفت على المسرح أول ليلة ، أمام الجماهير لم أذكر كلمة واحدة من الدور الذي سأمثله ، وهو دور الأمير نيمور في مسرحية لويس الحادي عشر ... وأردت أن أستعين على فقدان ذاكرتي بسيجارة ، وأخرجت من جيبي علبة سجاير «لاكي سترايك»

فصرخ جورج في وجهي ، وكان من عادته إذا غضب أن يتحول إلى اللهجة اللبنانية : «شو عم بتسوي يا أزعر ... أيام لويس ما كان فيه سجاير لاكي سترايك ..!» وضحك الجمهور، ونزلت الستارة ، وأسرعت إلى الهروب من الباب الخلفي للمسرح ... ولم أعد إليه أبدا.

وحاولت بعد تخرجي في كلية التجارة، أن أكون محاسبا .. وأنشأت مكتباً للمحاسبة ، ونجحت نجاحاً لم أكن أحلم به... ولكن بعد سنة واحدة ... تغلب حبي للمعروف على حبي للأرقام ، وجاء اليوم الذي أصبحت أشعر فيه أن هناك ثعبانا

يطل من كل رقم ... فاعتزلت عالم الحسابات ، وتفرغت لعالم الكلمات .

«بدأت تجربتي مع القلم في موعد مبكر جداً من العمر كان جدى شاعراً ينظم الشعر باللغتين الفرنسية والتركية.. وكان أبى هو الآخر شاعراً ، ينظم بالعربية ، وله قصائد كثيرة منشورة فى صحف زمانه.

وهكذا نشأت والشعر في دمي . وكنت في طفولتي أرى أبي يجلس وحوله أصحابه كل ليلة فى حديقة بيتنا بمصر الجديدة ، ويقرأ عليهم من الشوقيات ، إذ كان مفتونا بشوقى، وكان يعده سيد القدامى والمحدثين

وفى هذه السن المبكرة ، أعجبنى جرس الشعر الذى أسمعه كل ليلة ، فحاولت أن أقلده وأنا فى السابعة ، قبل أن أحسن القراءة والكتابة

وكانت في البيت مكتبة كبيرة ، بدأت أقلب فيها متفرجا ، ثم متصفحا ، ثم قارئا ، حتى لقد قرأت «مقامات الحريرى» وأنا في العاشرة . وبهرتنى براعة الصنعة التي فى هذا الكتاب ، وفتحت عيني علي ما هو فى جوهر اللغة العربية من جمال . ثم بدأت أقرأ الشوقيات حتى حفظتها جميعا وأنا فى

الثانية عشرة ، وخلبتني موسيقاها حتى أصبحت – ومازلت حتى اليوم – أومن بأن الشعر هو أول ما يكون موسيقى وإن على من ينظم الشعر وهو لا يحسن الموسيقى أن يهجر الشعر إلى النثر وفي تلك السن ، كنت تلميذا بمدرسة المنصورة الثانوية – إذ كان أبي يعمل مهندسا هناك – وحدث أن جاءت فرقة يوسف وهبي إلى المنصورة ، واستضافته المدرسة هو وفرقته، وقلت قصيدة في تحية الفنان العظيم

ويبدو أن القصيدة أعجبت المحتفى به ، فأخذها مني ونشرها في صحف القاهرة . وفي العام نفسه ، قرأت في مجلة «الصباح» ... وكانت من أشهر المجلات الأدبية والفنية يومئذ ، وكان من كتابها الدكتور زكي مبارك وصديقنا الدكتور سعيد عبده... أقول قرأت فيها مقالا يتهجم فيه كاتبه على أم كلثوم، فأمسكت بالقلم، وكتبت مقالا طويلا محتدا أدافع فيه عن أم كلثوم ، وبعثت به إلى المجلة ، التي نشرته «بقلم الأستاذ الكبير صالح جودت».. دون أن يدري صاحبها أن هذا «الاستاذ الكبير» عمره ثماني عشرة سنة.

ومنذ يومئذ لم أنقطع أسبوعاً واحداً عن مراسلة هذه المجلة ، تارة شعرا وطورا نثرا ، وينشر هذا وذاك جميعاً باسم «الاستاذ الكبير» .. دائماً.

حتى إذا حصلت على الثانوية العامة - وكنا نسميها البكالوريا - وتأهبت لدخول الجامعة ، أحسست أن بي من الجسارة ما يكفل لي أن أذهب لمقابلة صاحب المجلة لأقدم له نفسي لأول مرة.

* وذهبت وسألني : أين والدك؟
* قلت له   أتعرف والدي؟
* قال : طبعا الاستاذ الكبير صالح جودت.
* قلت له   أنا صالح جودت

وتفرس في وجهي، فرأى أمامه صبيا في الثامنة عشرة من عمره ، فاستصغر شأني ، وأدرك «الخطأ الكبير» الذي وقع فيه خمس سنوات طوال ، وربت كتفي ، ودفعني برفق إلى الباب.

وكانت عنده لي قصيدة ... وظهرت المجلة بعد ذلك ، فإذا بها هذه العبارة في باب «رسائل القراء»:

«جاءتنا من الأديب صالح أفندي جودت قصيدة نجتزئ منها هذه الأبيات» .. وبعد ذلك .. ثلاثة أبيات أو أربعة ، من قصيدة طولها ثلاثون بيتا!

وهكذا هبطت من «الاستاذ الكبير» إلى «صالح أفندي» في غمضة عين ... فأقسمت أن أهجر القلم ، وكرهت الشعر والنثر ، وقررت أن ألتحق بكلية التجارة ، بعد أن كانت

وجهتي كلية الآداب.

ولم تمض أسابيع . حتى تلقيت من صاحب المجلة نفسها، رحمه الله ، مكالمة رقيقة يدعوني فيها إلى لقائه ، فترددت قليلا ، ثم ذهبت ، فإذا هو يحسن استقبالي هذه المرة ، ويقدم لي القهوة ، و يسألني أن أواصل الكتابة كل اسبوع ، بأجر لا بأس به .. ثمانية جنيهات في الشهر.

كان الجنيه جنيها .... وكنت لا أزال طالبا يتناول مصروفه من أبيه .. وهكذا وجدت الأجر مغريا ، فقبلت على الفور . ومنذ ذلك اليوم ، أصبحت الهواية احترافا .. ومنذ ذلك اليوم أيضاً ، لم أنقطع عن الكتابة في الصحف اسبوعاً واحدا حتى اليوم.

في عهد المدرسة الثانوية بالمنصورة كانت المنصورة خميلة شعرية جميلة يغني فيه الدكتور إبراهيم ناجي شاعر الاطلال، وعلي محمود طه شاعر الجندول ، ومحمد عبد الغني حسن شاعر الاهرام ، و م ع . الهمشري شاعر الأعراف ، ومختار الوكيل ومحمد رجب ، وجميلة العلايلي وغيرهم من البلابل التي هجرت الشعر فيما بعد.

وكانت لنا جميعا ليال حلوة على شاطئ النيل بالمنصورة، ومن عجائب الاتفاق أننا - الهمشري وأنا - حينما نلنا البكالوريا وجئنا إلى القاهرة لنلتحق بالجامعة ، نقل ناجي

إليها أيضاً ، طبيبا بالسكك الحديدية ، وعلي محمود طه كذلك، مهندسا بوزارة الاشغال ... وكانا يكبراننا بعدة سنوات.

وفي هذه الفترة قامت جمعية «أبوللو» برئاسة أمير الشعراء أحمد شوقي ، وأمانة الدكتور أحمد زكي أبو شادي.

وراح أبو شادى - رحمه الله - ينقب عن الشعراء الشبان، ويجمعهم حوله ، وهكذا التففنا حول رسالة «أبوللو» ووجدت نفسي وأنا دون العشرين ، عضوا بمجلس إدارة الجمعية ، ممثلا للشباب ، أجلس إلي جانب أولئك الفحول من شعراء ذلك العهد ورواده الفكريين ، وأكتب معهم في مجلة واحدة ، بعد أن كنت لا أراهم إلا في الأحلام.

ثم نشبت المعركة بين مدرستي شوقي والعقاد ، فاندفعت مدافعا عن شوقي، مهاجما خصومه بعنف وضراوة ، وكانت هذه أول معركة أدبية أخوضها في حياتي.

وإن كنت قد طرحت حماقة الشباب بعد ذلك بسنين طوال، وعرفت قدر العقاد واقتربت منه ، وجلست معه طويلا في مجلس الفنون والآداب إذ كان مقررا للجنة الشعر ، وصفت نفسه لي كما صفت نفسي له ، وإن كنت قد بقيت علي الولاء لأمير الشعراء أحمد شوقي ، كسيد للقدامي والمحدثين وكان

العقاد – رحمه الله – لا يغضب من مجاهرتى له بذلك ، بعد وفاة أمير الشعراء

وفى «أبوللو» أصدرت أول ديوان لى باسم «ديوان صالح جودت» وأهديته إلى الصورة الحلوة التى كانت تستهوينى دائما فى صدر الشباب ... وحتى اليوم ... «إلى العيون الزرق والشعر الذهب».

وكان الديوان حافلا بما يحفل به شعر الشباب – ابن الحلقة الثانية – من شك فى كل شئ ، وتمرد على كل شئ ، مما أوقفنى أمام حملة ضارية من الشيوخ ، ولا سيما شيوخ الأزهر لم أكن لأحتملها ، وهجرت الشعر حينا ، ولكنه غلبنى فعدت إليه بعد حين.

عدت إليه هذه المرة ، بعد أن ازدادت قراءاتى ، وتعمق وجدانى فيما أقرأ ولا سيما فى أدب التصوف والمتصوفين ، فعدت إلى الله ، قوى الإيمان به ، مفرطا فى الحب لذاته ، لا ابتغاء لجنته أو خشية من ناره .. ومازال حبى لذاته – جل وعلا – يتصاعد يوما بعد يوم ، حتى لأوشك الآن أن أكون من المتصوفين دون أن أهجر الدنيا أو أزهد فى نعيمها . ذلك أنى أعتقد أن الله لم يخلق نعيم الدنيا لكى يحرمنا منه أو يعذبنا بتركه ، بل لنستمتع به فى حدود من رضا الله وراحة

الضمير وطاعة القانون.

وغمرتني موجة الإيمان إلى حد أنني بعد تخرجي في كلية التجارة . قسم العلوم السياسية ، عكفت على إعداد رسالة الماجستير في موضوع «الدولة المثالية في الإسلام».

ولم يتخل الله عني أبداً...

مررت بعشرات من المحن ، وصمدت لها جميعا مؤمنا بأن الله سينصرني في النهاية في بعض الأونة ، وقعت الواقعة بيني وبين أحد الوزراء الغلاظ - وكان عسكريا - فأصدر قرارا عسكريا باخراجي من وظيفتي - وكنت يومئذ مراقبا للإذاعة - وخرجت إلى الطريق مغضوبا على من الحاكمين ، وليس في جيبي أكثر من بضعة قروش لا تقوم بأود.

وتصورت أن أحدا لن يجرؤ على استخدامي بعد هذه الغضبة العسكرية... ولكني كنت واسع الأمل في وجه الله ، ولم تمر أربع وعشرون ساعة ، حتى وجدت أمامي ثلاثة عروض ، لا عرضا واحدا ، وكان أدناها إلى نفسي عرض من دار الهلال ، أن أعمل بها مديرا لتحرير مجلة المصور ، براتب يعادل ضعف راتبي بالإذاعة ، فقبلت على الفور.

وبعد أيام من هذا الحادث ، رأيت الوزير الغليظ يخرج من وظيفته ويعمل في إحدى الصحف ، وبعد أيام أخرى

رأيته يخرج من وظيفته ويقبع فى بيته.

وقلت سبحان الله

أحسنت اللغات العربية والفرنسية والإنجليزية منذ صباى، فتفتحت لي عوالم واسعة في دنيا القراءة ، وروضت نفسي على أن أقرأ كل شئ وفي كل فن

وفي أول شبابي ، أحببت فن الترجمة وترجمت عدة روايات، وربحت منها ما أعانني على أن أحيا حياة ترف ، وأقتني سيارة ، وأجالس من هم أكبر مني سنا وعلما ، وأكثر مني مالا وجاها ، وأحس أنني ند لهم ويحفزني علمهم إلى الاستزادة من العلم حتى لا أكون دون إدراكهم إذا تكلموا ، ودون مستواهم إذا ناقشوا أمرا من الأمور.

وتفتحت لى أبواب السفر ، فطفت بكل أرض حتى بلغت القطب شمالا واليابان شرقا ، وأمريكا غربا ،.ومن ثم أقبلت على ممارسة أدب الاسفار، ومنه كتابي «قلم طائر».

وأحببت العمل إلى حد أنى لم أظفر بأجازة منذ ربع قرن، ولعل سجلاتي في دار الهلال شاهدة على هذه الحقيقة.

نعم .. قد أسافر إلى مكان بعيد ، ولكني حينما أسافر ، لا أترك القلم من يدى أبداً.

وهكذا بلغت كتبي زهاء ثلاثين ، فى الشعر والقصة القصيرة والرواية والسيرة والترجمة وأدب الرحلات .

بيد أن الشعر هو أكثر ما أعتز به ، وأيسر ما خلقت له ، وأحسب أنني وصلت فيه إلى شئ ، ولعل هذا الوهم تمثل لي كحقيقة بعد أن خضت كثيراً من المسابقات في شبابي ، فكنت أظفر منها دائما بالجائزة الأولى وأدناها إلى ذاكرتي الآن ، جائزة الأغنية الشعرية التي أقامتها الإذاعة في أول عهدها ، ثم جائزة «مشروع القرش» ثم جائزة «أحسن قصيدة في السد العالي» ثم جائزة الدولة للشعر ، التي كنت أول من نالها سنة ١٩٥٨ . ذلك انني أخلصت للشعر ، وأوضحت منهجي فيه، وعرفت المعاناة في سبيل احسانه ، ولم أحاول أن أنحرف إلى المذاهب السهلة منه ، كالشعر المنثور أو المرسل أو الحر ، لايماني بأن الفن معاناة جمالية ، وتجربة وجدانية ، وبوتقة شديدة الدفء تنصهر فيها عناصر اللغة والموسيقى والخيال.

وإذا كان لي أن أفضى إلى المقبلين على الشعر من الناشئة بشئ من حصيلة تجربتي مع الشعر ، فإني أقول لهم:

إن الثقافة العميقة والمنوعة ، المستقاة من سائر الموارد القديمة والمعاصرة ، هي أول عدة الشاعر الذي يريد أن يحتل

مكانا فى هذا العصر.

وإن التمكن من اللغة بدراسة التراث والقواعد والأساليب، والهيام بقراءة المعاجم والموسوعات ، جسر أساسي للشاعر الذى يرنو إلى التفوق والسموق

وإن الموسيقى هى أم الشعر ، ومن ثم فإنى أحب للشعراء أن يدرسوا الموسيقى بمختلف ألوانها . وإن عصر الشاعر الصعلوك ، الذى يتكسب بشعره ، أو يجوع ويعرى ويتشرد فى الطرقات ، قد انتهى ولا مكان فى عصرنا إلا للشاعر المثقف ، الأنيق ، المثمر ، ولهذا ينبغى للشاعر أن تكون له مهنة يتكسب بها ، كالطب أو الهندسة أو المحاماة أوالصحافة أو التجارة أو غيرها ، حتى يعصم شعره من شبهة التكسب ويجعل الشعر فى أعماقه هواية لا احترافا طوال حياته.

وأن يبتعد عن السطحية ويحب المعاناة ويلتزم بما ينبع من نفسه لا بما يمليه عليه مذهب أو نظام أو حكم أو كسب مادي، وأن يقرأ ويتعمق ليؤمن ، فالشاعر الذى يحمل إيمانا أعمى، هو أعمى . والشاعر الذى لا يحاول أن يصل إلى الله، وينكر أعلى قيمة فى الوجود تهون فى وجدانه بعد ذلك جميع القيم التالية وهى الشرف والفضيلة والكرامة والكبرياء».

وقد اعتاد صالح جودت الدخول في كثير من المعارك الأدبية بسبب تمسكه بأصول الشعر العربي وقواعده ، وقد فصل نظريته في الشعر العربي في مقال له تحت عنوان «نظريتنا في الشعر» قال فيه (١)

«في البدء كانت الكلمة ..

وأول ما كانت الكلمة كانت شعرا لا نثرا وهكذا شاء الله أن يولد الشعر من الأزل ، ليعيش إلى الأبد .

وهذا هو شرف الشعر على النثر ، حتى لقد قيل إنه لم يحفظ من المنثور عشره .

فسر الضياع في النثر اذن أنه لا وزن له ، وسر الحفظ في الشعر أنه موزون.

وليس معنى هذا أن كل كلام موزون يكون شعرا يدخل ذمة التاريخ، فإن بنية الشعر – كما قال أبو هلال العسكرى – أربعة لفظ ومعنى ووزن وقافية.

«وهذا هو حد الشعر ، لأن من الكلام موزونا مقفى وليس بشعر ، لعدم الصنعة».

قلب الشاعر

إذا كان لكل شاعر حكاية حب واحدة أو حكايتان، فإن

---

(١) الهلال / ١٩٦٤.

لصالح جودت عشرات من حكايات الحب، حاول خلال ديوانه «حكاية قلب» أن ينقلها بأمانة إلى الناس علق عليه الأديب كمال النجمي (١٩٢٣-١٩٩٨) فقال (١)

«الديوان الجديد للشاعر العاشق -إلى الأبد- صالح جودت، يلخص الشوط الذي قطعه في رحلة الحب الطويلة خلال شبابه الثاني.. أي خلال عشرين عاما انقضت بعد شبابه الأول..

والشباب الأول عند صالح جودت ينتهي في الثلاثين من عمر الأنسان، ثم يبدأ شبابه الثاني

فاذا كان المرء شاعرا عاشقا كصالح جودت، فإن شبابه الثاني لا ينتهي ولو بلغ الثمانين أو التسعين من عمره السعيد..

وهذه الحكمة نقشها صالح جودت على غلاف ديوانه الأنيق، كأنه يدعو كل قارئ إلى الإيمان بها: «الشباب الثاني لا ينتهي الا بانطفاء شعلة الحياة».

وفي ظلال الشباب الثاني الظريف المختال كالطاووس نظم صالح جودت قصائد ديوانه الجديد وسماها «حكاية قلب».. فجاءت هذه الحكاية تسجيلا منغوما أمينا حلو المذاق لمغامرات شبابه الثاني التي لا تقل توهجا واندفاعا عن

---

(١) الكواكب/ ١٨ يناير ١٩٦٩

مغامرات شبابه الأول المأثورة.

هذا الشاعر ذو القلب الخافق بحكاياته التى لا تنتهى، ينتقل من شباب إلى شباب، بنفس الخفة والرشاقة والسهولة التي ينتقل بها من غرام إلى غرام.

وما أطيب الحياة، وما أهون تكاليفها، حين تكون انتقالا من شباب إلى شباب .. ومن غرام إلى غرام..

غير أن طيب الحياة وهوان تكاليفها على هذا النحو الذى يبدو من السطح اللامع المعطر لأشعار صالح جودت، ليس الا انطباع الوهلة الأولى العابرة من قراءة هذه الأشعار..

فاذا أنعمت فيها النظر، وتأملتها على مهل، رأيت خلف أبياتها الثملة الراقصة وجه الشاعر مكسوا بالالم والملل واليأس والرغبة فى الهروب !

فبعد ثلاثين عاما قضاها فى عالم المرأة السحرى، لم يعد يجد فيه ما يجتذبه بقوة وعمق .. وتساوت لديه فى نهاية المطاف ذات الشعر الذهبى وذات الشعر الكستنائى..

وكثرت النهايات الحتمية التي ينقضى بها كل غرام وتختفى بها كل امرأة من حياة الشاعر، حتى سئم من تكرار الحب.. فكل بداية حب جديد، تفضى إلى نهاية حب قديم..

وهذا هو السبب فى أن كل قصيدة من ديوان «حكاية

قلب» ترسم صورة امرأة جديدة..

والسعيدة عند صالح جودت هي من تظفر منه بقصيدتين أو ثلاث فقلبه -بعد طول تجاربه- أصبح يسع كل وجه جميل، وكل عين سوداء أو زرقاء، وكل شعر ذهبي أو بلاتيني..

وعندما تسأله احدى عرائس ديوانه أمازلت تصبو إلى العيون الزرقاء والشعر الذهبي ؟ فإنه لا يكذب، ولا يقول لها : إلا الحقيقة والحقيقة يشرحها بقوله:

وانتهينا إلى الحديث عن الحب فقالت في رقة وحياء

أترى أنت لا تزال على عهدك تصبو للأعين الزرقاء

وتشيم الجمال في ذهب الشعر فتهفو لوجه الوضاء

قلت لازلت غير أني تغيرت .. وبات الفؤاد رحب الفضاء

إن قلب الفنان يسجد للحسن.. بشتى الظلال والأضواء

وهكذا أصبح قلب الشاعر .. كل قصيدة جديدة .. وراءها وجه جديد، أو فكرة جديدة عن وجه قديم تجعل منه في نظر الشاعر وجهاً جديداً..

ومن هنا كان الحديث عن الصغيرات والصبايا في ديوان صالح جودت أكثر من الحديث عمن طرقن أبواب الشباب الثاني .. أي أصبحن - كالشاعر نفسه- في منتصف العمر..

فإن الصبايا يستهويهن الشاعر العملاق الذى تسلل

الشيب إلى رأسه، ويجدن فيه فارسا غامضا محفوفا بضباب مثير، يحلق بهن في سماء الخيال..

أما ذوات الشباب الثاني، فلا الشيب يستهويهن، ولا فارس الضباب يهز قلوبهن، ولا يجدن أية متعة في التحليق إلى سمائه العالية.

إلا أن الشاعر برغم تمسكه بوهم الشباب الثاني، يشعر في أعماقه بغضاضة من فارق السن في دنيا الحب ..

ففي الحب الشاعري -كما في الزواج- لابد من حدوث تعقيدات معينة بسبب الفارق الكبير في السن، وصالح جودت يعترف بهذا كله في قطعة شعرية بديعة يقول فيها:

لك الله، مــــالك يا طفلتي
تذوبين في حسبك الصامت؟
أطالعه في اختلاج الشفاه
وفي لونك الشاحب الباهت
وأقرأه في اضطراب القميص
على صدرك الخافق النابت
وما كنت يوما حديد الشعور
ولا كــــان قلبي بالمائت
ولكن.. أتصلح عشرون عاما
تدورين في طوقها الكابت
لحب فتى جاوز الأربعين

يجسر في عمره الفائت
ويسمع منك نداء الشباب
وترهبه ضحكة الشامت ؟

ولكن .. لماذا يخاف صالح جودت من ضحك الشامتين به في مغامرة الحب بين الربيع والخريف ؟

أليس هو الشاعر الفاتك الذي يصور نفسه في ديوانه في صورة «كازانوفا» و«دون جوان» وبقية الفاتكين في عالم الغرام ؟

بلى .. إنه لكذلك عند نفسه.. إنه هو بعينه الشاعر المغير على نبض قلوب العاشقات ..»

عاشق الإسكندرية

كان صالح جودت من أبرز عشاق مدينة الاسكندرية بما تمثل له من سحر وفتنة وذكريات جميلة على ضفافها الفيح حيث اعتاد كل صيف أن يسافر إليها، ليقضي في مسكنه على شاطئ البحر أياما رائعة يستلهم خلالها أجمل قصائد الحب والغزل.

وقد عبر عن حبه وعشقه للاسكندرية وبحرها في عدة مواضع شعرا ونثرا، ويروى لنا حكاية حبه للإسكندرية، فيقول (١)

«شهدت الصيف في جميع بلاد الله.. ولكني لم اشهد

(١) مجلة المصور/ ١١ يوليو ١٩٦٩

صيفا في الوجود أجمل من صيف الإسكندرية.. وزمان .. وأنا حدث.. كنت أحب من الإسكندرية الصيف والبحر والرمل.. كما يحبها سائر الناس.

وفي أول الشباب، شدتني إلى الإسكندرية صورة.. صورة لا أنساها .. ولا أزال احتفظ بنسخة منها في غرفة نومي.. هي اللوحة الخالدة التي رسمها محمود سعيد لبنات بحرى هذه الصورة، علمتني أن الإسكندرية ليست مجرد صيف وبحر ورمل وشدتني إلى الداخل، لأ عرف أن الاسكندرية مدينة حب وجمال، وعلم فن، ونكهة وتاريخ.

ودخلت أعماق الإسكندرية.. ومشيت في الحارات المعطرة التي تمشي فيها بنات بحرى.. وعشت في جوار المتصوف القباري، وسيدي أبي العباس المرسي.. وولي الله أبي الدرداء.. الذي تسميه العامة «أبو الدرداء» ..

وذهبت إلى متاحف الإسكندرية ودخلت مكتبة الإسكندرية، فعرفت قصة حكمائها وعلمائها وأدبائها الاقدمين، من عهد اليونان إلى العصر الاسلامي .

ثم عاشرت أدباءها وشعراءها المعاصرين، فوجدت عندهم لونا من الفكر له سماته التي تختلف عن سمات الفكر القاهري.

كانت الإسكندرية حاضرة مصر قبل الفتح الإسلامي..

وكانت شمسها.. فذهب عنها الملك، ولكنها ظلت تلد فى كل علم وفن، وتنفح بهم الوادى بين جيل وجيل، من أمثال بيرم التونسى وسيد درويش.

شعراء الإسكندرية

جاء الفتح..

بدأت الإسكندرية تنفح الوادى بشعراء وأدباء ومفكرين، لغتهم العربية، وإن ميزهم على شعراء الفسطاط، أن تكوينهم الفكرى كان مزاجا من الثقافات اليونانية والرومانية والقبطية والمغربية والأندلسية والعربية.

من هؤلاء الشعراء، أبو بكر العبيدى، وسليمان بن فياض، ومحمد أبى الحسن الذى قال فى وصف منارة الإسكندرية:

لله در منار الإسكندرية كم
يسمو إليه على بعد من الحدق
من شامخ الانف فى عرنينه شمم
كأنه باحث فى دارة الأفق
يكسر الموج منه جانبى رجل
مشمر الذيل لا يخشى من الغرق
للمنشآت الجوارى عند رؤيته
موقع النجم من أجفان ذى أرق

ومنهم الشاعرة نقية الصورية التى وصفت بعض رياض الإسكندرية بقولها:

والروض مبتسم بنور أقاحه
لما بكي فرحا عليه غمامها
والنرجس الغض الذى أحداقه
ترنو لتفهم ما يقول خزامها
والورد يحكي وجنة محمرة
انحل من فرط الحياء لثامها

ومنهم الشاعر أبو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز السكندري: ومن بدائعه في الغزل هذه الأبيات:

يا سحر الطرف ليلي ما له سحر
وقد أضر بجفني بعدك السهر
ولست أدري وقد صورت شخصك فى
قلبي المشوق، أشمس أنت أم قمر

أما المعاصرون، فمن أشهر من تفتحت شاعريته منهم على ضفاف الإسكندرية، الشاعر عبد الرحمن شكري، صاحب العقاد والمازني.

ومنهم خليل مطران: الذى هاجر من لبنان شابا حديث العهد بالشعر، وسكن الإسكندرية، واشتغل فيها بالصحافة.

ومن أجمل شعره في الإسكندرية، قصيدة «المكس» ومنها:

شاك إلى البحر اضطراب خواطرى
فيجيبنى برياحه الهوجاء

ثاو على صخر أصم، وليت لي
قلباً كهذي الصخرة، الصماء
ينتابها موج كموج مكارهي
ويفتها كالسقم في أعضائي
والبحر خفاق الجوانب ضائق
كمداً، كصدري ساعة الإمساء

ومنهم الشاعر الدكتور أحمد زكي أبو شادي، الذي عاش اخصب أيامه وأحلاها في الإسكندرية، وله فيها مئات القصائد، ومنها هذه القصيدة بعنوان «الإسكندرية»:

وتغرد الأطيار حتى أنها
لتظن في تغريدها كملاك
من لم يصدقني، عليه بجولة
بحدائق الشلال بين أراك
ليرى ضروب روائع وبدائع
هذي موطنة وذي لحراك
ولديك من فتن الحسان نوادر
بقيت على الأحقاب صنو جناك
زرق العيون وسودهن عوارف
صيد القلوب بأسهم وشباك
أورثن سحر الاقدمين كأنما

بوركن بالكهـــا من تحت ســــمـــاك

ومنهم الشاعر المبدع خليل شيبوب، تلميذ مطران..

ومنهم الشاعر الراحل عثمان حلمي، صاحب الدواوين والرباعيات والمسرحيات، وكان رحمه الله يعشق الإسكندرية، إلى حد أنه لم ير القاهرة في حياته حتى سن الستين، حين جاء إلى القاهرة لتسوية معاشه.

ومن شعرائها الأحياء، المخضرمين والمحدثين، الأساتذة عبد اللطيف النشار وإدوارد سعد وحسن ظاظا وعبدالمنعم الأنصاري وعبدالعليم القباني ومحمد محمود زيتون ومرسي بدر وغيرهم ممن يستوحون بدائعهم من عيون بنات بحري لتزدان بها جزيرة الإسكندرية الخالدة».

وعندما يصدر الشاعر صالح جودت دراسة أدبية عن صديق شبابه م. ع. الهمشري(١٩٠٨-١٩٣٨) الذي رحل في عصر الزهور يكتب أنيس منصور(١٩٢٤-٢٠١١) عن الشاعرين: جودت والهمشري فيقول: (١)

«في صنعاء .. في القصر الجمهوري .. والمقاعد من خشب والأرض من بلاط، والناس قطع من الهدوء والصمت.. وأنا أكاد أموت من الخوف. فقد عطست مرتين في الصباح ومعنى ذلك لانسان موسوس مثلي، أنني سأكون ضحية

---

(١) المصور : ١٠ يناير ١٩٦٤

لمرض خطير هذه الليلة.. فلن يمضي وقت طويل حتى تحتشد العواصف والأعاصير في بطني، وستخرج كلها على شكل طلقات مدافع من أنفي، وتتناثر على شكل شظايا في رأسي .. وربنا يستر.. وبدأت أتعذب في مقعدي، أريد أن أخرج، وأعود إلى الفندق، احتمي في أغطيته الباردة الجامدة من جرثومة الزكام التي أحس بها ولا أعرفها.. وتلفت يمينا وشمالا لكي أنهض..

وفي هذه اللحظة سمعت أن صالح جودت سيلقي قصيدة وبصراحة لم أكن قد سمعت صالح جودت في حياتي، وإن كان صديقا وزميلا، ونهض صالح جودت وألقى قصيدته وسمعتها وشعرت بالخجل العميق.

لقد اكتشفت الصوت الرقيق والأداء الناعم، والمرح الذكي وبسرعة وبعملية حسابية بسيطة قدرت خسارتي الفنية. وكانت فادحة فقد ألقى صالح جودت عشرات القصائد في عشرات المرات من عشرات السنين، ولم أستمع له إلا هذه المرة وفي اليمن..

ومرة أخرى وقف صالح جودت وتحت رذاذ المطر في مدينة تعز يلقي قصائد وطنية وعاطفية..

لا أعرف بالضبط. ولكن صوت صالح جودت فيه النعومة، والبحة الحلوة التي تنقل اليك المعنى الدقيق والمعنى القوي

بسرعة غريبة.. وبعد أن ينقل اليك المعنى تتولى أنت بعواطفك وأفكارك تشكيل المعنى وتفسيره وتنفيذه حسب قدرتك على الاندماج والتذوق.

ولكن الاستماع إلى صالح جودت متعة حقيقية، لم أكتشفها مع الأسف إلا متأخرا جدا.

وصالح جودت الشاعر أروع من صالح جودت الكاتب الروائي، بل إنهما مختلفان جدا. ففي كتبه تجد تعبيرات غريبة، وألفاظا لا تصادف الإنسان في قراءاته إلا نادرا. بينما فى قصائده لا تجد لفظا واحدا يضرب أذنك.. بل أنفاس الشاعر تمهد الطريق إلى موسيقى ألفاظه وقصائده..

وقصة صالح جودت التى عنوانها «عودى إلى البيت» من أحسن القصص العربية التى قرأتها..

وقد فرغت من كتاب له عن الشاعر «الهمشرى حياته وشعره» والشاعر من بلدنا المنصورة، وهو صديق للمؤلف وزميل صباه. وهو لذلك يستطيع أكثر من غيره أن يروى حياته وأن يتابع تطوره النفسى والفنى..

وقد اهتم المؤلف فى أن يقترب من الشاعر الهمشرى، وأن يمشى وراءه وإلى جواره.. وأن يسجل خلجات نفسه وأحيانا نبضات قلبه فقط، لا قلبه. فهو يروى لنا تاريخ أسرة الشاعر. ثم نشأة الشاعر نفسه ويصور لنا حيرته..

ثم يتابعه وهو يتنقل بين القرى، يدعو إلى فلسفة «التعاون»..

ولو شاء صالح جودت لخلع عن الهمشرى صفحة الشعر التعاونى واحتفظ به شاعرا له مواقف اجتماعية وإنسانية..

وهذا الكتاب الذى أصدره صالح جودت عن الشاعر الهمشرى هو أقرب إلى تحية الشاعر أو إلى الإشارة والتذكير بحياته ومماته أيضا..

وهو أبعد من أن يكون دراسة متأنية عميقة.. وإنما هى مجاملة طويلة صادقة .. وصالح جودت من أئمة المجاملين.

وأنا لا أعرف الشاعر الهمشرى ولا رأيته، ولا قرأت له إلا قليلا جدا، ولكن كان أحد إخوته زميلى فى مدرسة المنصورة الثانوية.. وهو نحيف القامة أحمر الوجه غليظ.

ولكن هذه الالتفاتة إلى شاعر شاب، مات قبل الأوان، ويجب ألا يظل ميتا إلى الأبد، تستحق الاهتمام، ولذلك أطلب إلى مجلس الفنون الذى تولى إصدار هذا الكتاب أن يعيد إلى أذهاننا الكثير من الفنانين الذين راحوا، ولم نعد نقرأ عنهم أو نسمع بهم.. فمن مهام مجلس الفنون إحياء الذين ماتوا، وإطالة أعمار الأحياء من الفنانين الشبان والشيوخ..»

وعندما صدر ديوان صالح جودت: الله والنيل والحب عام ١٩٧٥ أرسل الكاتب والأديب الكبير إبراهيم المصرى

(١٩٠٠-١٩٧٩) رسالة إلى صديقه الشاعر صالح جودت يتناول فيها ديوانه بالنقد والتحليل فيقول : (١)

«... أهديتني، يا أخي العزيز، ديوانك الجديد الله والنيل والحب.

ولقد أحسست وأنا في رحلتي مع ديوانك إحساس من يستقل زورقا يجري به فوق نهر تنساب مياهه في دعة ولين وفي تمهل محبب يتيح له أن يشهد على الشاطئين كل ما يحفلان به من مفاتن استوحيتها أنت الشاعر أجمل وأعمق ما يمكن أن تقدمه إلى وجداننا الظامئ، من رؤى وأخيلة وأحلام..

ولقد أمضيت أنا أوقاتا جد ممتعة مع ديوانك هذا، فكان بلسما لروحي المتعب وراحة لعقلي المكدود. فحملني على أجنحة خيالك إلى حيث الجمال الخالص، والمشاعر الصافية، والحياة الحرة الزاخرة بأروع الانفعالات.

والديوان في الحق واحة لا نكاد نتجول فيها حتى تأخذنا منها ظلالها الوارفة وأفنانها الزاهرة، وثمارها اليانعة، فنقف حيالها مفتونين، لا نستطيع إلا أن نسلم بأن الروح التي ابتدعتها هي روح شاعر فذ وفنان أصيل.

---

(١) الهلال : سبتمبر ١٩٧٥.

إن أول ما يلقاه القارىء، من هذا الديوان الفريد هو تلك الثلاثية المقدسة، المشهورة التي طالما صدحت بأبياتها فقيدة الغناء العربي أم كلثوم، والتي يرتفع فيها الشاعر إلى عالم علوي فيه الإيمان الكامل، والصفاء الغامر، واللهفة الوجدانية المتطلعة إلى فسحات النور والطهر، والمقترنة بالدعوة الحارة إلى القوة والجهاد، فيقول مخاطبا الكعبة بيت الله الحرام:

رحـــاب الهـــدى يا منار الضـــيـــاء
سـمـعـتك فى ســاعــة من صـفـــاء
تـقـــــول أنـا الـبــــيـت ظـل الاله
وركـن الخـليل أبـى الأنـبــــيـــــاء
أنـا الـبــيـت، قـــبـلتكم للصـــلاة
أنـا الـبـــيت، كـــعـــبـتكم للرجـــاء
فـضــمـــوا القلوب وولوا الوجـــوه
إلـى مـــشــرق النور عند الدعـــاء
وســـــيـــروا إلـى هـدف واحـــــد
وقـــومـــوا إلـى دعـــوة للـبـنـاء
يـزكـى بـهـــــا الـلـه إيمـانكـم
ويرفـع هـامـــاتكـم للســمـــاء

ثم يطلق الشاعر هذه الأبيات المدوية يستنهض بها عزائم أمته، ويذكرها بماضيها المجيد، ويحثها على التفوق والاستعلاء:

أمـــة علمـــهـــا حب الســمـــاء

كـــــيف تبني ، ثم تعلو بالبناء

ســــــــادت الأيام لما آمنت

أن بالقـــوة يســـمـــو الاقـــوياء

فـــإذا اســـتـــشـــهـــد منهم بطل

كـــانت الجنة وعـــد الشـــهـــداء

ثم تتقد في صدر الشاعر دعوة الوجدان والقلب، فيتحول بنا إلي الدنيا فتغلبه عاطفة الحب، فيصور لنا ما تحركه هذه العاطفة في نفسه عن مشاعر وخلجات، ترق تارة وتعنف أخرى، حائمة حول الجمال، نزاعة إلى احتضانه، مازجة بينه وبين أصل الإنسان، عاجزة عن تذوق طعم الحياة إلا به، فيهتف:

لا تلومـــيني لأفكاري الجـــريئـــه

أول القـصـــة في الأرض الخطيئـه

لا أبـــونـــا آدم عـــف، ولا

أمنا كـــانت من الذنب بريئـــه

عـــصـــرا في دمنا تفـــاحـــة

مـــا لنا فـــيـمـا تغـذيه مـشـيـئـه

هـــي فـــي كـــل ذهـــاب نـــغـــم

ولهـــا ترنيـــمـــة في كل جـيـئـه

بيد أنه وهو يصطدم بالمرأة لا يستطيع إلا أن يبهت ويرتاع، فيحدق غيبها ويتأملها، فيهوله تلونها، ولا يضنيه تقلبها، ويعجب كيف أن الحاضر هو كل شيء في نظرها وأن قرب الحبيب هو وحده الذي ينعشها، وبعده يكربها ويضجرها، بل وينسيها ذلك الذي كان بالأمس غايتها وقبلتها فيرسل هذه الأبيات الحزينة الشاكية المحرقة:

يا قلب لا تحفل بها، واكتب نهاية حبها

لا، لا تصدقها وإن حلفت بعزة ربها

إن التي أحببتها يا قلب، عبدة كذبها

وهي التي لا تحتوي قلباً، تحب بقلبها؟

أفما ترى شرك الخديعة في مظلة هدبها

وعيونها المتلونات بغدرها وبريبها

تعطيك أجمل ما اشتهيت إذا ظللت بقربها

فإذا نأيت هنيهة، لعب الهوان بنبها

ومضت إلى الجار القريب فكفنته بثوبها

وهنا نلمس توافقا عجيبا بين روح صالح جودت ومنزعه، وروح ومنزع الشاعر الفرنسي ذائع الصيت «بول جيرالدي» في ديوانه المشهور «أنت وأنا» فكلاهما عرف المرأة، وكلاهما فطن إلي طبيعتها، وأماط اللثام عن تلك الطبيعة في شعر تمتزج فيه الرقة والعذوبة بالأسى العميق والعجز المرير عن

فهم الغوامض والأسرار التي تكتنف شخصية الأنثى، والتي حيرت ولاتزال تحير الرجل عندما يعشقها ويهيم بها.

ونرى هذا المنزع أكثر وضوحا وأبلغ في مصريته تأثيرا، يتجلي في هذه الأبيات التي يضطرم فيها عنف الحب وعذاب الشك والغيرة اضطراما، ويقترن فيه خداع النفس اللذيذ بالثقة الفريدة في عودة الحبيب:

كم خاطر محير يذهب بي مذهبه
يظل يستجوبني الليل وأستجوبه
فديته... أن الحبيب كم يلذ كذبه
مادام قد عاد .. فقد عاد إلى قلبه

وفي هذه المقطوعة أيضا يصور لنا الشاعر بنفس الرقة والنعومة والروح المصرية العذبة، مشهد حسناء تتهادى على شاطيء البحر في الصيف، مزهوة بنفسها، مفتونة بمحاسنها، تنهبها أبصار الرجال. فتضطرب وتتعثر على الرغم منها. فيضاعف اضطرابها من لهفة الرجال عليها، فيزيدها دلالا واعتدادا وكبرا فيقول:

يا دمية تتهادى	وفتنة تتمخطر
الصيف والرمل والبحر	والنسيم المعطر
وشعرك المذهب الطيف	مائجاً يتبعثر

ويظل الشاعر يتنقل بين ألوان الجمال، وتتعدد صلاته بعرائس شعره، ويعاني الكثير من إقبالهن وصدهن، ومما

طبعت عليه المرأة من حب للمرح والحياة قد يغلب في نفسها على الهوى الصادق وما يكلف أصحابه من تضحيات، فيبرح به هذا الطواف، فيتصور امرأة خيالية مثالية لم يعرفها قبله رجل، ولم تشبها شائبة من مكر أو دهاء، فيهيم بها هيام الفنان برائعة هو الذي أبدعها، وبات يتعبدها، ويرى فيها أجمل وأكمل امرأة فينشد:

ما أنت إلا امرأة في الخيال
رأيتها بالقلب رؤيا المثال
مناي أن تحيا بفكري.. ولا
تخطر في الدنيا لغيري ببال

غير أن الشاعر مهما فر من الواقع، ولاذ بدنيا الخيال، واعتقد أن الحب الخيالي راحة له وسلوى فهو لايمكن أن يكتفي بالخيال وحده، ولابد أن يرتد إلى المرأة واقعا محسوساً، وجمالا نابضا، وإلهاما حيا، وشعلة تلهب منه الفكر والقلب والروح.

وهكذا بعد أن فر صالح جودت من الواقع إلى الخيال لم يسعه إلا أن يرتد من الخيال إلى الواقع، ويطلب المرأة ذاتها ولو في وقدة الألم وحمى العذاب، فيناجيها متضرعا ويصرخ:

يا ملاكي، نشر الليل غلالات الظلام
فافتحي قلبك للأحلام والنجوى، ونامي

واتركيني في اشتياقي واحتراقي يا غرامي
جئت أستشفي من الحب، فضاعفت سقامي
ياملاكي، سامحي طيشي، ورقي لجنوني
واغفري الماضي وما يوحيه من سود الظنون
وارحمي ضعفي إذا ما شئت ألا ترحميني
هل ترين اليوم إلاك خيالا في عيوني؟
يا ملاكي، أنا من أحببت في الحب عذابي
ونشرت الغزل المشبوب في كل الروابي
وبنار الشوق واللهفة أحرقت شبابي
أنقذي روحي من النار، وفوزي بالثواب

ولكن هل حب المرأة وحده يمكن أن يشفي غلة صالح جودت، ويستغرق عواطفه وفكره وحواسه، ويصرفه عن التطلع إلى الحياة الكبرى؟ إن مشاعره التي تتفتح على المرأة لتتفتح أيضا على الوجود كله. ولاسيما على وطنه الأثير، على بلاده العزيزة، على مصر الغالية التي يحمل لها بين جوانحه حبا يكاد يعلو على كل حب، والتي أشاد بها في ديوانه «ألحان مصرية» ويشيد بها أيضا في قصائد شتى من هذا الديوان.

فاستمع إليه يتغنى بالقاهرة عاصمة بلاده ويمجدها في هذه الأبيات الرائعة:

صـــــــلاة علـى أرضـك الطـاهـره
ســـــلام علـى روحـك الشـــاعـــره
وحـب مــــدى الدهـر يـا قـــــاهـره

★★★

ســـــــلام علـى ليـلـك المؤتـس
ســـــلام علـى الـورد والـنرجـس
إذا انتـــفض الـقــدر لا تيـــأسـى
وإن عـــبس الدهـر لاتعـــبـــسـى

★★★

جـــلالك يصنـع نـور الصـــبـــاح
وحـــقك يعلو ولا يســـتـــبـــاح
فـكـم مـن غـــــوى أتـى ثـم راح
وكـم مـن عـــــتي طـوتـه الريـاح
ولازلـت مــن ألـف عــــــــــام
مـنـار الـهـــــدى والســـــلام
ســــتـــــرجع أيـامـك الـزاهـره
وتـعـلـو بـنـودك يـا قـــــــاهـره

★★★

وتفيض بالشاعر عواطفه الوطنية كما تفيض مياه النهر الخالد على أرض مصر. فيمجد النيل أيضا، هبة الله لوطنه، ويراه رمزا للحب والكرامة والبطولة والحياة فيقول:

يـــانـــيـــل يـــا هـــديـــة الإلـــه
يـــانـــغـــمـــا كـــأنـــه صـــلاه
يا قـــبـــلة الحب على الشـــفـــاه
ويا حـــيـــاة تـــســـعـــد الحـــيـــاه

***

ســـيـــكتب الله لك الـــســـلامـــه
فـــشـــاطـــئـــاك الحب والكرامـــه
وأنت مـــهـــد المجـــد والشـــهـــامـــه
وأنـــت لـــلـــحـــريـــة المـــثـــل
يحـــمـــي حـــمـــاك شـــعـــبك البطل

والآن وبعد أن اقتطفت هذه الروائع من ديوان صالح جودت «الله والنيل والحب» ووقفت منها موقف من يخاطب أحد قرائها، ويحاول أن يكشف له عما فيها من طرافة وجمال، اتجه إليك أنت أيها الأخ العزيز صاحب الديوان، وأقول إن تلك الروائع هي صور حية تعكس لنا أبرز خصائص شاعريتك، من رقة في العاطفة، وأصالة في الحس، وانقاد في الخيال، وإشراق في العبارة ونفاذ في النظرة إلى المرأة والحب.

هذا إلى عاطفة وطنية متأججة ومشتعلة، تضرم في نفوسنا حب مصر، وتجعل من هذا الحب المقدس دينا في أعناقنا، تحثنا أنت الشاعر الملهم على أن نؤديه بكل ما فينا .

الفصل الرابع :

صالح جودت.. الإنسان والشاعر

سراب، وكل حياتي سراب
وفي وهمه قد أضعت الشباب
سراب، وأسلمته خاطري
فعللني بالأماني الكذاب
وتابعته، رغم يأسي به
ومعرفتي أنه لايصاب
يروح كمقترب في ابتعاد
ويغدو كمبتعد في اقتراب
وأجهدني السير في إثره
فلا القلب مل، ولا العقل ثاب

صالح جودت

كان صالح جودت إنسانا فياضا بالحب والوفاء والاعتزاز بكرامته وكرامة وطنه مصر .. وكانت مظاهر إنسانيته ساطعة لأصدقائه ومحبيه الذين شهدوا بذلك من خلال مواقف عديدة كان شاعرا عاطفيا طروبا يغني للحب وينشد أبدع أناشيد الحب والجمال لمن يحب لكن هذا الشاعر الغنائي الطروب لا يلبث أن ينقلب إلى شاعر انساني عميق مشبع عندما تضيق عليه الخناق تجارب الحياة فيصحو وجدانه إلى مافيها من آلام وما في تلك الالام من عمق، وذلك عي نحو ما نحس من قصيدة له هي «نحو الآخرة» التي نظمها على إثر مرض عضال ألقي به في مصحة العباسية حيث أحس باليأس والعناء عندما أوشك الداء أن يقهره، ومن حوله مرضى من أمثاله يزيدون شعوره بيلواد حدة

وكم يكون شيقا أن نقارن هذه القصيدة بقصيدة مماثلة للشاعر الكبير خليل مطران نظمها في ظروف مماثلة وهي قصيدة «المساء» التي نظمها وهو عليل في مكس الأسكندرية:

داء ألم فخلت فيه شفائي

من صبوتي فتضاعفت برحائي

وعندما بلغ صالح جودت الخمسين من عمره اكتشف أنه قد أضاع عمره في البحث عن الحب رغم عشقه للجمال بعد

أن صدم عدة مرات في قصص حبه وكأنه كان يجري وراء السراب الخادع، فكتب في لحظة اعتراف تحت عنوان «لا أحب الحب ولكن أحب الجمال» يقول : (١)

«أريد أن أعترف اعترافا خطيرا

«لقد فقدت قلبي، فأنا الآن أعيش بغير قلب! وأرجو من كل فتاة أو امرأة يضعها القدر في طريقي ألا تصدقني حينما أهمس لها «أني أحبك» .. فقد أصبحت لا أؤمن بالحب!

وكثيراً ما أخلو إلى صديقي أحمد رامي في الليل، على «روف» أحد فنادق القاهرة، نتحدث في الحب، فيقول لي رامي: أن الحب هو السهد والحرمان والعذاب والدموع.

أما أنا .. فإني أنكر أن الحب كذلك بل أنكر الحب أصلا .. ومع هذا فإني أحب أن أسكن إلى المرأة كمخلوق جميل رقيق يؤنس الوحشة ويشيع البهجة والايناس

أما إذا تحول هذا المخلوق الجميل إلى سهد وحرمان وعذاب ودموع، فإني أكرهه أكرهه من الأعماق!

وأخر .. قصيدة قلتها لآخر امرأة عرفتها، كان عنوانها «كبرياء» قلت فيها

أجل .. أنت فـاتنة .. إنما

أرى عـزة النفس لي أفـتنا

---

(١) الكواكب ٩ سبتمبر ١٩٥٨

وإن كـــان عندك ســـحـــر الجـــمـــال
فـــســـحـــر الرجـــولة عندي أنا
وإن كـــثـــرت في هواك القلوب
فـــذلك من بـعض مــــا عندنا
وأنت المنى .. غـــيـــر أني امـــرؤ
يـذلـــل لـلكبـــريـــاء المنـــى
ويكره في الحب بذل الدمـــوع
وبسط الخـضـوع وفـرط الضنى
إذا المرء هان على نفـســـه
لكان على غـــيـــره أهونا

وأنا أعترف، بكل شجاعة، أن كل من يقرأ مثل هذا الشعر، ومثل هذا الانكار للحب، إذا كان الحب معناه السهد والحرمان والعذاب والدموع، سيقول لي من فوره : «أنت تعاني عقدة نفسية»!

وهذا صحيح...

لقد فقدت قلبي، الذي خرج من صدري، وحلت محله عقدة نفسية صنعتها ثلاث نساء.

الأولى عرفتها إذ نحن طفلان .. هي في الخامسة، وأنا في العاشرة.

وكبرنا وكبر الحب حتى بلغ مبلغ الشباب كانت جميلة سمراء، وكانت شواطيء المنصورة مسرح حبنا الكبير»، ومن

حبيها أحببت الجمال الأسمر، ووضعته فوق كل ألوان الجمال،

وحينما ودعت هذه الشواطيء، وقفت أناجيها قائلا :

لي حبيب فسيك أفديه بعمري
سمرة النيل على خديه تجري
هو إلهامي وأحلامي وشعري
ونسيمي بين حنيه وسكري
كان عند الليلة الظلماء بدري
وله نجواي في دنيا اغترابي
يا ترى يذكرني بعد الغياب؟
آه مما بي، وهل تدرين ما بي
يوم ودعتك ودعت شبابي

وبقى لهذه الطفلة في خيالي تمثال جميل .. تمثال رائع .. كنت أسميه «مثالية الحب» .

والتقينا بعد ذلك في القاهرة، واستأنفنا قصة حبنا القديم، في أفلاطونية لم يعرف مثلها أفلاطون نفسه.

وحينما همت بأن تقدم أجمل ما عندها لرجل .. قدمته لرجل غيري !

وانهار التمثال الجميل ..

وانهار معه سحر الجمال الأسمر في عيني، ومات في قلبي .

وكان هذا هو الحجر الأول في بناء عقدتي النفسية ضد الحب.

وجاءت الثانية

وكانت في هذه المرة شقراء .. خضراء العينين، ذهبية الشعر.

ويهرتني .. وبدأت ثانية المآسي في حياتي واستحعت إليها طويلا ، وكانت همساتها أعذب من الشعر وألذ من الموسيقى.

وكانت أفكارنا تلتقي دائما عند نهاية واحدة

وانتهى حديثنا إلى الزواج.

ورحنا نتصور كل شيء.. نتصور عشنا على طريق الهرم.. وما فيه من أثاث.. وما يزينه من ورود .. وما ينتظرنا من بنين وبنات.

وفجأة .. تلقيت بطاقة دعوة إلى حفلة زفافها .. إلى شيخ يكبرها بثلاثين عاما على الأقل

وأذهلتني قسوة المفاجأة .. ولكني عرفت بعد ذلك أن هذا الشيخ قد حبب لها الطموح.

لقد كان وزيرا في ذلك العهد .. ومنذ أكثر من عشر سنوات

وقد أعجبتها الفكرة، أن تصبح زوجة وزير، ويقف على بابها الحراس ذوو الأزرار المذهبة، وأن تدعى إلى مآدب القصر الملكي!

وذهبت مع الريح .. تاركة في أعماقي حجرا ثانيا في بناء عقدتي النفسية !

ثم جاءت الثالثة ...

وأقول مخلصا أنني لم أتعمد أن أحب الأولى لأنها كانت سمراء، ولم أتعمد أن أحب الثانية لأنها كانت شقراء ولكن هكذا شاء القدر.

وكذلك شاء القدر أن تكون الثالثة من لون جديد.

كانت بين بين، معسولة العينين، كستنائية الشعر

وكانت أذكى امرأة في الوجود

كانت مثقفة .. تقرأ ليل نهار .. وتعشق الشعر والأدب والموسيقى

ولكن أجمل ما فيها أنها كانت قوية الإلهام .. كل كلمة أو نظرة أو همسة أو خطرة منها، كانت عندي ملحمة كاملة!

ووقفت عندها أحس أنني أسترد كل ما فقدت من عاطفتي وانسانيتي في الحبين السابقين.

وذات ليلة، انسربت إلى مكان على شاطيء النيل لأخلو إلى نفسي .. لأنظم فيها أجمل أنشودة في حياتي.

وجعلت أتخيلها .. فإذا بها أمامي وجها لوجه .. ولكن في ذراع رجل آخر .. بعد حب دام لخمس سنوات !

هكذا انهارت التماثيل الثلاثة، التي كانت - بالصدفة - تمثل كل لون من ألوان الحب، وكل لون من ألوان الجمال.

وبعد .. أفلست معذورا حينما أقول انني فقدت قلبي، وأصبحت أطوي صدري علي هرم مدرج من العقد النفسية؟

أجل .. انني لم أعد أحب الحب، ولكنني لازالت أحب الجمال !

★★★

وعندما رحل صالح جودت عن الحياة في ٢٣ يونية ١٩٧٦ تناول الكاتب الصحفي فكري أباظة (١٨٩٣-١٩٧٩) بعض جوانب صالح جودت الإنسان والشاعر ، فقال (١)

عندما توفي إلى إلى رحمة الله شاعر النيل الكبير «حافظ ابراهيم» رثاه أمير الشعراء «أحمد شوقي» بقصيدة استهلها بهذا البيت :

قد كنت أوثر أن تقول رثائي يامنصف الموتى من الأحياء

ومن غير تشبيه ، كنت أوثر أن يتوفاني الله قبل «صالح» وأنا أكبره سنا بعشر سنوات علي الأقل، ولكن شاء القدر ألا يرثيني هو وأنما أرثيه أنا

---

(١) الهلال : أغسطس ١٩٧٦.

ورثاء «صالح» بكلمات عابرة مكتوبة ومقروءة أو مرتجلة ليست الإنصاف الذى أشار إليه أمير الشعراء أحمد شوقى الذى صدرنا هذه الكلمة بمستهل قصيدته فوصف حافظ ابراهيم بأنه «منصف الموتى من الأحياء» !

وصداقتى بفقيدكم وفقيدى «صالح جودت» عمرت أكثر من أربعين عاما وكان يهدينى بدرة من درره الغالية قصيدة من قصائده العامرة عقب كل «نعمة» أو عقب كل «محنة» ومازلت أحتفظ بدرره وقصائده بين أنفس ما اعتز به من أوراقى ووثائقى .

من حق «صالح» ومن واجبنا انصافه ضميراً ووجداناً وقلماً أن يصدر عنه كتاب يحلل هذه الغرائز الثلاث لحياته، ويشفع كل ما انتجته قريحته الجوادة بتحليل أو تفسير فنى ، شعرا أو نثرا، وخطبا أو صحافة . فإنه قدم الكثير، والكثير الوفير لوطنه والأوطان العربية مما يستحق التحليل ..

دواوين ستة من شعره الفياض بين إلهيات علويات سماويات وبين اجتماعيات طرقت كل باب وبين مقطوعات غنائية إذاعية صدحت بها موسيقاه مع أصوات أبدع المطربات والمطربين ...

وأكثر من هذا، وأصدقه فى التحليل والتسجيل طوافه حول «الكرة الأرضية» بعنوان «القلم الطائر» حول القارات

الخمس مما اعتبر في عالم الصحافة فتحاً جديدا وسبقا عديم النظير !

على أن أقوى ما يرفع رأس كل مصرى قصائده العديدة التى ألقاها في مؤتمرات الأدباء والشعراء في دمشق، وبغداد، والجزائر، والرباط، وعمان، والسعودية، وليبيا، وبيروت .

لم تكن المهمة مهمة قصائد تلقى وفيها من الوطنية العربية مافيها ولكن كان أقوى من هذا وأعنف ذلك اللجاج الذى شب في كل مؤتمر حملة على مصر والمصريين، فكان يرد رده المقنع الذى يخرس الألسنة ويحسم اللجاج ولا أدرى لماذا كانت الحملات في كل المؤتمرات ولعل «الزعامة المصرية» هى التى تسللت إلى تلك المؤتمرات تحت عنوان «مركب النقص» عند بعض الأدباء والشعراء»

وكان بعض الحاقدين الناقدين يأخذون عليه، شاعرا، لأنه امتدح وارتفع بممدوحه إلى الذروة . ثم انتقد وجرح فى مرحلة أخرى من مراحل هذا الممدوح ! وتعليل ذلك وتفسيره أن «الشاعر» فى جميع مراحل الشعر من الجاهلية حتى الإسلام وحتى اليوم كان بين مدح وقدح، لأن حياة «الممدوح» تنتقل بين صلاح تارة، وفساد تارة أخرى . وبين استقامة حينا والتواء حينا آخر ولايستطيع ضمير الشاعر أن يغفل

الحسنات أو يغفل بعد ذلك ما وقر من السيئات هذا هو تحليل البند الأول من العنوان الذى اخترته وهو «الضمير» .

اخترت من حياة «صالح» البند الثانى وسميته «الوجدان»:
وعجيب فى غريزة الراحل العزيز أنه كان لدرجة الإسراف جوادا لدرجة الإتلاف كان إذا ذرف البائس الذى أمامه دمعة من دموع الوجيعة والألم ينثر من جيبه الخاص المعونة المالية إعانة وإقالة، وقد أتعبنى حينما كنت رئيساً لهذه المؤسسة وهو النائب لمجلس الإدارة، ورئيس التحرير المسئول معى ، انه كان يجود بالمكافآت والإضافيات المبالغ فيها، وكنت بكل تحفظ ألفت نظره إلى شىء فى هذه الدار اسمه «الميزانية» وشىء آخر اسمه «اللائحة» وكان لايعبأ إلا بأن يجود ويغدق .. وتلك غريزة لا فى حياته العامة فقط وإنما فى حياته الشخصية العجيبة فى جميع أدوارها كان من يوم انشاء نقابة الصحفيين - وكنت نقيبا أكثر من مرة - أنه بجانب إشرافه كمحاسب مشرف على أموال النقابة وحرصه عليها يناقض نفسه ويمنح الإعانات الفياضة للمتظلمين بسبب أزمة مفاجئة، وكان يؤجل إلى أجل غير مسمى «الديون» المستحقة على بعض أعضاء النقابة، وبعض أعضاء «مجلس إدارة النقابة» إلى أجل بعيد «مسمى» أو إلى «أجل غير مسمى»

كان ذلك هو «وجدان» صالح جودت أو غريزته المغدقة التي تبسط يدها كل البسط لإخوانه وزملائه .

أما «قلم» صالح جودت وهو البند الثالث في هذا العنوان فقد جرى جريه وركض ركضة من يوم أن ولي منصب «مدير الإعلام» في بنك مصر وخبير الإذاعة بعد ذلك، والمحرر الصحفي اللامع في الأهرام ودار الهلال في مجلة «الاثنين» و«المصور» زمنا طويلا لم يناقض غريزته الأولى والثانية وهما غريزة الضمير الحي ، والوجدان الصادق المغدق .

تآمرت عليه أوجاع وأمراض ثلاثة منها ما أصاب القلب . وما أصاب الكبد وما أصاب الأمعاء والمريء وما استقر واستعصى على الأطباء بل لا يزال مستعصيا على أطباء العالم جميعا وهو الداء اللعين الذي لا نسميه !

لا يمكن أن يستطيع كاتب مع ما أحاطه ببلاغة التعبير ودقة الوصف أن يذكر في رثائه ما احتمل في مراحله الأخيرة من شقاء وعناء وهو لا يستطيع أن يتحرك أو ينام أو يأكل، عامين متواليين مترنحا في فراشه بين مستشفى ومستشفى وبين «غرفة انعاش» و«غرفة انعاش» ، وبين عملية جراحية وعملية جراحية في القاهرة وفي لندن، ومع ذلك ورغم ذلك كان «الصبر العبقري» هو جرعته ، وهو دواؤه، وكان في غيبوبته الأخيرة يحتمل ولايستطيع الشكوى .. ثم لما دنت

اللحظة الأخيرة عرفها واكتشفها وقال لي في لحظة الوداع ..
«الحمد لله خلاص» !!

وانتهى صالح جودت بعد أن خلف وراءه ثروة طائلة لا من المال السائل ولا من المزارع المزدهرة ولا من العمارات الشاهقة وانما خلف وراءه صرحا أغنى من كل ثروة !.فوالله خلف وراءه ثروة طائلة من نتاج ضميره ووجدانه وقلمه

إلى أصدقائه وزملائه وتلاميذه أكرر العزاء ثم أقول إنه لم يغب عنا بل مازال اسمه صداحا ومروحا وغذاء للقلوب والنفوس في كل ناحية من مناحي وطنه العزيز وأوطانه العربية العزيزة، ثم مازلنا نسمع صوته محللا وملقيا ومذيعا وفيما نثره في السنين الطويلة درسا وعظة وعبرة لكل من يحاول أن يقتدى به ويجرى على منواله .

إلى زوجه الكريمة الأصيلة الصبور، أكرر العزاء ، أكرر العزاء داعيا الله من أعماق نفسي أن يشملها الله سبحانه وتعالى بالصبر الجميل جزاء وفاقا لما احتملته وأدت من واجبات «الزوجة المثالية» الجديرة برعاية الله»

★★★

ويتناول صديقه أنور أحمد لمحات من صالح جودت الإنسان والصديق الذي عرفه لسنوات طوال، فيقول : (١)

---

(١) المرجع السابق.

مال أحبابه خليلا خليلا وتوالي اللدات إلا قليلا
نصلوا من غبار الليالي ومضى وحده يحث الرحيلا

ما أكثر ما كنت أروي هذه الأبيات من شعر شوقي كلما فجعنا القدر في الأعوام الأخيرة برحيل صديق من رفقاء رحلة العمر ، فكان - رحمه الله - يهز رأسه ويقول :

- إنني أرثي كل يوم راحلا عزيزا .. ترى من سيرثيني عند رحيلي ؟!

ثم يضحك في مرح ويقول

- ولماذا أنتظر؟ ما رأيك في أن أكتب قصيدة رثاء لنفسي؟

كان ذلك منذ ثلاثة أعوام، ولم أكن أدرى أن المرض الوبيل يتربص به ليفتك بصدره وليجعل منه بعد قليل حديثا يروى .

لهفي عليك أيها الصديق !

لقد زرته في اليوم التالي لعودته من رحلة العذاب الثانية، فرأيت النهاية المفجعة على وجهه، وحاولت أن أتماسك أمامه وأخفى عنه تأثري وانزعاجي ولكنه فاجأني بقوله

-- هل تعلم أن أيامي معدودة ؟ لقد صارحني الأطباء في لندن هذه المرة بالحقيقة وأصروا على عودتي بسرعة .. وأنني قد أنتهي في خلال أسبوعين !

وكانت هذه ذروة المأساة .. شاعر وفنان في رقة صالح جودت يعلم أن حياته توشك أن تنطفيء وأنه سيموت بعد

أيام! .. أى قسوة رهيبة تطحن الأعصاب وتمزق كل وشائج الانسانية فى أعماق الإنسان !

«سأموت بعد أيام ..»

كان يقولها فى هدوء وبساطة وكأنه يتحدث عن رحلة من رحلاته الكثيرة التى كان يقوم بها ، هل فقدت الكلمات مدلولها ومعناها ؟! ألا ما أتفه الحياة ! ...

ومضى صالح جودت يقول

«لقد عشت طويلا .. عشت بالطول والعرض ، وإنى أثق فى رحمة الله تعالى فقد كتب على نفسه الرحمة وأنه الغفور الرحيم

ورأى الدموع فى عينى ، فقال وكأنه يواسينى

– إننى راض بقضاء الله ... وهذه هى قصة الحياة والموت

ثم أنشد وهو يبتسم فى حنان

مشيناها خطا كتبت علينا
ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض
فليس يموت فى أرض سواها

وبعد خمسة أيام كنت أمشى خلف نعشه أودعه فى رحيله الأخير

عرفت صالح جودت منذ أكثر من ثلاثين عاما، وجمعت بيننا صداقة عميقة حلوة، كانت بمثابة الواحة وارفة الظلال في صحراء الحياة، يأوى إليها المتعب المكدود فيجد فيها طيب الجني وشهي الثمر كما يجد الأنس والحنان وبسمة الحياة وإشراقة الأمل . ذلك أن صالح كان يقبل على الحياة مبتسما دائما ، متفائلا أبدا ، ساخرا من آلامها مفلسفا لمصائبها، قائلا إنها باطل وقبض الريح وعلينا أن نأخذ نصيبنا منها ولا نأسى على مايفوتنا .

ولهذا فإنه كان على رقته إنسانا صلبا لاتزلزله الأحداث.

وهذه قصة للتاريخ ...

فى أوائل عهد الثورة ذهب يوما فى الصباح إلى مكتبه بالإذاعة فمنعه من الدخول شخص يحمل في يده كشفا به عدة أسماء وأبلغه أنه مفصول وعليه أن يلزم بيته .. وقد رأيته، فدعاني للسهر معه ، وقضى ليلته يسمر ويضحك وكأنما يحتفل بترقيته لا بفصله الذى لم يعرف له سبباً، ولما سألته عما ينوى أن يفعل قال إن معى قلماً لن أجوع طالما كان في يدى

فى تلك الأيام كان مصطفى وعلى أمين قد أحدثا ثورة فى الصحافة المصرية، وعمدت دار أخبار اليوم إلى استقطاب عدد من كبار الأدباء والكتاب واحتكرت نشر انتاجهم بينما

كانت دار الهلال تعتمد في الغالب على استكتاب الأدباء بنظام القطعة .. وأراد أصحاب دار الهلال أن يدعموا مجلاتهم لتساير الثورة الجديدة وتثبت أمام المنافسة، ففكروا في التعاقد مع عدد من الأدباء والكتاب وسألني المرحوم نسيم عمار مدير تحرير «المصور» في ذلك الوقت عمن أرشحه لهذا الغرض ، ولما رشحت له صالح جودت أخذني إلى الأستاذ إميل زيدان أحد صاحبي دار الهلال الذي قال لي :

– ولكن صالح جودت شاعر .

– إن نثره في رقة شعره

– وهل يرضى أولو الأمر عن عمله في دار الهلال بعد أن أخرجوه من الإذاعة ؟

– عليك أن تجس النبض وتستأذن ..

– هل نأتي به ليشرب معي فنجان قهوة ؟

– أفضل أن تتصل به أنت مباشرة لأنه مرهف الإحساس شديد الكبرياء وأنت صاحب الدار ورب العمل

ودخل صالح جودت دار الهلال ليتألق كواحد من ألمع كتاب المقال السياسي والأدبي والفني ، وليصبح بعد ذلك نائبا لرئيس مجلس إدارتها ورئيسا لتحرير أكبر مجلاتها «مجلة الهلال» .

كان صالح جودت يحب الحياة ، ويعب من كأسها، ويكره أن ينفق ليله في النوم وكثيرا ما ردد معي بيت الشاعر القديم:

لا تنم واغتنم ملذة يوم إن تحت التراب نوما طويلا

وهو القائل

وسهرنا نقدح الصبح ونغتاب النعاسا
ليس من صحبتنا من يجعل الليل لباسا
نحن لا ننسى حقوق الله لكن نتناسى
أملا في عفوه السابغ عنا والتماسا

وكان صالح جودت يحب الجمال، يحبه في الطبيعة وفي البشر، ولايطيق أن يرى شيئا قبيحا، وليس هذا بغريب من شاعر الإحساس، وقد أسرف البعض عليه في هذا المجال، والواقع أن صالح كان على مذهب عمر بن أبي ربيعة، الجمال عنده وحي وإلهام لشعره قبل أن يكون متعة حسية

وقد كان صادقا عندما قال في قصيدة من قصائده

يخالعني وراء السرب سرب
ولي قلب على الظبيات حدب
أشاهدهن ألوانا حسانا
فلا أدري لأيتهن أصبو

هذا هو صالح شاعر الحب والجمال، يرفرف بجناحيه متنقلا بين الأزهار يستاف عبيرها، ويملأ عينيه من ألوانها ،

ليفرز أحاسيسه للناس بعد ذلك شهدا مصفى . ولفرط حبه للحياة وعمق إحساسه بها كان قلقا دائما ، لا يكاد يستقر في مكان واحد فكما أن النحلة تقضي يومها تتنقل من روض إلى روض وتثب من زهرة إلى زهرة ، كذلك كان صالح يقضي نهاره وليله متنقلا من مكان إلى مكان ، ويرى في ذلك تجديدا للنفس، وتعميقا لإحساسه بالحياة، وكأنما يريد أن يجمع الدنيا كلها في مكان واحد لتكون تحت نظره وفي متناول يده، وأن يختصر الزمان كله في الساعة التي يحياها ليعيش فيها عمرا كاملا ، وكأنه المعني بقول شوقي

يومي بأيام لكثرة ما مشت
فيه الحياة وليلتي بليالي

وهكذا عاش حياة عريضة عميقة يومه فيها بأيام وليلته بليال كثيرة وهو في خلال ذلك ينثر حوله البسمة المشرقة، والدعابة المرحة

أجل .. كانت الدعابة من أبرز سمات صالح جودت الإنسان. ولكنها لم تكن الدعابة الجارحة التي تجرح وتسيل الدماء ، ولكنها الدعابة الحلوة التي تجعل الإنسان يسخر من ضعفه ويضحك من نفسه

وكانت دعابته تثقل أحيانا على أصدقائه الذين لا يدركون حقيقة نفسيته الصافية، فكان يسارع إلى غسل ما علق بنفوسهم، ويسبغ عليهم من حنانه ورقته الشيء الكثير .

والواقع أن صالح كان يحمل بين جنبيه قلب طفل كبير، يفيض بالحب والحنان ويشيع الأنس والبهجة في كل مكان.

هذه لمحات خاطفة من صالح جودت الإنسان والصديق، مجرد لمحات بقدر ما تسمح به ظروف الفجيعة التي لاتزال تعصف بكيان أصدقائه

أما صالح جودت شاعر الحب والجمال الذي ملأ الدنيا بأهازيج غزله الرقيق الممتع ، وصالح جودت شاعر الوطنية والقومية والعروبة جهير الصوت في كل مؤتمر للأدباء ومهرجان للشعراء، وصالح الكاتب السياسي الجريء المناضل عما يؤمن، ومؤلف الرواية الطويلة والقصة القصيرة، وكاتب التراجم والدراسات الأدبية والنقد الفني والأدبي . فهو موسوعة تحتاج إلى عديد من الدراسات المتأنية التي تجلو جوانب الأديب الكبير الراحل .

فإلى جوار الله أيها الصديق وفي رحاب الرحمن الرحيم الذي ناجيته فقلت

إلهي وأنت العلا والجلال
وأنت جميل تحب الجمال
حنانك يارب ملء الوجود
وعفوك فوق حدود الخيال

وأنت الكريم وأنت الرحـــيم
ومـنـك العـطـاء ومـنـك النـوال
يؤمـل عـــفـــوك جم الذنوب
ويســعــد فـى حـبك العـــابد
وفـى كل مــــاحــــولنـا آيـة
تـدل علـى أنـك الواحــــــد»

★★★

ويستعيد الدكتور سيد نوفل بعض ذكرياته عن صالح جودت الإنسان والأديب فيقول

«قد يتحدث الناس عن صالح جودت الشاعر العاطفى الرقيق، والوطنى المتدفق إيمانا وإخلاصا لوطنه وعروبته، ومؤلف الاغانى السائرة التى تملأ الأسماع والقلوب والمقتدر الموهوب فى عالم التأليف المسرحى والإخراج الاذاعى والميدان الاعلامى.

وقد يتحدثون عنه كاتبا أديباً وسياسيا مرموقاً،ومناضلا عن رأيه فى الالتزام بعمود الشعر العربى، ومقاومة الاتجاه اليسارى، وقد يتحدثون عن وفائه وسماحته وكرمه وتفاؤله الدائم، رغم الأمراض والتحديات والمصاعب التى ناء بها طوال حياته..

لكنى في حديث اليوم لن أتجاوز الايراد لبعض الخواطر، التي يستذكرها الانسان في مقام الأسى لصديق راحل، ارتبط به حينا من الدهر، ثم غاب عنه وولى كما تغيب الأيام والليالي وكل شئ في هذه الحياة.

كانت بداية الطريق لمعرفتي بصالح جودت في نهاية الثلاثينيات .. فقد كنت أشغل حينئذ وظيفة السكرتير الفني لوزير المعارف: وزعيم الفكر والسياسة المرموق الدكتور محمد حسين هيكل .. وكانت اختصاصات وزارة المعارف تشمل التعليم بجميع مراحله وشئون الثقافة والمسرح والموسيقى جميعاً.. وكان صالح جودت يتردد على مثلما يتردد خليل مطران شاعر القطرين، ومحمد الأسمر الشاعر المصرى، وسليمان نجيب مدير دار الاوبرا.. وغيرهم ممن يتصل نشاطهم بوزارة المعارف، أو يتوسطون في بعض المطالب..

وكان الدكتور يمنحنى ثقته التامة، ويعتمد عليّ اعتمادا لا حدود له في شئون الوزارة حين تولاها وفى اخراج آثاره الخالدة قبل توليها وبعده

وكان للشاعر المرحوم محمد الأسمر بعض مطالب المجانية لأقربائه .. وكنت معروفا بالتزمت في معالجة هذه الشئون. والبت فيها بمنهاج دقيق صارم، حتى هاجمنى أصدقائى ،

ورموني بأنني لا قلب لي .. وضاق الشاعر الأسمر بأن طلباته تأخذ طريقها العادي ، ولا تنال عناية خاصة فهاجمني بمقطوعتين أودعهما ديوانه المطبوع وكان مطلع الأولى

وهبني صبرت على هيكل فمن لي بصبري على نوفل؟!

وكانت الثانية بالغة الاقذاع، مستفيضة السخرية.. يكفي في الدلالة عليها مطلعها

ياسيد، ياجعـــر فاصنع صنيعا يسر . !
إن كان ذلك حقا فاصنع صنيعا يسر !

وأرسلها الشاعر الأسمر إلى الوزير بواسطة أحد المقربين منه، كما أرسلها إلي بواسطة صالح جودت .. وعرفت صالحا ومروءته ووفاءه وبشاشته، واستطاع التأثير في المنهاج الصارم الذي ألتزم به، وأن ينجز للشاعر الأسمر مايريد رعاية لقربى الأدب التي تجمع بيني وبينهما

والتقيت بصالح كثيرا ، وسعدت بوده وشعره وفنه ومضى الزمان أربعة عشر عاما سويا

وفي بداية عام ثلاثة وخمسين . وأثناء الحركة التي أطلقت عليها الثورة «حركة التطهير» ، كنت مديرا للإدارة التشريعية بمجلس الشيوخ والسكرتير العام للجنتي مشروع الدستور وإصلاح التعليم الجامعي .. وعهد إلي مع قاض ووكيل

نيـــابة ووكيل وزارة تطهير موظفي الهيئات المستقلة التي لا يـــتــولى أمـــورها وزراء ، وهي البـرلمان ومـــجلس الوزراء والأزهر والإذاعـة.. وكـان صـالح جـودت من كـبار مـوظفي الإذاعة الكفاة، فنالته الشكاوي والاتهامات مثلما نالـت كل كـفء مـخلص في عـمله، تطلعـا من الحـاقـدين الي وراثة المقتدرين

وكانت أعجب الاتهامات الموجهة الى صـالح، فتنته بالفن والجمال، وضعفه الشديد أمام أم كلثوم وغرامه العميق بها، ضعفا وغراما لا يجملان بالموظفين لعهد الثورة ولا يتلاءمان ومبادئها.

وانتـهت اللجنة الى حفظ الاتهامات الموجهة إلى صالح وبعض الصفـوة من العـاملين في الإذاعـة الذين لا ترضى عنهم المخابرات .. وأوصت بالاستغناء عن عدة موظفين يفتقرون إلى مقومات العمل الإذاعي ، ولا يؤدون أعمالهم على وجه مرض، ويمارسون أنشطة خارجية لا تتفق وواجب العمل في الإذاعة الوطنية

ودهشت مع زملائي في لجنة التطهير حين فصل صالح والصفـوة من زمـلائه الذين برأت اللجنة ساحتـهم وأشادت بجهودهم ، واستمر الموظفون العاجزون المخالفون لواجبات

العمل الوطني الذين أوصت اللجنة بالاستغناء عنهم .. وكانت حجة الفصل والإبقاء قاعدة لا يمكن تطبيقها ، وهي التلاؤم «من الملاءمة لا اللؤم» وعدم التلاؤم مع الثورة !

ولم يمض وقت طويل حتى فوجئت باجراء ضدي ، لأني لم أتلاءم مع الثورة في أداء عملي بلجنة التطهير، ولم أقترح فصل الذين شاءت المخابرات فصلهم .

وكانت الأشهر الأولى من عام أربعة وخمسين هي خير الأيام التي سعدت فيها بصحبة صالح جودت ، صحبة سداها الأدب والفن ولحمتها الود والإخلاص

ثم جاء عملي بالجامعة العربية في خريف ذلك العام، فاصلا بيني وبين الاستمتاع بهذه الصحبة العزيزة ...

وتدور الأيام دورتها ، ويبلغني صالح في سبتمبر «أيلول» لعام ستين وتسعمائة وألف، أنه سيحضر دورة اعلامية في نيويورك دعت إليها الأمم المتحدة، وأنه يرجو أن يلقاني هناك أثناء حضوري اجتماعات الأمم المتحدة ممثلا لجامعة الدول العربية ..

وألتقي بصالح اثر وصوله إلى نيويورك، وأعرفه بها في ساعات قليلة ثم أذهب لمتابعة بعض القضايا العربية المطروحة في اللجنة السياسية من مساء ذلك اليوم.. ولا يحضر صالح

للعشاء ، وأتفقده بحجرته فى الفندق طوال الليل فلا أجده .
ويتصل بي في الفندق صباح اليوم التالى ويبلغنى أنه عائد إلى الفندق بعد أن أمضى طوال الليل خارجه ..

وأسأله عن خلف الموعد ، وعن حاجته إلى النوم.. ويجيبنى صالح أما خلف الموعد فيجب أن يكون قاعدة لتعاملنا مادام كلانا ينشد السعادة لصاحبه .. فأنا أسيرو مجالات السعادة تربطني بها أينما وحيثما لقيتني، وتصرفني عن كل ماعداها .. فإذا أخلفت موعدا لك فاعلم أن ذلك تأويله

وأنت قادم للعمل ، وأنا قادم للتعرف على الحياة فى هذا البلد والتمتع بألوانها إلى أقصى درجات التمتع

وأما النوم فنوفره لبلادنا ، فلم آت إلى هنا لأنام

وأمر فى طريقى إلى الأمم المتحدة فى إحدى الليالى ، فأجد صالحا نازلا إلي حان الثلاثمائة (300 BRA) ، ويدعونى للجلوس معه خمس عشرة دقيقة لا تعطلنى كثيرا

وأنزل معه إلى الحان فى الدور الأرضى ، فأجده نجما بين الأمريكيين الموجودين بالحان شيوخاً وشبابا ورجالا ونساء.. ينادي هذه بأختي وتلك بابنتي ، وهذا بأخي وذلك يابني ، ويندمج مع الجميع أيما اندماج . ويسعد كل السعادة بالحديث إليهم والاستماع منهم

ومع ذلك فقد أدى لمصر أعظم الخدمات في هذه الزيارة..

لقد أنشد العرب هناك مطولته البليغة عن التقدم المصرى المعاصر سياسياً واقتصاديا، وجمعهم من حوله جمعا سعيدا بلقائه كما حاضر الامريكان بالانجليزية معرفا بعدالة القضايا العربية .

وعلى طول السنوات الأربع الأخيرة، توثقت صلاتى الأدبية بصالح .. فمنذ تولى رياسة تحرير الهلال أخذ يلح على بطلب الكتابة الأدبية المفضلة عنده .. وكانت حجته فى ذلك أن الأدب والفن هما أعز ما فى الحياة».

***

كانت فلسفة صالح جودت فى الحياة، هى حب الجمال فى الطبيعة والبشر، وليس هذا بغريب من شاعر رومانسى مجنح الخيال، مرهف الإحساس، يرفرف بجناحيه متنقلا بين الأزهار، يستاف عبيرها، ويملأ عينيه من ألوانها، ليفرز أحاسيسه فى شعره، شهدا مصفى، فعكس شعر صالح جودت حبه للجمال وحبه لوطنه مصر إلى درجة التقديس والوجد، فكان هناك ارتباط عميق بين الإنسان والشاعر، لأن شعر صالح جودت ينم عن ملامح صالح جودت النفسية والوجدانية والإنسانية.

الفصل الخامس :

صالح جودت
فى مرآة النقاد

أنا فى رحلة عمرى، طفت من واد لوادى

مارنت عينى أجمل من ثغر بلادى

المنى فى كل شط والسنى فى كل نادى

هاهنا البحر غذائى، هاهنا الرمل وسادى

صالح جودت

يتناول د. مختار الوكيل (١٩١١-١٩٨٨) أحد شعراء أبوللو (١٩٣٢ - ١٩٣٤) الذين زاملوا الشاعر في تلك الحقبة وصادقه بعض جوانب شاعرية، صالح جودت، وبعض ذكرياته عنه فيقول (*)

«في الحياة تصرفات عجيبة، وفي نفوسنا هواجس وخوالج غريبة، لا نكاد نجد لها تفسيرا أو تعليلا !

عندما دعيت للكتابة عن ملحمة (شاطيء الأعراف) للشاعر الموهوب محمد الهمشري، في عدد مايو ١٩٧٦ من مجلة (الهلال) داهمني إحساس غامض غريب، بوجوب التأهب للكتابة عن صديقه ورفيق صباه وصباي الشاعر العاطفي صالح جودت. فهما صنوان، نشأ معا في مدرسة المنصورة الثانوية . ولقد لقيتهما وهما متوادان متحابان متشابهان في كثير من الخصال والصفات عندما التحقت بتلك المدرسة عام ١٩٣٠ أجل ، (لقد وجدت بين صفوف تلاميذ تلك المدرسة - كما ذكرت في مقالي السابق - طالبين ألمعيين متميزين بما ينظمان من الشعر المتألق الأنيق الرفيع، هما الشاعر صالح جودت، رد الله له كامل الصحة وحفظه ذخراً لدولة الشعر والأدب، ومحمد عبدالمعطي الهمشري)

---

(١) الهلال : أغسطس ١٩٧٦

ولقد خامرني إحساس غامض عجيب وأنا أدعو الله أن يرد صالحا من غربته موفور الصحة، أجل أحسست أنني يجب أن أتأهب للكتابة عن صالح كما أحتشد للكتابة عن الهمشري وبدأت فعلا أستعد لذلك !

فلما نشرت (الهلال) مقالي عن الهمشرى أدهشني أنها وضعت صورة صالح مواجهة لصورة الهمشرى ! لقد كان ذلك من ترتيب القدر ولا دخل لفرد في ترتيبه وإعداده !

مرحلة الإرهاص !

ولما نعى الناعي صالحا لم أدهش لموته. فقد كان يعاني من الآلام ماتنوء من هوله الجبال الراسيات، وكان هو يدهشنا برباطة جأشه وصموده العظيم لتلك الآلام المهولة

وأكذب على الله أن قلت إنني تجلدت وصمدت لهول الكارثة، فلقد بكيت صالحا الأخ والصديق أغزر البكاء ومازلت أبكيه حتى هذه اللحظات، فهو جزء عزيز من صباى وشبابي فقدته شيئا فشيئا

لقد نشأنا معا في المنصورة، ثم تزاملنا مع مطالع الشباب الأولى في رحاب (أبوللو) وكانت ميولنا تتفق واتجاهاتنا الأدبية تتلاقى . واهتماماتنا تكاد تكون متفقة في كل اتجاه

كنا نقرأ الكتاب الواحد في الأدبين العربي والأوربي وكنا نحب الشاعر الواحد أو شعراء معينين . وكان سمرنا يمتد

ساعات طوالا بالليل والنهار نتناقش في كل شيء ، في قصيدة لابن الرومي أو البحتري أو المتنبي أو شوقي ، وقد يدور الحوار حاميا حول شيللي وكيتس وبيرون وتوماس جراى وشكسبير وفيكتور هوجو ولامرتين، وكانت له وللهمشرى آراء ناضجة في نقد الشعر وشرحه وتفسيره ولاسيما الشعر الأوربي !

وكنا في تلك الأيام نغشى دار الكتب بباب الخلق ونمكث بقاعة المطالعة فيها الساعات الطوال، وكنا (نفترس) ما يقع بين أيدينا من أمهات الكتب والمراجع، إذا صح هذا التعبير، وكنا في بعض الأحيان لا نترك قاعة المطالعة إلا بعد أن يهم الموظفون بإغلاق الأبواب ! وقد يبدو ذلك غريبا لشباب اليوم، ولكنهم متى أدركوا أن دور السينما وأماكن التمثيل والملاهي كانت قليلة حينذاك إذن لعلموا لم كان إقبالنا عظيما على المطالعة والقراءة في جد ودأب واتصال.

مرحلة أبوللو

على أن مرحلة السير في طريق الشعر الرومانسى الصحيح عند صالح جودت بدأت في رحاب «أبوللو» بعمر شاه بحي السيدة زينب في القاهرة. وكان ذلك عام ١٩٣٢ عندما التحق بكلية التجارة بالقاهرة. فكأن انبثاق مجده الشعرى كان على موعد مع التحاقه بالجامعة في القاهرة.

وسرعان ما برز صالح ولمع اسمه في رحاب (أبوللو) إلى جانب اسماء علي محمود طه وإبراهيم ناجي والهمشري والشابي والصيرفي والسحرتي وعتيق وغيرهم من شباب الشعراء الذين يعود الفضل في إظهارهم ولمعانهم إلى الدكتور أبي شادي ذلك الرجل الموهوب متعدد الجوانب ، أقول - وأنا أستوحي من الذاكرة صورة ذلك العهد الأدبي المبارك المزدهر - ان صالحا شارك بشعره العذب السلس الموسيقي الجميل في موكب شعراء الشباب على صفحات (أبوللو). ثم جمع صالح طائفة شائقة من شعره - شعر الشباب الحي - في ديوانه الأول (ديوان صالح جودت) الذى أصدره في أوائل عام ١٩٣٤ مع تصدير للدكتور أبي شادي، ولعله كان أول ديوان يصدر لشاعر من شعراء الشباب في جيله الواعد الصاعد. ولقد طالع الناس في ذلك الديوان نغما عذبا صافيا حنونا، كما طالعوا فيه نغما حزينا مثل قصيدته (الحسناء الباكية)، ونغما متمرداً، كما في ملحمته (الراهب المتمرد) . وطالعوا كذلك غزلا رقيقا وجديدا كما في قصيدته (العيون الزرق) حيث يقول :

أيها الهاجر من غير سبب لو تجافى أنا راض بجفاك
العيون الزرق والشعر الذهب ألجآني يا حبيبي لهواك !

واشتهر صالح بهذه القصيدة التي أخذ الناس يرددونها في كل مكان . وأصبحوا يطلقون عليه اسم (شاعر العيون الزرق والشعر الذهب) وإذا كانت هذه القصيدة لم تلحن بعد ولم تظهر في أغنية يرددها الناس، إلا أنها كانت ارهاصة للشعر الغنائي العذب الذي أتحف الشاعر المعجبين به في مصر والعالم العربي بعد ذلك !

مرحلة الانطلاق العاطفي

وأخذت شاعرية صالح تنمو وتتسع مستندة إلى دعائم مكينة من الفصحى ومن ألفاظ مختارة أنيقة، وصور رائعة وموسيقى خلابة . لقد توافرت له الأداة الشاعرة أصدق ما يكون التوافر، واستقامت الخطة واستبان السبيل، ولم يبق إلا أن يعزف الشاعر ألحانه العذبة ليشنف آذان المعجبين في مصر والوطن العربي الكبير ..

وقد كان

عرف شاعرنا بالاتجاه الغنائي الرومانسي الرقيق، ولقد أجاد في شعر الحب إجادة متميزة، حتى لقد عرف بشاعر الحب، ولكنه كان في بعض شعره يطلب حب المحال، حب المرأة التي لم تخلق بعد، كما في قصيدته (سيراناده) حيث يقول :

ما أنت إلا امرأة في الخيال

رأيتـــهـــا بالقلب رؤيا المثـــال
لو قـــدرت «ليلة قـــدر» على
تحقيقها .. لم أرض هذا المحال
مناى أن تحسيـــا بفكرى
ولاتخطر في الدنيا لغيرى ببال

وهي قصيدة جميلة تصور لهفة الفنان واشفاقه من أن يكون له شريك في حبه الكبير الوحيد المثال.

وللشاعر قصائد في السمراوات كما له في الشقراوات، ولكنه كان يحن كثيرا إلى نموذج ملهمة قصيدته القديمة في ديوانه الأول (العيون الزرق والشعر الذهب).

ولذلك عاد في قصيدته (شقراء) يصور تلك اللهفات العميقة الصادقة ويكرر تلك المعاني والصور العزيزة عليه، فيقول

تعالى ... أنت يا شقراء للشاعر إلهام
على عودك يا شقراء للفتنة أصنام
به من ذهبى الشعر تسابيح وأحلام
ومن سحر العيون الزرق ألحان ... وأنغام
إطار من بديع الحسن لم يرسمه رسام
تعالى ... إن عشاق العيون السود قد ناموا
أجيرى القلب يا شقراء هذا الحسن هدام !

وهي قصيدة جميلة رقيقة تصور ثبات الشاعر في عشقه

العريق (للعيون الزرق والشعر الذهب) الذى تجلى فى شعر ثلاثينيات القرن العشرين.

على أن الشاعر الفنان الذى ألف عشق الجمال كما قدمنا فى مختلف صوره وألوانه، عاد ليؤكد ذلك فى قصيدته (أغنيات المساء) حيث يقول

وانتهينا إلى الحديث عن الحب فقالتْ في رقة .. وحياء
أترى أنت لاتزال على عهدك تصبو للأعين الزرقاء ؟
وتشيم الجمال في ذهب الشعر فتهفو لوجه الوضاء !
فتحيرت، إذ يغالبنى الصدق وترنو إلىّ عين الرياء !
قلت لازلت .. غير أني تغيرت وبات الفؤاد رحب الفضاء
إن قلب الفنان يسجد للحسن بشتى الظلال والأضواء

وهنا نشعر شعوراً جارفا وصادقا بالفنان الذى يخفق قلبه لكل ألوان الجمال، وشعر الحب عند صالح جودت هو العمود الفقرى فى فنه، بل وفي حياته كلها، فحاجته إلى الحب كحاجته إلى الطعام سواء بسواء، وبه دائما جوع شديد للحب، فهو محب مسرف فى حبه، زاهد ممعن فى زهده وسبحان من جمع النقيضين فى قلب الشاعر، الذى يرى أنه لا بأس عليه إذا عرف بالحب، أو إذا ذاع سره وتحدثت به الركبان. وهو يجيد وصف ذلك فى قصيدته الرقيقة (حكاية

في الحي) حيث يقول:

قالوا حديث حبنا حكاية في حينا
ينقلها من الوشاة من قصا ومن دنا
ما ضرنا من قولهم يا فتنتي، ما ضرنا؟
وما علينا منهمو ؟ وما لهم ومالنا ؟
أما ملأنا الجو عطراً وجمالا وسنى ؟
وأصبح الزهر سلاما وكلاما بيننا
وأغنيات لا يعيها غير أنت وأنا
كم اتخذناه حسابا وعتابا لينا

وعندي أن هذه القصيدة ، أو بالأحرى هذه الأغنية، هي من أرق أغاني الحب، وما أجدرها أن تلحن وتغني !

★★★

ومن أعمق الدراسات الأدبية والنقدية التي تناولت حياة صالح جودت وشعره بالنقد والتحليل تلك الدراسة التي نال عنها الأديب والناقد اللبناني د. فوزي عطوي(١٩٣٩-٢٠٠٨) درجة الماجستير من الجامعة اللبنانية سنة ١٩٨٠ تحت عنوان «صالح جودت: الشاعر والإنسان».

ونظرا لضخامة تلك الرسالة المطبوعة (٦٠٠ صفحة) فإنني سأختار لمحات من نقد وتحليل الباحث الصديق لبعض الملامح الفنية والإنسانية في شعر صالح جودت مثل تناوله

لظاهرة الكآبة في شعر صالح جودت الرومانسي يقول د.فوزي عطوي بعد أن استعرض ظاهرة الكآبة في شعر الرومانسيين عموما (١)

«على ضوء هذه الظواهر، نستطيع تكوين مفهوم صحيح عن معنى الكآبة التي نلمسها أحيانا في شعر صالح جودت الذي لم يكن يبالي بأحداث الدنيا ولو كشفت عن أنياب الملمات، فيأخذ الدنيا، كما تجيء غير متهيب ولا منساق إلى السوداوية التي تغرقه في اليأس والخوف من الغد

تلك الحكاية لا تحركني إن لم تقع يوما وإن تقع

أنا آخذ الدنيا، كما قدمت في غير ما يأس ولا ضمع

وأحب أيامي ، وإن كشفت أحداثها عن ألف مصطرع

وهو لا يعبأ بالأيام الآتية، وما يخبئه المستقبل له من مفاجآت

مالي وللمجهول، أعرفه، فأعيش باقي العمر في هلع؟

إن شاعرا يرفض اليأس والكآبة، لا بل يرفض شبهة الوقوع فيهما، هو أبعد ما يكون عن «الكآبة السلبية» التي طبعت شعر الرومانسيين، وأما الكآبة التي تتبدى بعض ملامحها في شعره العاطفي، بصورة خاصة، فهي «كآبة

---

(١) د. فوزي عطوي / صالح جودت الشاعر والإنسان/ دار الفكر العربي بيروت ١٩٨٧/ص ٢٦٠.

ايجابية» لها ما يبررها، وهى لون من التعبير الواعي عن حالة ادراكية لم تخف على الشاعر، حتي ولو كان يتخبط شخصياً في صميم المعاناة الوجدانية، وهو إذ يعترف بكآبته، فانما يفعل ذلك من أجل أن يتلمس سبيل الخلاص منها، بالثورة عليها أو على مسببيها» .

ثم يتناول د. فوزى موقفين سوداويين من خلال قصيدتين لصالح جودت، يقول :

«وبين يدى الآن من قصائد صالح جودت، اثنتان تنتظمان في ديوانه الأخير «الله والنيل والحب»، وتتسمان ببعض الحزن الكئيب الشفيف الذى يعرفه الشعر الرومانسي عموماً: ولكنهما معا تصفان موقفا سوداويا، الأول مرده إلى ظروف خارجة على إرادة الشاعر والحبيبة معاً، والثانى مرده إلى الحبيبة التى غدرت فخانت. غير أن الموقف السوداوى ليس موقفا انهزاميا يمكن تسجيله على الشاعر، ولكنه موقف فيه الكثير من ثورة الرفض الصامت، فى القصيدة الأولى، والكثير من ثورة الرفض العاصف، فى القصيدة الثانية .

فى أولى القصيدتين، «بنت الجيران» يقول صالح جودت

لا تسألينى متى أدنو فألقاك

بل اسألى الله أن أنأى وأنساك

بينى وبينك سد فوق طاقتنا

من شائعات وأسوار وأشواك

يا جارتي، كم طوينا ليلنا سهرا

كأننا في الدجى أشباح نساك

وليس مسا بيننا إلا قليل خطى

حفت بألف رقيب ساهر حاك

طبيعة الحسن أن يشقى ببيئته

هل يزدهي الورد إلا فوق أشواك!

يا جارتي هل درى ما في جوانحنا

من بالتجمل أوصاني وأوصاك ؟

تنهداتك في شباكك اشتعلت

وأدمعي أحرقت أضلاع شباكي

وأصبح الحي يروى عن صبابتنا

ملاحما من حياة الشاعر الباكي !

وفي ثانية القصيدتين ، يقول صالح جودت تحت عنوان «نهاية قصة» :

يا قلب لا تحفل بها ، واكتب نهاية حبها

لا، لا تصدقها وإن حلفت بعزة ربها

إن التي أحببتها يا قلب ، عبدة كذبها

وهل التي لا تحتوي قلبا، تحب بقلبها ؟

إلى أن يقول في أسى، متلهفا على أيامه السالفات معها

يا ضيعة الشعر الذي رقرقته من ذوبها
وخسارة الزهر الذي نمقته في جدبها
ومرارة الكأس التي عاقرتها في نخبها
فإذا تمردت الكرامة في هواك، فلبها
وأفق، فإنك واهم إما خدعت بلوبها !

فإذا انتقلنا الآن، إلى نموذجين آخرين من شعر صالح جودت، في ديوانه «ألحان مصرية» خدعنا ما فيهما من شفافية الكآبة، وما يغشاها من سوداوية ينساق إليها الشاعر، حتى إذا بلغ نهاية المطاف، وجدناه يهتف بالثورة، ويهيب بالحبيبة أن تثور على اليأس والسراب والقنوط الظالم القاتل، وبذلك نجد الشاعر يتوسل الأسلوب الرمزي طوال رحلته الشعرية . ولكنه سرعان ما يبرأ من الرومانسية، لكي تفضي به المسيرة إلى دعوة ايجابية تتناقض مع مواقف الشعراء الرومانسيين.

في قصيدته «سراب»، يقول صالح جودت

سراب، وكل حياتي سراب وفي وهمه قد أضعت الشباب
سراب، وأسلمته خاطري فعللني بالأماني الكذاب
وتابعته، رغم يأسي به ومعرفتي أنه لا يصاب
يروح كمقترب، في ابتعاد ،ويغدو كمبتعد في اقتراب
وأجهدني السير في إثره فلا القلب مل، ولاالعقل تاب !

ويعبر ، بعد هذا عن كونه اصبح كالمدمنين على أمر لا فكاك له منه :

كـــأني بروحي أدمنتـــه
فـــأصبحت لا أستطيع الإياب
أحث إليـــه الخطى راضـــيا
بأني على خطأ في الحـــساب
وأمـــلأ منه كــــؤوس المنى
وأشربهـــا، فـــيطيب الشراب

ثم يروي قصته مع امرأة تهمس بصوتها الناعم أنشودة كأنها منطلقة على شفاه الرباب، فيصورها صوتها في مسمع الشاعر دمية منمقة بالثنايا العذبة، انها تحدثه بالهاتف، ليلاً، والهاتف قريب الخطاب، لكنه بعيد المنال، فتروى حكاياتها بصدق في مسمعه، وتفتح له صفحات قلبها، وكأنها تفتح أمامه صفحات كتاب، فيلمح في عمرها حيرة، ويستشف في صوتها قلقا واضطرابا، كأنما هي تشتهي أن تعيش حكاية حب عاصف، ولكنها تخشى أن يخيب حظها فيه

وظلت لقـــاءاتنا في الخـــيـــال
فكانت لنا واحـــة في اليـــبـــاب
وطالت أحـــاديثنا الحــــالمات

كـوشـوشـة من وراء الحـجـاب
وسـاءلتـهـا، ليلة، مـا اسـمـهـا
فـقـالت: سـؤال عـصـي الجـواب
أنا في حـيـاتك وهم الحـيـاة،
وأنت خـيـال وراء الضـبـاب
فـمـا همك اسـمـي إن قلتـه ؟
أنا كـالسـراب، فـقل لي : «سـراب»
ودعنا نـعـيش على قـصـة
تـتـيـح لنا في المنى ألف باب
وتـصـنـع في الحب أسـطـورة
مـجـردة من سـمـات التـراب
فـلا لوعـة، لا أسى، لا شـجى
ولا حـرقـة، لا ضنى، لا عـتـاب
ونعـشـق في الوهم، إن الحـقـيـقـة
كم تسـكـر الناس مـرا وصـاب

فماذا كان جواب الشاعر؟ لقد رآها كمثله تسعى مخدوعة وراء السراب، غير ملتفتة إلى الواقع والحقيقة

فـقلت لهـا أنت مـخـدوعـة
أخـذت القـشـور، وفت اللبـاب
وقـد كنت مـثلك حـتى أفـقت

فأدركت أني أضعت الشباب
أفيقي من الوهم، يا طفلتي
ورودي الصراع، وخوضي العباب
فما خمرة الحب إلا الدموع
وما لذة الحب إلا العذاب!

والحق انه لولا هذه الدعوة الأخيرة، التي يوجهها الشاعر، إلى الحبيبة، «بالمراسلة الهاتفية»، إذا ساغ لنا أن نستعمل هذا التعبير تظرفا، لكانت القصيدة راوحت في حدود الرومانسية وتجاربها المأساوية الكئيبة، ولكن الشاعر، في أي حال، لم ينس أن يحافظ على عذرية الحب وطهارته، وروحانيته، فلم تتضمن دعوته أي سمة من «سمات التراب»، وإنما أبقت على الحب - الأسطورة الذي روجت له الحبيبة المجهولة «سراب»، كما أسمت نفسها، ولم يتعد هواهما إطار الأحاديث الحالمات في العشايا.

وفي قصيدته «الحب مات»، فيتزاوج فيه شعوران شعور الخيبة التي عاني الشاعر من جراحاتها، وهو يرى الحبيبة تشيح عنه بوجهها، وهو شعور رومانسي أصيل، ثم شعور الكبرياء الجريح التي آثرت الخسارة بشرف، على أن يستعاد الربح مجبولا بمذلة العاشقين العائدين. يقول

صالح جودت:

قالت، وفي القلبين جرح — الحب إحسان وصفح
إني ظلمتك حين ضج — بخاطري القلق الملح،
وكبا بي الشك العنيد، — فصح لي ما لا يصح،
ورجعت تائبة إليك، — يردني ندم وبرح
خذني، فإنك قمة، — وأنا بغير هواك سفح
أفما ترى صوت الضمير — يكاد من خجلي يبح ؟
إن الكريم، وإن تعذب — بالإساءة، لا يشح !

ولقد كان حريا بالشاعرأن يقبل عودة الحبيبة التى برح بها الندم، وحدا بها الحنين إلى القمم الشامخة التى تربعت عليها شخصية الشاعر، كما يقول، ولكن ألمه وغضبه على ما يبدو، كانا قد عطلا كل سبيل إلى الصفح والمغفرة :

فأجبتها متبسما: الحب مات، فليس يصحو
قد كان لى قلب كقلب النور معطاء وسمح
يضفى حواليك الضياء، وما انطوى لليل جنح
قلب يزين لك الفصول، فكلها عبق ونفح
ويمد نحوك راحتين، طلاهما أمل وفرح
حتى تملكك الغرور، ولم يعد يجديك نصح
وغدوت أنثى، فى ثقوب ضميرها أفعى تفح !

وتعود هذه المرأة التى كانت إلى عهد قريب هوى الشاعر

وحبه وإلهامه العبقري، فتعترف بذنبها اعترافا يكشف عن الأنوثة الضعيفة الرقيقة ازاء حزم الرجل وقسوته وكبريائه، ولكن الاعتراف بالذنب لم يكن فضيلة في نظر الشاعر، فتمادى في تعاليه وجبروته

قالت أجل أذنبت، فامح الذنب، إن الله يمحو
فأجبتها، هل تطلبين من الضحايا أن يضحوا؟
خمد اللظى في جانبي، فلم يعد للنار لفح
وخسرت فيك عواطفي الهوجاء، والخسران ربح
واسود قلبي. لم يعد فيه لليل هواك صبح
إني نسيتك فاذهبي، الحب مات فليس يصحو

لقد وقف صالح جودت وقفة الرجل المطعون في كبريائه، فلم يستطع أن يغفر للحبيبة ذنبها، ولم يقف وقفة الشاعر الذي يدنيه من الحبيبة إلهامها، وينئيه عنها تشوه صورتها في ناظريه وفي ضميره، ولو وقف صالح وقفة الشاعر لغفرنا له تناقضه، إذن، مع نفسه، في مواطن أخرى، حيث لا يمن على الحبيبة بفضل واحد مما اسبغه عليها بشعره، بل يقول لها مثلا

أهواك، لا أنكر أن الهوى مكمنه في طرفك الأرعن
يسألني قلبي : وما سره ؟ أقول: لا أعرف.. يا ليتني
لعله حيرة ظني، إذا لم تظهري شيئا، ولم تبطني

أو اعتيادي منك طول الجوى   كما تطيب الخمر للمدمن
أو ابتلاء الله لي بالهوى   هل يحمل البلوى سوى المؤمن؟

ويتمادى الشاعر في التعليل والتخمين والظن والحدس، في آن معا؛ ولكن ذلك كله لا يفضي إلى معرفة شيء، عدا أمراً واحداً وهو أنه يحبها

لعله فـي النظرات التـي   تنطق عن ذبذبة المعدن
جانحة تسأل عـن مرفأ   شاردة تبحث عن موطن
لعلني أعشق فيك الذى لا   ألتقى في عشقه مأمنى
وكل مـا أعلمـه أننـي   أهواك، يا خائنة الأعين!

فلا ريب، بعد هذا، ان من يقرأ القصيدتين السابقتين، يظن انهما لشاعرين مختلفين في الاتجاه، والفكر، والعاطفة، والموقف الإنساني والوجداني من تجارب القلب، ولكن حسب صالح جودت انه، في القصيدتين، كان يصدر عن تجربتين اثنتين، وان موقفيه المتناقضين كانا يصدران عن حالتين نفسيتين مختلفتين، وذلك دأب الشاعر، يشجي القلوب إذا حزن، ويهز النفوس إذا طرب، فهو الطائر الحر الذى يغني كما يطيب له الغناء، وليس بالفيلسوف المتزمت الذى يلتزم منهجاً دقيقاً لبناء نظام فلسفي موحد الأسلوب والاتجاه.

وعن موجبات الطبيعة في شعر صالح جودت يتناول

د.فوزي عدة موحيات انغمس فيها، منها البحر والمياه:

فيذكر أن صالح جودت، انغمس في موحيات الطبيعة والفن، فكتب عن البحر، والقمر، والليل، والطفولة، والأزهار، وليس أبعد كتاباته عن متناولنا ، أغنيته الشهيرة التي يغنيها المطرب فريد الأطرش

يا زهرة في خيالي   رعيتها في فؤادي

وهناك ثلاثة من الموضوعات الرومانسية المهمة التي استلهمها الشاعر في قصائده ودواوينه، وهي : البحر ، والقمر، والليل.

شاعر البحر

كان البحر، بالنسبة لصالح جودت، شركا للحسان، «يرى على شاطئه الجسد العبقري، أو يلتقي على صفحاته بالفاتنات السابحات، وأحيانا يغوص معهن إلى الأعماق» ولهذا، فقد تكررت قصائده «البحرية» التي يروى فيها «عهود المياه»، ومغامرات الشبيبة الموارة الفوارة بالعواطف المنطلقة.

ومن شعر صالح، في هذا المجال، قصيدته «الجسد العبقري» على شاطيء ستانلي، وقد جاء فيها (١):

عبقري أنت، في كل نتوء وثنيه

(١) راجع «ديوان صالح جودت»/ ١٩٣٤.

عبقري أنت، أوحيت لشعري العبقريه
لست أنسى لحظة الصيف وما جرت عليه
لحظة بين غواني الماء، في الإسكندريه
إذ تجردت وأبقيت من الثوب بقيه،
حدثت عما طوته من ثنايا قدسيه

وحين يتذكر «ليالي الاسكندرية» ، يمر في باله حديث «البحر»، و«الكورنيش»، و«الرمل»، و«امسيات الصيف»، وارتياد السابحات الفاتنات شواطيء المدينة المتوسطية، فيقول:

هذه الحسناء مرت فتن الصيف عليها،
فكستها سمرة تجتذب الدنيا إليها
رقص الموج على لحن الهوى، بين يديها،
فأجابت، وابتسامات المنى في شفتيها
أنت أحلى من ليالي البندقيه
يا ليالي الصيف في الإسكندريه

ثم يقول، اعتزازاً بأجمل «ثغر في بلاده»، وهو يعني به الأسكندرية نفسها:

أنا في رحلة عمري، طفت من واد لوادي
ما رنت عيني إلي أجمل من ثغر بلادي
المنى في كل شط، والسنى في كل نادي

هاهنا البحر غذائي، هاهنا الرمل وسادي

هاهنا سحر العيون العربيه

يا ليالي الصيف في الإسكندريه

لقد كان صالح جودت، في فجر شبابه النضر، يكثر من إبداع مثل هذا الشعر الغزلي الرومانسي اللعوب، وكم طارد الحسان على الشواطيء، وحتى في الماء، حيث لم تكن أمواج البحر لتعيقه عن مغامرات هواه، وعن جرأة الفتى الجسور الذي لم ينس عهد المغامرات حتى وهو في سن الشيخوخة.

يقول في قصيدة «عهد المياه»:

هناك على الشاطيء اللؤلؤي

وتحت مظلتك الوارفه

جلسنا نغني نشيد الغرامِ

على نغم الموجة العازفه

وتسعى إلينا قلوب المياه،

لتسمع ما تنشد العاطفه

تود المويجات لو داعبتنا

وفاضت على روحنا الهاتفه

فتلقى مؤامرة في الرمال

فترتد للبحر كالخائفه

وتشتعل النار في جسدينا

وتلهبهما الرغبة العاصفه

فنمضي لنطفئها في المياه،

فتهتز فينا اهتزاز الحنين

وتضحك في القلب مجنونة

بعهد المياه، فهل تذكرين ؟

ولا يلبث بعد ذلك أن يعلن، عن وقائع تلك التجربة، وعما جرى بينه وبين فتاته، وراء صخرة في المياه:

وذوبت قلبي في قطرة	وذوبت قلبك في أختها
وقابلنا رغبة في الصدور	فبددنا السحب عن كبتها
وأطلعناها مجوسية	تحشرجت النار في صوتها
فرحنا إلى صخرة في المياه	أجادت يد البحر في نحتها
ولم نبق ساكنة في النوازع	إلا عدونا على بيتها

وقد تغنى صالح جودت كثيرا بالإسكندرية التي اعتبرها شاطىء الحب الذي شهدت رماله صبواته وصولاته العاطفية منذ شبابه مع فاتنات الشاطىء اللؤلئي:

إسكندرية، فيك الرى والظمأ

بأي قصة حب فيك أبتدي ؟

أقصة الحب طفلا، في ملاعبه

لا هم أترابه الدنيا ولا عبأوا

أيام كنا نرى الحرمان معصية

ونأخذ اللهو كلا ليس يجتزأ

ونجعل الرمل قصرا، ثم نهدمه

ونركب الموج عرشا، ثم ننكفيء

ولت طفولتنا كالحلم مسرعة

ودب في إثرها المستقبل اللكيء

جاء الشباب، وكنا في ملاوته

نلهو فنغلو، ونستشري فنجترئ

أما الشباب، فقد فضت موائده

وما تخلف إلا الجوع والظمأ

ثم يناجي الإسكندرية بقلب العاشق المفتون بسحرها الفياض:

منازل الوحي في مغناك ما برحت

والملهمون على شطيك ما فتئوا

يا ربة الشعر، يا بلقيس دولته

جودي علينا، فإنا كلنا سبأ

بناك للصيف ذو القرنين مروحة

تشفى بها المهج الحرى وتبترىء

سماء غيرك تزهى إن حوت قمراً

وأنت أرضك بالأقمار تمتلىء

إنى رأيت طلوع البدر من «بحرى»

فقلت هب لى أمانا أيها الرشأ

وقد استهوته ليالى الإسكندرية بسحرها وعذوبتها وذكرياته فى مجاليها الفيح وعلى كورنيشها الرائع:

موكب الحسن على الكورنيش إذ يخطر ليلا

يملأ الجو ترانيماً وأنغاماً وميلا

كلهم فى ذكريات من هوى قيس وليلى

يسألون الرمل والبحر هل الجنة أحلى

من مغانيك الحسان العاطفية

ياليالى الصيف فى الإسكندرية

الفصل السادس :

قيثارة مصر

قالت: وكيف النيل؟ قلت لها:
رغم الحوادث لم يزل يجرى
متحملاً لجراح عزته
متذرعا بالحلم والصبر
مترصدا للمحدقين به
متحفزاً للأخذ بالثأر
مازالت الأهرام شامخة
والسد مختالاً على النهر
أنا لست من دينى ومن نسبى
إن عشتُ مغلوباً على أمرى

صالح جودت

أجاد صالح جودت في شعر الوطنية والقومية العربية إجادة عظيمة، ومهرجانات الشعر التي أقيمت خلال حياته في ستينيات ومطالع سبعينيات القرن العشرين في مختلف ربوع العالم العربي شهدت صالحاً في طليعة الشعراء المبدعين.

وفي قصيدة رائعة باسم «قرطاجية» ألقاها في مهرجان الشعر بتونس في مارس ١٩٧٣ قبيل حرب أكتوبر المجيدة، وكانت لاتزال بعض آثار النكسة بارزة في بعض أرجاء الوطن العربي، وقد عزفت لنا قيثارته في هذه القصيدة أنشودة الحب والوفاء والاعتزاز بوطنه مصر في مواجهة حملات التجريح أثناء فترة الاستعداد لحرب العزة والكرامة

قالت: وكيف النيل؟ قلت لها ... رغم الحوادث لم يزل يجري

متحمــــلا لجــراح عزته ... متــذرعا بالحلم والصــبر

مترصــدا للمحـــدقين به ... متحفــزا للأخـــذ بالثــأر

مازالت الأهرام شــامخة ... والسد مختالا على النهر

والكــرنك المرفوع مؤتلقـا ... يجلو دبيب الروح في الصخر

وصلاة اخنـــاتون خاشــعة ... غبــارة كمــؤذن الفجــر

وغــواية الأمجـاد مابرحـت ... مهـوى قلوب الفتية السـمر

الصامـــدين بحلو نكتتهـم ... يروونها في العســر واليسر!

ومن العجائب في طبائعهـم ... لطف الحمـــام وعزة النســر

شربوا التفاؤل من تعطشهم   للنيـل في تيـاره الثـوري
يروي أبو الهول الأمين لهـم   ما شـامه من حـادث الدهر
نقش الفراعن في براثنـه   تعـويذة مجهولة السـر
مر الغـزاة به فما هبطـوا   من سـفحه إلا إلى القبـر
لم يلق منهـم فاتـح سكنا   في أرض مصر عصية الظهـر
إلا جـنود الله، إذ قدمـوا   في مـوكب الإيمـان والخير
يسعون والقرآن رايتهـم   والله ناصـرهم على الكفـر
يمشون فيها رحمة وهدى   ويبـاركون الكـون بالذكـر
فتحت لهم مصـر منازلها   واسـتقبلتهم رحبة الصدر
وعنـت لدين الله قانتـة   ودنت له بالحمـد والشـكر
وحنت على عمـرو مهـللة   يا بارك الرحمن في عمـرو!

وكتب الله للشاعر أن يعود إلى وطنه مصر، وشهد ساعة الصفر، وشهد الهجوم العظيم الذي انتهى باجتياح خط «بارليف» ودحر جحافل العدوان الصهيونية الباغية بزعامة أنور السادات العظيم، وشاء الله أن يكون انتقال صالح جودت إلى جواره الكريم بعد ذلك النصر العظيم الذي تنبأ به وألهمه في أبياته الخالدة .. لقد كان صالح جودت شاعراً كبيراً مؤمناً ووطنياً صادقاً، وعربياً مخلصاً، رحمه الله.

في الذكرى الأولى لرحيل صالح جودت يتناول كمال النجمي لمحات من حياة صالح جودت وأدبه وشعره، فيقول:

«كان صالح جودت فى السنوات الأخيرة من عمره أنشط شعراء مصر جميعاً إلى الشعر .. ينظمه في كل مناسبة قومية أو أدبية أو فكرية أو فنية .. فضلاً عما ينظمه تعبيرا عن خوالج نفسه ونبضات قلبه، وهو ما لايقل حجماً عما ينظمه فى الأغراض الأخرى مجتمعة إن لم يزد...

ودواوينه كثيرة غزيرة، وأهمها صدر في سنوات نضجه، وتفتحه للشعر والحياة بعنف لم يعرفه حتى فى صدر شبابه الأول..

وكان على جانب الشعر يكتب لوناً خاصاً من القصة، طويلة وقصيرة كما كان يكتب فى السياسة والأدب والرحلات ويشغل نفسه بأعمال كثيرة مع انشغاله بالعمل الصحفي المرهق!

ومن يتأمل شعر صالح جودت يجد أن أقرب دواوينه تعبيراً عن شاعريته هو ديوانه «حكاية قلب» الذى نشره في ستينيات القرن العشرين، لأن شعر صالح جودت هو حكاية قلبه لا أكثر ولا أقل! (١)

حكاية بمعناها الشعرى ومعناها الأدبى عند نقاد الأدب، فهو ليس قصة قلبه الشعرية بل مجرد حكايتها .. وهو ليس قصصا شعرية بل مجرد تهويمات غنائية عاطفية..

---

(١) المصور / ٨ يوليو ١٩٧٧.

ولما صدر ديوانه هذا سنة ١٩٦٥كتبت حينذاك ما معناه أن صالح جودت عاشق إلى الأبد لايعترف بمر السنين، فهو في الخمسين من عمره وفي الستين، يحب كما كان يحب في العشرين والثلاثين.

ومذهبه في الحب واحد في الحالتين أو في الحالات المختلفة المتنوعة الطعوم والروائح، لأن حالات الحب فيما بين سن العشرين وسن الثلاثين كثيرة مختلفة لاتقع تحت الحصر، ولكن صالح جودت بحيويته الشعرية الخاصة، كان يجمع هذه الحالات كلها في قلبه ويسميها حكايات قلبه ويعيشها أو يعايشها كما يعيش المرء أو يعايش حكايات تحلو حينا وتنضح مرارة أحياناً.

وكان العمر عنده مقسماً على الحب بالعدل والقسطاس، وكل قسم من العمر عنده، قسم من الشباب، فلا كهولة ولا شيخوخة في عمر من يحب ويعيش للحب!

وكيف يكتهل أو يشيخ شاعر أبدي الشباب إذا انقضى شبابه الأول أقبل شبابه الثاني، فإذا أدبر أطل عليه شبابه الثالث، فإن رحل جاء الشباب الرابع .. ثم الخامس والسادس والعاشر إلى ماشاء الله من أطوار الشباب في عمر هذا الشاعر العاشق إلى الأبد، الشاب إلى نهاية الزمان!...

وفي نهاية الزمان - زمان الشاعر - تنطفئ شعلة الحب والحياة معا، فالحياة الحب والحب الحياة، كما قال أمير الشعراء أحمد شوقي الذي كان صالح جودت يكن له ما لا يوصف من الإعجاب والإكبار، ويحاول دائماً حين ينظم أن ينسج على منوال نظمه، فيذكرك به مرة، وينسيك إياه مرة، ولكنك ترى صالح جودت في كل مرة!...

ومن عرف صالح جودت وصحبه سنوات مثلنا، لايتخيله حتى بعد رحيله إلا شابا، يتنقل من شباب إلى شباب بالخفة والسهولة والرشاقة التي يتنقل بها من حالة حب إلى حالة أخرى..

قلت له مرة:

- ما أطيب الحياة، وما أهون تكاليفها حين تكون انتقالا من شباب إلى شباب ومن غرام إلى غرام!..

قال:

- هذا إذا نظرت إليها من سطحها اللامع المعطر!..

قلت:

-أشعارك لامعة معطرة..

قال:

- ألا ترى فيها غير هذا؟!

قلت:

- هذا انطباع الوهلة الأولى من قراءة هذه الأشعار، فإذا تأملتها رأيت خلف أبياتها الثملة الراقصة وجها مكسواً ببعض الألم والملل وبعض الرغبة في الهروب من المرأة!

نعم فبعد زمن مديد قضاه في عالم المرأة السحرى لم يعد يجد فيه ما يجتذبه بقوة وعمق .. وتساوت لديه في نهاية المطاف ذات الشعر الذهبي، وذات الشعر الكستنائي، وأصبح كل شئ عند هذه ككل شئ عند تلك، وعند غيرهما وغيرهن، حتى يشمل جنسهن كله..

وكثرت النهايات الحتمية، ينقضي بها كل الغرام، وتختفي بها كل امرأة من حياة الشاعر، حتى سئم تكرار الحب، فكل بداية حب جديد، تفضي إلى نهاية حب قديم..

إن ديوان «حكاية قلب» يمثل الشاعر صالح جودت العاشق، كما لايمثله ديوان آخر من دواوينه..

الشاعر فيه يكشف لك قلبه كله .. كل قصيدة جديدة وراءها وجه جديد .. أو فكرة جديدة عن وجه قديم يريد اكتشافه من جديد..

وقد شف ديوانه هذا حتى كشف تفاصيل من حكاياته لم يكن هو نفسه يصدق أن القارئ لديوانه يستطيع أن يكشفها بتفاصيلها كاملة، مع أن الشاعر لم يذكر هذه التفاصيل.

ولما كتبت عن ديوانه هذا في الستينيات قلت إن الشاعر يعترف في إحدى قصائده أنه ظل واقفاً «ملطوعاً» في الشمس على كورنيش الإسكندرية عدة ساعات ينتظر من إحدى ملهماته الوفاء بوعد اللقاء، فلم تف بالوعد، وعذبته بتجربة من تجارب الشك لاتقل عن تجربة الشك التي عاناها عطيل في مسرحية شيكسبير.

هذه التجربة وصفها صالح جودت في قصيدة «الموعد الخائب» فحولها من موقف «درامي» إلى موقف غنائي أو موقف أنيق حافل بالظرف والتجميش النواسي البغدادي:

ومـوعد للوصـل ياغـانيه أخلفته للمـرة الثـانيـه
وقفت والشمس على هامتي جهنـم مشـبوبة حـاميه
حتى دنا الميعاد فاستعجلت أشواق روحي اللحظة الباقيه
خيل لي إذ طال بي موقفي أن عيون الناس تهـزأ بيه
ومرت السـاعات محزونة ومالت الشمس عن الناصيه
وأظلم العالم في ناظري فعدت ألقى ليلتي الداجيه

قرأ صالح ما كتبته عن هذه القصيدة، فلم يكد يلقاني في الاجتماع الأسبوعي الذي كان ينعقد في مكتب شيخ الصحافة الأستاذ الكبير فكري أباظة بمجلة المصور، حتى قال لي:

– هل رأيتني في الإسكندرية واقفاً على الكورنيش في عز الشمس انتظر تلك المرأة.

قلت: - لا

ودهش وقال:

- فمن أين لك وصف موقفي «ملطوعاً» كما تقول في الشمس على كورنيش الإسكندرية، وأنا لم أذكر الكورنيش في كلامي ولاذكرت الإسكندرية؟!

قلت له:

- شعرك ينم عنك، إن أبياتك شفافة لاتحجب ما وراءها..

ارتاح إلى هذا التعليل، وقال لي:

- لقد شربت يومها مقلبا سخنا

كان شعر صالح جودت ينم عنه دائماً قال مرة:

سلواي يا أحلى من الحلوى يا لذة اللذات يا سلوى

أهواك في صبر وفي عفة أهواك في طهر وفي تقوى

ولا أرى معصية في الهوى مادمت أرضى منك بالنجوى

قلت له يومها:

- الحمدلله الذي اذاقك من الحر ما جعلك لاتجد مفراً من الحب في طهر وفي تقوى، ولا تطمع في أكثر من النجوى ولكنك كشفت دميتك الجديدة للناس، أفلم تستطع حتى أن تكتم حروف اسمها..

رحم الله صالح جودت ومن كان يهواها في صبر وفي تقوى، ولتبحث عرائس الشعر الباقيات بعده عن شاعرينظم

فيهن الشعر ليل نهار .. ولن يجدن مثله .. في حالات حبه ، وفي زهده وتقواه. وتساويهن لديه وألمه منهن..

وعندما صدرت أول دراسة عن حياة صالح جودت وشعره تحت عنوان «صالح جودت: شاعر النيل والنخيل» لكاتب هذه السطور عام ١٩٧٧ تناول الأديب الناقد كمال النجمي هذه الدراسة ليتحدث من خلالها عن صديقه صالح جودت الشاعر والإنسان، فقال: (١)

«فاتنا أن نقول شيئاً عن الدراسة الموجزة التي نشرها سنة ١٩٧٥ عن الشاعر صالح جودت، تلميذه وصديقه الأديب الشاب محمد محمود رضوان وهي دراسة طيبة عنوانها «شاعر ليالي الهرم» .. كان صالح جودت وقتها في السنة الأخيرة من حياته، وقد توفي بعد نشر هذه الدراسة ببضعة أشهر..

وأخيراً عاد الأستاذ محمد رضوان فوفي الشاعر الراحل بعض حقه من الدراسة في كتاب ممتاز بالرغم من أنه – مثل دراسته تلك – أقرب إلى الإيجاز، ولا يعطي لصالح جودت إلا ما تيسر من حقه في الدرس والتحليل وقد لبث ينظم الشعر خمسين عاماً يتسع فيها مجال القول والنظر..

---

(١) مجلة المصور / ٢٥ نوفمبر ١٩٧٧.

عنوان الدراسة الجديدة «شاعر النيل والنخيل» .. والفرق بين «شاعر ليالى الهرم» و «شاعر النيل والنخيل» هو الفرق بين شباب صالح جودت فى العشرينيات وبداية الثلاثينيات، وبين كهولته ونضجه بين الخمسينيات والسبعينيات.

ولكن لماذا لم يتح لهذا الشاعر ذى الشاعرية الحقة، التى عاشت عشرات السنين، نصيب من الدراسة والتكريم لشعره حتى الآن، مع انه لم يكن مغموراً من بداية حياته الشعرية إلى نهايتها؟

ربما كان الأقرب إلى الصواب فى هذا الأمر - كما يبدو لى - أن صالح جودت عاش منذ بداية الخمسينيات حتى توفاه الله، فى جانب فكرى خاص، بينما وقفت غالبية نقاد الشعر والأدب فى تلك الفترة فى جانب آخر.

كان صالح جودت بين الخمسينيات والسبعينيات يمينياً، بالمعنى السياسى المتداول الآن، وكان النقد الأجنبى أقرب إلى اليسار، وبعضه كان يساريا بحتاً، وغلب عليه هذا الاتجاه، واستعر العداء بين من يقف هناك ومن يقف هنا من حملة الأقلام..

وكان «التجاهل» من بين الأساليب التى اتبعها النقاد المتغلبون على الصحف فى تلك الفترة، فتجاهلوا على سبيل

المثال شعراء وأدباء كانوا يستحقون الدراسة مثل على أحمد باكثير وعبدالحميد جوده السحار وعبد الحليم عبدالله وغيرهم.

والخطأ الذى وقع فيه هؤلاء النقاد لايحتاج إلى بيان، وقد أثبتت الحياة نفسها أنه خطأ، وأن معرفة القمر لاتتم من وجه واحد.

وهكذا لم يجد صالح جودت في القليل الذي كتبوه عنه إلا كلمات صحفية، وهي في الحقيقة نوع من الشجار والنقار، وغمز لمواقفه الفكرية وللجوهر الفنى لشاعريته وشعره! ومن المعروف أن النقد الحديث فى جميع الدنيا الآن، يتأمل الموقف الفكرى للأديب أو الشاعر أو الفنان، ولكنه في الوقت نفسه ينظر إلى تجربته وإنتاجه ولو كان يقف فى أقصى اليمين أو أقصى اليسار أو يجلس أو يقف أو يجعل رأسه إلى تحت ورجليه إلى فوق!

هناك الآن – في غير مصر – من يقول مثلا أن فلاناً أو علاناً أو ترتاناً مفكر يمينى ولكنه روائى موهوب، أو مخرج عظيم أو رسام كبير، وهناك من يقول أن فلانا يسارى الفكر ولكن يساريته لا تهدد فنة ولا تحيله دعاية وطبلا وزمراً، فإن الفن الجيد يمكن أن يوجد في الجانبين معاً، بل فى الجوانب

المتعددة، فلم تعد الدنيا جانبين فقط، بل جوانب لا يعلم عددها إلا الله!

والفن – في ذاته – صار قيمة مستقلة بل الحقيقة أنه كذلك منذ الزمان الأول برغم المواقف الفكرية لأصحابه، ومن الذى يستطيع أن يكتب شيئاً صحيحاً دقيقاً عن المواقف الفكرية والاجتماعية لرسامى عصر النهضة الأوربية أو لشيكسبير مثلاً.

وددت – والله – لو أنبأنى من عنده علم صحيح ماذا كان الموقف الاجتماعي والفكري للمهندس النابغة الذى بنى جامع السلطان حسن فى القاهرة، تلك التحفة الفنية الغنية؟!

ولسنا ننحاز بطبيعة الحال إلى ذوى الأفكار السيئة أو المواقف الخاطئة فى أى عصر، ولكننا لا ننكر ثمرات قرائحهم أن كانت لها ثمرات..

وقد ضاع صالح جودت عند نقاد عصره لموقفه الفكرى الذى خالف موقفهم، وترك اشتداد الصراع فى هذا العصر آثاره الوخيمة على الفن والأدب فكان من أمر الفن والأدب بمدارسهما المتنوعة المتعاقبة تعاقب الليل والنهار، بلا تشابه ولا تكرار.

أصدر صالح جودت ستة دواوين بين سنة ١٩٣٤ و ١٩٧٥، أولها ديوان «ليالى الهرم» وآخرها ديوان «الله والنيل

والحب» .. ومن طريف ما يذكره محمد رضوان عن صالح جودت حسبه ونسبه وأصله وفصله..

فإن صالح جودت هو ابن باشوات .. جده جودت باشا، كان أديباً سياسياً ولد فى الاستانه وكتب بالعربية والفارسية والتركية ومن كتبه «تاريخ جودت» وهو مترجم إلى العربية. ويصف أحوال الدولة العثمانية، لاسيما الانكشارية ذوى السمعة العسكرية التاريخية..

فيكف نزح بعض أولاد جودت باشا إلى مصر؟!

يقول محمد رضوان أن إسماعيل جودت - نجل جودت باشا .. كان أحد أحرار الترك وكان خطيباً مفوها وأديباً ينظم الشعر بالتركية والفرنسية اضطهدته السلطات التركية فلجأ إلى مصر، واشتغل بالمحاماة. فلما نشبت الثورة العرابية شارك فيها ثم قبض عليه بعد فشلها وسيق إلى المنفى فى السودان فلبث ثلاث سنوات ثم أبعد إلى تركيا ليبقى تحت عيون الجواسيس خشية أن يثير السودانيين أيضاً!..

ولكن إسماعيل جودت كان قد عزم على العودة إلى مصر، فعاد إليها بعد أربعة عشر عاماً ومعه ابنه كمال الدين وكان صبيا وقتها ورث عن أبيه حب القراءة والأدب وتعلم فى المدارس المصرية وتخرج مهندساً زراعياً واستلهم من عمله

في الريف فكرة كتاب يصف مصر وأقاليمها بالزجل، وكان عملاً أدبياً طريفاً غير مسبوق!..

وفي عام ١٩٠٦ تزوج كمال الدين من كريمة الشيخ عبدالرحمن وهو شيخ تركي الأصل أما والدة الزوجة فكانت مغربية الأصل،، وفي عام ١٩٠٨ ولد في الزقازيق صالح كمال الدين اسماعيل جودت .. وأطلقت عليه والدته اسم «عبد الرحمن» تيمناً باسم أبيها، وكان والده حين مولده مريضاً فلما شفي أختار له اسم «صالح» تيمناً باسم شقيق له هو المستشار صالح جودت صاحب المؤلفات في القانون والأدب،، وهكذا ظهر إلى الوجود اسم صالح جودت الصغير بعد اسم عمه صالح جودت الكبير.

ويعرف صالح جودت بين الأدباء انه من شعراء المنصورة، مع كونه قاهرياً، والسبب أنه بعد حصوله على الشهادة الإبتدائية والتحاقه بالثانوية، اتجه إلى مسارح عماد الدين وروض الفرج فرسب في السنة الأولى الثانوية ثلاث مرات، وكان لايعود إلى بيته قبل الثانية صباحاً، فانتزعه والده من القاهرة وألحقه بمدرسة المنصورة الثانوية فنجح في الدراسة، وبدأ يتجه إلى الشعر

وفي المنصورة تعرف على الشعراء على محمود طه ومحمد عبدالمعطي الهمشري وإبراهيم ناجي تلك الكوكبة من شعراء

الرومانسية المصرية .. ومنذ ذلك الحين عرف قراء الصحف اسم صالح جودت ضمن شعراء الحب والجمال والرومانسية وكانت زعامة الرومانسية الشعرية لعلي محمود طه ثم لابراهيم ناجي والهمشري ثم انتقلت إلى صالح جودت مع زعماء آخرين لها في عهده وقبل عهده عدد غير معروف.

عاش صالح جودت رومانسي الشعر والشاعرية، إلا أن شيئاً طرأ على مذهبه اللفظي والموسيقي ففي بداية أمره لم يكن متمكناً من أساليب الشعر العربي إلى الحد الذي يرضاه الشعر الرصين، فأعلن صالح ثورته على هذه الأساليب، إذ لم يستطيع أن يمتلك ناصيتها، ولكنه في الوقت نفسه أخذ يستوعبها ويتأملها، وكانت عمدته في ذلك أشعار شوقي خاصة، وما سمعته يروي أو يتحدث عن البحتري أو المتنبي.. دعك من أبي تمام ومسلم وبشار، ومن كان قبلهم إلى الجاهلية.

ومن شعر شوقي أفاد صالح رصانة أسلوب، وجمال تنغيم، وصار بيانه الشعري أعرب مما كان وتخلص من تلك اللكنة الأعجمية التي نعرفها في شعر الرومانسيين - عدا علي محمود طه - وكنا نقرأ بعض شعره في أخريات حياته - رحمه الله - فنكاد نسأل كما كانوا قديماً يسألونه من هذا البدوي المطبوع! .. فإن أداة صالح جودت في نظم الشعر

نضجت في الاتجاه الكلاسيكي مع أن مضمونه لبث رومانسياً لأنه يلبي حاجة وجدانه وحاجة فنه وحاجة حياته كلها: طرباً وشجناً .. ويقيناً وخيالاً؛

ويفسر لنا بعض النقاد سر «مصرية» صالح جودت العميقة كظاهرة بدت في بعض ممن كانت أصولهم غير مصرية، حيث بدأت إرهاصات هذا الاتجاه عند جودت مع انضمامه لجماعة أبوللو (١)

ومن الملاحظ أنه بعد اقترابه الشديد من أحمد شوقي، ومن جمعية أبوللو، رأيناه يتبنى اتجاه «المصرية» الذي استيقظ في هذه الفترة، والغريب أنه ازدهر على يد جماعة تبتعد بأصولها عن هذه المصرية، ومع ذلك كانوا من أشد الدعاة إلى هذه المصرية، على نحو ما نعرف من توفيق الحكيم، وأحمد شوقي، ويحيى حقي، والدكتور حسين فوزي، والعقاد في بواكيره، فهؤلاء كانوا ومازالت فيهم آثار تلك المدرسة المصرية في الأدب، ابتداء من هذا القرن.. وسواء علينا أن قلنا: إن مصر قادرة على تمصير الأجناس من كل نوع، أو قلنا إنه كانت وراء ذلك المبادرة إلى الانتماء، ومن العمل على تأكيد هذا الانتماء دائماً.. فإن الذي لاشك فيه أن الغناء الحار لمصر قد ترقرق من وجدان صالح جودت.

فهو حين يتكلم عن القاهرة يضعها بين قوسين هما

---

(١) المصور / ٨ يوليو ١٩٧٧.

الفراعنة والعرب، وهو يركز بعشق على الحضارة القديمة، وإن كان في الغالب قد قفز منها قفزاً إلى العروبة الحديثة في مصر، فهو يرى في البنت ذات الملاية والضفيرة «نفرتيتي الصغيرة»، وهو يتغنى بعشقه في ليالي الهرم:

ها هنا مهد أبي الهول هنا   كاتم الأسرار من عهد «منا»
هيأ الأحلام والنجوى لنا   عبقري الصمت منذ القدم
فتمتع بليالي الهرم

كما أنه يتغنى بالنيل، وبليالي إسماعيل في قصر الجزيرة، وبالقاهرة في أكثر من قصيدة، وببعض الملامح المصرية كقصيدة «الغجرية» التي استخدم فيها الألفاظ التي تجري على ألسن الغجريات مثل «الجدع: النقطتين: الفترتين، والنقطة في عرفهن هي اليوم أو الأسبوع أو الشهر أو السنة»، بل قد يلجأ إلى بعض المفردات الشعبية كقوله:

ولا شجاني نَفَسٌ عاجزٌ   يَنْسابُ من ثَغْرك كالسَنْسَن

وهو حين يرى فاتنة على الشاطئ «الراين» يدخل معها في حوار، ينتهي منه إلى قوله:

مسْكينةٌ «هيلدا» أما علِمتْ   أني ألِفُّ مَدائنَ الكَون
وأعودُ في الوطن الحبيب إلى   لُطْف الظلال، وسُمْرة اللّوْن
فأقولُ: ما في الكون أجمعه   فِتَنٌ كفتنة بنت فِرْعَون

وهو في قصيدة «غريب في لندن» ينتهز الفرصة ليتكلم

بحرارة عن مصريته

قالتْ لهم: من الغريب ها هنا؟

أتجهلين يا جوان من أنا؟

أنا؟ أنا أكرم منك موطنا

أنا؟ أنا أعرق منك معدنا

أنا ابن شعب يتحدى الزمنا

ابن الروابي الخضر من أرض «منا»

لا تسألي عنه.. فإنه أنا

قالت جوان «ليتني».. يا ليتنا

وإذا كان يحسب له هذا الغناء الحبيب لمصر، مع أن أصوله غير مصرية، فمن المفارقات أنه وقف نفسه في هذه الفترة المبكرة على الحب، وكانت محبوبته - على غير عادة المصريين - شقراء الشعر، زرقاء العينين، فهو يقول في قصيدة شقراء:

تعاليْ.. أنت يا شقراء للشاعر إلهامُ

به من ذَهَبيِّ الشَّعْر تَسْبيحٌ وأحلام

ومن سَحْر العيون الزُّرْق ألْحانٌ وأنغَام

إطارٌ من بديع الحسن لم يرْسمه رسام

صالح جودت بين جمال عبد الناصر والسادات

كان من أبرز ملامح شخصية صالح جودت الشاعر الرومانسي الوجداني هي تلك العاطفة المشتعلة وجيشان المشاعر وكان الواقع أقوى من طاقته، وكان إحساسه الحاد بالتناقض في حياته بين الواقع والخيال، جعله يؤمن - كالرومانسيين - بالحرية التي يستلزم تحقيقها حرية الرأي.

وكانت عاطفة الشاعر المجنحة المنطلقة، وجيشان مشاعره التي تعبر عن القلب والوجدان قد آمنت بدور الزعيم جمال عبدالناصر ألتحرري خاصة بعد أن حقق لمصر استقلالها بعد اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٦ ضد العدوان الثلاثي، فواكب صالح جودت بشعره ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ودور جمال عبدالناصر الذي يمثل الحرية والعزة والكرامة لمصر التي تمثل المكانة الأولى في قلب صالح جودت ووجدانه حيث كان يعتبر مصر أمه بل أعز من أمه التي أنجبته.

وظلت صفحات شعره نقية بيضاء.. أما ما كتبه من مقالات في مجلة المصور التي كان يرأس تحريرها بعد ذلك من سلبيات للحقبة الناصرية فكانت أشبه بمراجعة تلك الحقبة بعد نكسة يونيو وبعد رحيل الزعيم استشرافاً للمستقبل وعندما تولى الزعيم محمد أنور السادات حكم مصر رحب به

كخليفة لعبدالناصر وكأمل لتحرير مصر وبالفعل عندما قاد السادات معركة نصر أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة هلل جودت وأطلق أناشيد الحرية التي طالما اشتقنا إليها لقد ظلم بعض نقاد الأدب وبعض أصحاب الاتجاهات اليسارية وبعض الناصريين موقف صالح جودت وناصبوه العداء حتي بعد رحيله لتصفية مواقفه السابقة منهم واتهموه بالتلون والتغير ولكنهم نسوا أنه كان شاعراً وجدانياً عاطفياً عبر عن مشاعره بكل صدق والدليل على ذلك هو قصائده المفعمة بالحزن والأسى بعد رحيل عبدالناصر وهو ما لا يستطيع مزايد أن ينكره وأن يوالي ظلمه الفادح لصالح جودت ويكفي أنهم ظلوا يسدلون على سيرته وشعره ستار النسيان بعد رحيله تصفية لحسابات خاصة بهم.

كان صالح جودت في شعره صادقاً فيما قاله عن الزعيم جمال عبدالناصر في كل المراحل التي مرت بها مصر حتى عندما وقعت نكسة يونيه ١٩٦٧ سخر شعره للدعوة للصمود والتماسك من أجل تحرير الأرض السليبة وكان أول من أنشد قصيدة يطالب فيها ناصر بأن يستمر زعيماً لمصر عندما تنحى في ٩ يونيه ١٩٦٧ فكانت قصيدته «دم للشعب» التي تغنت بها كوكب الشرق أم كلثوم، فكانت بلسما أعاد بعض

الثقة لنفوس الشعب المصري، والتي يقول مطلعها:

قم واسمعها من أعماقي فأنا الشعب
ابق فأنت السد الواقي لمنى الشعب
أنت الخير وأنت النور أنت الصبر على المقدور
أنت الناصر والمنصور

كان هذا في حياة جمال عبدالناصر.. وعندما رحل ناصر عن الحياة في الثامن والعشرين من سبتمبر ١٩٧٠، وأصبح عبدالناصر في ذمة الله وفي ذمة التاريخ، ولا يملك نفعاً ولا ضراً بكاه صالح جودت بدم قلبه في أربع قصائد شجية باكية أولها «نحن أولى بالرثاء» مطلعها:

أمع الإسراء نادته السماء
كدت أن أحسبه في الأنبياء
علت الطائرة الثكلى به
فتخيلت براقاً في السماء

وكانت القصيدة الثانية «بعد الوداع» يدعو فيها للصبر والتماسك:

هيهات أن نعرف معنى الضياع
والزحف ماض والأماني جياع
هيهات والثأر بأعماقنا
يزأر من أعماقه كالسباع

هوى الذى كان ارتفاع السما
وانهار من كان كشم القلاع
إرادة الله قضت أمرها فينا
فقلنا: يا جمال الوداع

أما القصيدة الثالثة فكانت «أغنية على قبر البطل»

أيها الحى المسجي
لم يزل دربك للأيام دستوراً ونهجاً
التمسنا من بطولاتك إشعاعاً ووهجاً
ووجدنا فى وصاياك لنا العهد المرجي

والقصيدة الرابعة كانت موجهة إلى «شريكة المجد: أم خالد» يواسيها ويشد من أزرها فى هذه المحنة القاسية:

لك يا من جرحها أعمق جرح فى الأيامي
نسأل الرحمن صبراً وعزاء وسلاماً
لست فى فقدانه وحدك وجداً واضطراماً
كلنا مثلك يا أخت ثكالي ويتامى
كانت الناس على النعش قلوبا تترامى
وتنادى لم لايحييه من يحمى العظاما؟
لم لايبقيه كالنيل وكالشمس دواما؟
ورجعنا نشرب الدمع ونقتات الرغاما
ونلوم الموت، لكن نحن أولى أن نلاما

كم قتلناه افتتاناً واختلافاً وانقساماً
وكأن الله يسترجعه منا انتقاماً

كان حزن صالح جودت عفوياً صادقاً من القلب استطاع أن يعبر عن وجدانه في هذه اللحظة التاريخية الفاصلة، وعاش بعد رحيل الزعيم عبدالناصر ست سنوات لم يمس فيها الزعيم الخالد بسوء في بيت واحد من الشعر

لكن كيف استقبل صالح جودت حكم الرئيس أنور السادات بعد توليه سدة الحكم في أكتوبر ١٩٧٠؟

تمنى عليه أن يسترد حرية مصر وعزتها، فماذا قال للسادات في يناير ١٩٧٢ قبل معركة العبور:

يا ابن القرى السمراء معطارة
بالطيبة المصرية الند
إيمانها بالله تاريخه
في ظلها متصل العقد
قم يا أبا السادات لب الندا
فقد تنادت ساعة الجد
أمامنا معركة ما لها
إلا اتحاد العزم والجهد
وأنت فيها القائد المرتجي

وكلنا فـــيـــمهـــا من الجند

ابنوا لمصر الغـد مـستـقـبـلاً

أعلـي مـن الأهـرام والـســـد

ردوا لمصـر الغـد أمـجـادها

مـــا لذة العـيش بلا مـجـد؟

خـوضـوا الكفـاح المر من أجلهـا

تلقـوه أحلي من حـلا الشـهـد

إن عـشـتـمو عشـتم كـرامـاً، وإن

مـتم كـسـبـتم جنة الخلد

هذا ما قاله صالح جودت لحاكم مصر الجديد يستحثه على الكفاح والنضال من أجل تحرير أرض مصر المحتلة تحت الاحتلال الإسرائيلي.

وكانت نظرة صالح جودت عاشق مصر وقيثارتها الخالدة ثاقبة في زعيم مصر الجديد الذي حقق أمنية حياته قبل أن يموت ويرى معركة النصر المجيدة في السادس من أكتوبر ١٩٧٣، فكانت فرحته غامرة بمعركة العبور المجيدة وبعودة قناة السويس إلى أمها مصر، فقال:

عـاد لنا وابتـسمت شـفـتـاه

أبوالحكايات الكبـار العـتـاه

عـاد القنال الحـر صـفـواً لنا

الله مـــا أجـــمل عـــود الميـــاه

عـــاد لنا الشط فـــأهلاً بـه

وانهــــــدم الخط علي من بناه

وانتفضت مصــر، فمرحي لها

وانعــقد النصـــر، فوافرحتاه

وأذن الفـجـر، فـقـومـوا إلي

صـحـرائنا مـد بسـاط الصلاة

وادعــوا لمن علمنا شـوقـه

للعلم والإيمان حب الحـيـاه

فليشهد الله علي جيلنا

إنا مسحنا اليوم عار الجباه

هذا هو كل ما قدمه صالح جودت لقائد حرب أكتوبر الذي أعاد أرض سيناء إلي حضن أمها مصر وفتح قناة السويس، فهل كان يستحق كل هذه العداوات وكل هذا التجاهل؟

الحقيقة إن صالح جودت كان صادقاً حينما أحب جمال عبدالناصر وأشاد بمنجزاته وبكاه من قلبه صادقاً حين رحل عن الحياة وكان صادقاً في مؤازرته للزعيم أنور السادات حين حرر الأرض وأعاد الكرامة لكل مصري.

الفصل السابع :

شاعرية صالح جودت

الشعر، إن فات يدى انتهى
حظى من الدنيا، فمالى يدان
والله، مالى غير إيقاعه
وسيلة ترجى بها الحسنيان
وهبته لله أرجو به
كرامة العفو، وظل الأمان
نظمته من وسوسات الحلى
وصغته من عثرات اللسان
فهو الذى كم رد عنى الردى
ومدلى فى العيش هذا الليان
وفى سبيل الوطن المفتدى
وحسبة لله يوم الطعان

صالح جودت

ظهر صالح جودت منذ بداياته الأولى كشاعر رومانسي غنائي استطاع أن يقدم لنا ألواناً من شعره الرومانسي romanticism كأحد أبرز شعراء الوجدان الذين جمعوا بين الشعر العاطفي والشعر الوطني حيث جعل من شعره الوطني قصيدة حب عاطفية طويلة لمصر التي أحبها وعشقها والتي أصبحت محور حياته وسر تكوينه الوجداني وقد كان موقف صالح من الذات والطبيعة والمجتمع والكون واضحاً منذ بداياته الأولي حيث سيطرت النزعة الوجدانية على شعره حتى أصبح مفهوم الشعر عنده متحداً مع عواطفه وخياله، فغلبت النزعة الوجدانية على شعره الرومانسي العاطفي والوطني والذي اتسم بالغنائية Lyrical Poetry وحين جنح صالح جودت الشاعر الرومانسي إلى التعبير عن موقفه من الذات والمرأة والطبيعة والوطن كانت له لغته الخاصة التي شكلت عالمه الشعري.

وقد استطاع صالح جودت على مدى رحلته الشعرية أن يشكل معجمه الشعري الخاص به كشاعر رومانسي وجداني غنائي والتي هي بالطبع جزء أساسي من التشكيل الجمالي الكامل لشعره وكانت موسيقاه في شعره هي الصوت الرومانسي الهامس الذي يعلن عن أعماق هذا الشاعر الرومانسي الغنائي العاشق للحياة والمرأة والوطن وكل قيم الحق والجمال والخير.

والشاعر صالح جودت حين يتحدث عنه، لابد أن تقفز إلى الذهن موسيقاه، ومن هنا نتذكر على الفور قول كولردج «..لن يستطيع الرجل الذي تخلو روحه من الموسيقى أن يصبح شاعراً أصيلاً، فالصورة قد يستطيع أي فرد موهوب، وعلى قدر من الاطلاع أن يكتبها بالجهد المتصل كما يكتسب المرء حرفة من الحرف، أما الإحساس بالمتعة الموسيقية - بالإضافة إلى القدرة على توليد الإحساس لدى الغير - فإنما هي موهبة الخيال وحده، ومن الممكن تنمية هذا الإحساس وتثقيفه، ولكن يستحيل تعلمه»، فالموسيقى عند شاعرنا هي قدس أقداسه، ومن الضروري أن نؤكد على أن موسيقاه ليست منفصلة عن إيقاع عصره، فأكثر شعره من البحور القصيرة أو من المجزوءات، أو بشكل الموشحات، على أن هذه الموسيقى تأخذ طابع الجدة، لأنه أساساً متصالح مع العالم، وما لا يوافق عليه يكتفي بعدم الابتسام في وجهه، ثم إنه كثيراً ما يستسلم للجمل المحلية، وكثيراً ما يأتي عنده هذا النوع المسمى عند البلاغيين: التكرار للتوكيد، ونحن لا ننسى أن اللغة التي يكتب بها لغة مترعة بالموسيقى وبالغناء ويرصد الناقد د. عبده بدوي «١٩٢٧ - ٢٠٠٥» اعتناء صالح جودت بالموسيقا من خلال معجمه الشعري المتفرد الخاص به الذي

تغلب عليه الروح المصرية الغنائية، وقد ظهر ذلك في نوعية الحروف والكلمات في قصائده.

«فنسبة المهموس عنده في الحروف أكثر من المجهور، وهو كثير التعامل مع حروف اللين، ومع حركة الكسرة، وإذا كان القدامي يربطون بين الوزن والإحساس النفسي، فهو مع المحدثين الذين يرون أن الشاعر هو الذى يعطي البحر خصوصيته الفرحة أو الحزينة أو الراقصة أو المتأنية، ثم إنه إلى جانب اهتمامه بالموسيقى الداخلية يهتم اهتماماً خاصاً بالقافية إلى حد أنه يتحدى بالكتابة من قافية صعبة لم ترد في بحر البسيط من قبل، كقوله في القصيدة المهرجانية «الإسكندرية شاطيء الحب»:

إسكندرية، فيك الرى والظمأ   بأى قصة حب فيك أبتدئ

فهو يتعامل هنا مع ما سماه ابن المعتز «القافية القوية باعتبارها إحدى محاسن الكلام»، والذى يلاحظ أن قوافيه لا تقبلها الأذن فقط، وإنما تقبلها العين كذلك، صحيح أنها قد تكون ضرباً من الصاجات في مواضع العين، ولكنه ضرب هامس، خاصة إذا عرفنا أنه يكثر من القوافي الهامسة، والشفوية، وهو يرتكز بصفة خاصة على ما يسمى «القوافي الذلل»، ويكثر بصفة خاصة من قافيتى الراء واللام، وكثيراً ما يضيف إليهما الهاء بحيث تظهر هذه القافية وكأنها تنهيدة

العاشق، ثم إنه قد يضاعف الإحساس بها حين يكرر كلمات، أو شطوراً بعينها، على نحو ما كرر شطر «ليتني أنسى ولكن كيف أنسى» وشطر «فاسمك أحلى الأسامي»، وشطر «أتراهم يا حبيبي أنصفوا أم ظلموني» و«أغني في جزيرة معك» و«يوم ودعتك ودعت شبابي» و«فتمتع بليالي الهرم»، وعلى كل فالقافية عنده هي التي تملي على البيت مساره، بله القصيدة كلها، ومهما يكن من شيء فكثير من شعره يمكن رده إلى رقصات بعينها، أو قطع موسيقية شرقية، فالقافية عنده جزء أثير من عالمه الشعري، وهو يطوعها بشكل يثير الإعجاب، بحيث لا تمثل عنده صعوبة، أو تفقد عالمه الشعري التنوع والسهولة والتناغم، خاصة إذا عرفنا أنه يغترف هذه «اللازمة الموسيقية» لا من القاموس، ولكن من قلبه، ثم من حركة الحياة وسلاستها، ومن التنوين باعتباره تطريباً لغوياً، وفي مقدمتها ما يعرف باسم «تنوين الترنم» الذي يقدم وقفات هامة، وترجيعات بين الفواصل، ولضرورة القافية جعل بعض النقاد يستبعدون البيت المفرد من الشعر، ثم لا ننسى أنه كان «مؤلف أغان» مشهور، وأنه كان من الشعراء الذين يتحكمون في زمن القصيدة، ولم يكن كالشاعر القديم الذي تقوده حركة الزمن متى أتى بالافتتاحية المصرعة، فيرى العالم الموسيقي

مفروضاً عليه، ولهذا رأيناه يكثر من الحديث عن المشية الموقعة لحبيباته، ويكتب قصائد بعنوان «سامبا» و«سيراناده»، وكما يتحدث عن «بيتهوفن» يتحدث عن فيروز وأم كلثوم، ويتقدم أحمد رامي عالم صداقاته، وحين كان يقع في مأزق كان يغني:

أنبأوني أنها تسأل عني
ليت شعري.. ما الذي ترجوه مني؟
حين قالوا: إنها تسأل عني
عادني هاتف إلهامي وفني
يا شقائي.. إنني عدت أغني

ولعل من الواضح أن نذكر هذه الطواعية الثمينة في قاموسه اللغوي، بحيث يصبح لكل إحساس كلمة موحية تدل عليه، ومن الملاحظ أنه يقدم صوره الملونة جزءاً جزءاً من العالم المحسوس حوله، وأنه لا يخاطب قارئه بالبيت، وإنما يستدرجه - وبخاصة في القصائد المهرجانية - إلى أن يصيح صيحة محسوبة بعد عدد من الأبيات، وهو يفعل هذا حتى في رثائياته التي دارت حول عدد كبير من أبناء المهنة، فكما كان يهتم بالمطالع، كان يهتم بالوقفة المثيرة بعد عدد من الأبيات لينطلق التصفيق، أو الدموع.. فإذا كان الأساس في

---

(١) د. عبده بدوي/ في الشعر العربي الحديث.

الشعر عنده هو الكلمة، فالموسيقى عنده أساسها النغمة، وما كان يركز عليه هو الغناء سواء أكان يدور حول معنى أو لا يدور، فهو يختار الكلمة بين حشد الكلمات، ويمررها على عالم العروض والقافية والنمطية، والتكرار، والتنظيم الدقيق للمقاطع، ومعنى هذا أنه يتعامل مع أفكار عادية، بلغة حديث عادية، متفرقة على الشهيق والزفير، وضربة القلب، وإيقاع القدم عند السير، وبهذا النوع من التطويع يصبح للكلمة شكل المعنى، بحيث تتقابل – ترنيماً ونغماً – مع العالم الذى تنبع منه، فالكلمة كما يقال: فخ يمسك بالحقائق الهاربة، وقد أمسك الشاعر بعدد من الحقائق فى عصره يجئ فى مقدمتها حب الحرية، والخوف على نفسه من قوى أكبر منه، غير ناس أبداً أنه هدد فى رزقه، ودخل دائرة «التطهير»، وقد كان هذا وراء المرارة المجاورة للعذوبة، ووراء الفشل الملاحق للجسارة، وبخاصة فى عالم الحب!

يبقى القول أنه أكثر من الشعر فى إحدى ملهماته، ولكن الحقيقة تؤكد أنه لم تكن وراء غزله امرأة بعينها، لأن الذى كان وراءه هو الإعجاب بالجمال فى كل مكان، وكل زمان، فقد كان طائراً لا يستقر على شجرة واحدة، كما أنه كان يجد متعته – وشعره – فى التنقل من شجرة إلى شجرة، ومن

موحى إلى موحى!

أما الشاعر والناقد الذواقة فاروق شوشة حين يتناول صالح جودت بين غواية الحسن وعروبية النفس يرى أن المتأملين في شعر صالح جودت يرون أن الموسيقي لديه هي قدس أقداسه وإن حرصه على الجرس الهامس والكلمة الموحية واهتمامه بالقافية والموسيقى الداخلية جعل لشعره فتنته وغوايته، عند المتابعين له منذ بواكيره الأولى، شاعراً شاباً في كوكبة شعراء «أبوللو»، ثم نجما بين أعلامها الكبار: على محمود طه وإبراهيم ناجي، ومحمد عبدالمعطى الهمشرى، ومحمود حسن إسماعيل، وحسن كامل الصيرفى وأقرانهم من شعراء الوطن العربي الذين هيأوا للرومانسية في الشعر أجواءها ونماذجها الأولى وفي مقدمتهم: أبوالقاسم الشابي وعمر أبوريشة والأخطل الصغير وأمين نخلة وإلياس أبوشبكة وإبراهيم طوقان وغيرهم ويستعرض الشاعر فاروق شوشة رحلة صالح جودت الشعرية ويسلط الضوء على أبرز ملامحها وأبعادها الفنية والجمالية ومكانته بين شعراء الوجدان في شعرنا العربي المعاصر، فيقول: (١)

«على مدار خمسين عاماً من الإبداع الشعرى، أنجز صالح جودت ستة دواوين شعرية أولها ديوان صالح جودت عام ١٩٣٤ فديوان ليالى الهرم عام ١٩٥٧ فديوان أغنيات

على النيل عام ١٩٦٢ فديوان حكاية قلب عام ١٩٦٥ فديوان ألحان مصرية عام ١٩٦٨ فديوانه الأخير الله والنيل والحب عام ١٩٧٥. وأتيح لشعره - الذي افتقد قارئه معظم دواوينه - طبعة جديدة وكاملة حققها وقدم لها الأديب الباحث محمد رضوان، أسماها: صالح جودت: شاعر الحب والحرية، حياته وشعره وقصائده المجهولة، صدرت سنة ٢٠١٢ عن مكتبة جزيرة الورد في القاهرة.

ويبدو أن التفات صالح جودت، منذ مطالع شبابه إلى أهمية الغناء ودوره في نشر الشعر والتعريف به وتحقيق شهرة غير عادية من خلاله - تأثراً بصديقه الشاعر الغنائي الكبير أحمد رامي الذي استهلكت أغنياته المؤلفة لأم كلثوم المساحة الأكبر من طاقته الشعرية - يبدو أن التفاته هذا، بنسبة أقل بكثير من رامي - قد حقق له من ناحية تقدماً في الشهرة وذيوع الصيت بين أقرانه من شعراء أبوللو، وإن كان يجيء في مرتبة بعد علي محمود طه الذي يجعل ذيوع قصائده المغناة الشاعر الأول في الحضور والأهمية عندما تذكر الحركة الرومانسية في الشعر وجماعة أبوللو بصفة خاصة. كما انعكس التفات صالح جودت إلى إبداع الأغنية على إبداعه لقصائده وكتاباته بصفة عامة، فأكسبها رقة

---

(١) مجلة العربي الكويتية/ عدد أبريل ٢٠١٣.

وموسيقية وحرصاً على الإيقاع واهتماماً بلغة خالية من مجاهدات الصنعة أو مكابدات العنت والخشونة، فهي لغة سلسة متدفقة مناسبة، تتشبه في سلاستها وعذوبتها انسياب النيل الذي هام به الشاعر، وأطلقه عنواناً على اثنين عن دواوينه، وعلى كثير من قصائده ومقطوعاته المغناة.

ولد صالح جودت وعاش بين عامي «١٩٠٨ - ١٩٧٦» وخلال حياته الممتدة، وعمله في الصحافة، خاض كثيراً من المعارك الأدبية والسياسية، اتسم معظمها بالحدة والعنف، وبخاصة ما كان منها ضد المجددين في الشعر العربي، الذين أبدعوا النماذج الأولى في شعر التفعيلة أو الشعر الحر ثم في قصيدة النثر، وما أطلق عليه شعر الحداثة، فقد حمل عليهم بشدة، وكانت ردودهم عليه أعنف وأشد، وأدى هذا كله إلى تعمد إهمال الأجيال الجديدة لشعره، وإبعاده عن مكانه ومكانته اللتين يستحقهما في حركة الشعر المصري العربي الحديث، وبخاصة أنه في طليعة الشعراء المصريين الذين ربطتهم علاقات وثيقة وحميمة مع شعراء الوطن العربي في سورية ولبنان والعراق وغيرها من الأقطار العربية، وكانت له مشاركاته الدائمة - ممثلاً لشعراء مصر - في كثير من مهرجانات الشعر في بغداد ودمشق وبيروت.

وقد تهيأ لصالح جودت بسبب إتقانه للغة الفرنسية - ومن بعدها اللغة الإنجليزية - الاطلاع والمتابعة لكثير من دواوين شعراء الرومانسية الغربية، وبخاصة شيلي وكيتس ووردزورث وألفرد دي فيني وألفرد دي موسيه وفيكتور هيجو ولامارتين، وامتلأت دواوينه الأخيرة بترجمات شعرية لقصائد مكتوبة بالفرنسية والإنجليزية، برع في ترجمتها حتى لتبدو وكأنها مكتوبة في الأصل بالعربية.

ويبدو أن بروز الطابع الحسي في شعره، هو الذي جعل ناقداً كبيراً هو الدكتور محمد مندور يقول عنه - في كتابه عن الشعر المصري بعد شوقي - إن صالح جودت شاعر غنائي حسي لعوب، ويسلكه في عداد الشعراء العابثين منذ امرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة وصولاً إلى علي محمود طه - الذي وصف بالأبيقورية وقيل إن صالح جودت هو الأقرب إليه من حيث المزاج النفسي والشعري، والولع بالعبث وشيطنة أهل الحضر من المصريين وإن شعره يشف عن روح الصالونات المصرية وما يجري فيها من دعابات غزلية عابثة. لكن الدكتور مندور سرعان ما يقول - في حديثه عن صالح جودت وتقييمه لشعره -: «ومع ذلك، فإن هذا الشاعر الغنائي الطروب، لا يلبث أن ينقلب إلى شاعر إنساني عميق مشبع عندما تضيق عليه الخناق تجارب الحياة فيصحو وجدانه إلى

ما فيه من آلام وما في تلك الآلام من عمق، على نحو ما نحس من قصيدة فريدة له هي «نحو الآخرة» التي نظمها على أثر مرض عضال ألقى به في مصحة العباسية حيث أحس باليأس والعناء عندما أوشك الداء أن يقهره، ومن حوله مرضى من أمثاله يزيدون شعوره ببلواه حدة». ويرى مندور ضرورة أن تقارن هذه القصيدة بقصيدة مماثلة للشاعر خليل مطران نظمها في ظروف مماثلة وهو عليل في مكس الإسكندرية، وهي قصيدة «المساء» التي يقول في مستهلها:

داء ألم فخلت فيه شفائي

من صبوتي، فتضاعفت برحائي

وهكذا تجمعت عناصر ومقومات في شعر صالح جودت، جذبت إليه قدراً كبيراً من المتابعة والاهتمام: جرأة وخروج على المألوف في التناول، من غير اهتمام بالتقاليد والمواضعات، وطابع حسي عابث يغري المحرومين من الشباب بأن يجدوا فيه عوضاً عن الشظف والحرمان في دوائر العلاقة مع المرأة، وإيقاع موسيقي لافت يصافح الأذن ويضربها عند قراءة قصائده أو الاستماع إليها، وولع بالألفاظ الموحية واللغة السهلة الميسورة، المصقولة صقلاً فنياً بارعاً، يذكرنا بجماليات المدرسة الشامية في الشعر وبخاصة عند أمين نخلة وعمر أبوريشة ومن بعدهما على محمود طه ونزار قباني،

وعناصر درامية تتخلل مقاطع القصيدة وثناياها، اكتسبها صالح جودت من كتاباته الغنائية والروائية والتمثيلية في العديد من الأعمال الفنية، الأمر الذي جعل قصيدته تحتشد بأصوات أخرى غير صوت الشاعر نفسه، وتستجيب لحوارات ومداخلات تتطلبها الطبيعة الدرامية للنص الشعري.

في قصيدة من شعره الباكر عنوانها «الماضي» يقول صالح جودت:

لا تذكري الماضي، فما أنا ذاكر

وأحب أحلامي إلى الحاضر

ويهدي صالح جودت قصيدته «المشية الموقعة» إلى تلك السارية في الليل والناس نيام، تؤنس الشاعر بمشيتها المنغمة، وكأن ما ينبعث في مشيتها من أنغام يجد معادله في شعره الموقع، وهي قصيدة تكشف عن ولعه الحسي بالمرأة وافتنانه في رسم صورتها الجسمية:

لحنت أشعاري على مشيتك الموقعه

إن سرت في الدرب سمعت في الفؤاد قرقعه

تحكم في ساحته وتستبيح أضلعه

كأنما قيثارة في قدميك مودعه

تسمعني في الخطوتين نغمات أربعه

وفي قصيدة عنوانها «بردي» تتفجر شاعرية صالح جودت بكل ما يحمله وجدانه من انتماء عروبي أصيل، وما تتفجر به أعماقه من عشق لدمشق وما تضمه من مواقع ألهمت خيال الشعراء، وجعلت من قصائدهم عقود محبة للغوطتين والهامة ودمر وبردى وغيرها. وتنساب القصيدة في إيقاعها الجياش المتدفق نموذجاً بديعاً لشعر صالح جودت في نفسه القومي، وحرارة توهجه وهو يشارك في مهرجان الشعر الثالث الذي أقيم في دمشق عام ١٩٦١ ضمن كوكبة من الشعراء المصريين، يقول:

أتوب، وأدعــو، وأســتــغــفــر
وأخلص لله مـــا أضــمــر
وأســتــعــجل الله يوم المآب
ويوم خــلائقــه تنشــر
إذا قــيل مــوعــده «الغــوطتــان»
ومــوقــع جنتــه «دمــر»
فــإن لم يكن «بردى» كــوثري
فــيا ضــيعــة العــمر يا كــوثر

★★★

سليني، فــعندي تواريخ مــصــر

وفيها لك الأثر الخير
لكم لج في تربها فاتح
وأوغل طاغ ومستعمر
تخطر «قمبيز» في أرضها
وأعقبه الفحل «إسكندر»
ونامت على عرشها «كليوباترا»
وهوم في بحرها «قيصر»
وهموا بصبغة أخلاقها
بلون الغزاة، فلم يقدروا!
إلى أن أتى الفارس العربي
فأدركها صبحها المسفر
وألقى «المقوقس» مفتاحها
إليه، ودان له العسكر
وما كان فتحا ولكنه
كما يشرق الأمل المزهر
شعاراته الباقيات: التحرر
والسلم، والعمل المثمر
وآياته البينات: السماحة
والعدل، لا اللون والعنصر

وجمال العربية فى هذه القصيدة العامرة يتجلى فى نفسها العروبي الزاخر، وزهو الشاعر بوتر الشعر الذى يجسد خيط الانتماء القوي لكل ما هو عربي وأصيل، وفي إيقاعها الذي تتدفق به تفاعيل بحر الكامل في يسر وطواعية، دون مشقة أو إعنات، وقواف محكمة خلقت لتوضع في مواضعها من الكلام، وخيال شعري محلق، تنهض به لغة قشيبة مصقولة، فيها جدة الشباب، ورونق الحياة، وبهاء الخلود.

أما الشاعر والباحث محمد عبدالغنى حسن «١٩٠٧ - ١٩٨٥» فيعد صالح جودت «شاعر القوافى الرقيقة المواتية» لأنه يمتاز بأسلوب شعرى مميز يجعله فريداً فى طرازه بين شعراء العصر الحديث، كما أنه يمتاز بقافية رقيقة مواتية طيعة يختارها مما لا يخطر على البال من القوافى المألوفة الدارجة ولعله بذلك يوافق بين رقة الصياغة الشعرية فى القصيدة نفسها، وبين رقة القافية فيها، حتى يكون هناك توازن تام بينهما.

ولقد أتيح للشاعر الكبير صالح جودت أن يكون شاعر المنبر فى المناسبات القومية الكبرى، وفي الأحداث الجارية في الشرق العربي كله، كما أتيح له أن يقف على منابر الشعر فى القاهرة ودمشق وغزة وبيروت وبغداد وتونس والخرطوم والإسكندرية وغيرها، وأن يصغى الجمهور المتعطش إلى

حلاوة انشاده، ورقة القائه، فكان طبيعياً من صالح جودت - وهو الشاعر اللماح الذكي - أن يختار قوافيه من معدن يشد انتباه سامعيه، ويجذبهم إليه جذباً.

ولم يكن يعتمد صالح جودت على القافية الرنانة الضخمة قدر اعتماده على القافية الرقيقة الأنيقة الموحية، ومن هنا كنا جميعاً نتحرق شوقاً إلى استماع قوافيه والاستمتاع بحلاوتها.

ولاتزال ترن في أذني أصداء تلك القافية الهمزية التي صنع منها شاعرنا الرقيق نسيج قصيدته في مهرجان الشعر بالإسكندرية الذي أقيم بالثغر في شهر أكتوبر سنة ١٩٦٢ فقد كانت القصيدة من البحر البسيط، وقافيتها على حرف الهمزة. فلما بدأ أول بيت فيها بقوله:

اسكندرية فيك الري والظمأ

بأي قصة حب فيك أبتدئ؟

أشفقنا على شاعرنا الحبيب ألا تواتيه القوافي حتى يستوفي المعاني التي يريد أن يرسلها في قصيدته. وخفنا ألا تسعفه الروي بما يريد أن يقول وخشينا أن ينقطع به نفس القول إلى ما لا يجاوز بضعة عشر بيتا من هذه القافية التي لم يطأها من ذلك البحر شاعر من قبل.. ويؤكد الثقات من إخواننا ممن شهدوا معنا ذلك المهرجان أن عباس محمود

العقاد خشى ألا يطول بشاعرنا النفس فى هذا المركب الذى كاد يكون وعراً.

وما كان أشد دهشتنا ودهشة السامعين جميعاً حين رأينا الشاعر صالح جودت يمضى في القافية الهمزية عن البحر البسيط إلى غاية لم يكن أحد منا يتصورها، وحين بلغت أبيات تلك القصيدة تسعة وأربعين بيتاً، لم يلهث خلالها الشاعر أو يدركه الاعياء، ولكنه كان سمحاً فى العطاء الشعرى، كما كان أروع صالح جودت وهو يقول في قصيدته الهمزية تلك عن الإسكندرية:

اسكندرية يا مسيناه ثورتنا

على الطغاة، ويا ميعاد من فجئوا

فجر العروبة من ماضيك منبثق

وللغد المرتجي ركناك متكأ

يا من هششت «لعمرو» يوم مقدمه

ولنت لله لما جاءك النبأ

مددت كفك للعربان فانتصروا

وسقت حتفك للرومان فانهزأوا

قبل الحضارة كانت فيك مكتبة

ينساب إشعاعها والكون مبتدئ

هم أحرقوها وقالوا عمرو أحرقها

ياطول ما كذب التاريخ واجترأوا
والله لولا حروف العرب ما كتبوا
سطراً، ولولا عقول العرب ما قرأوا

وكثيراً ما كان يوائم صالح جودت بين رقة القافية وعذوبتها من ناحية، وبين رقة الوزن المختار ولطفه من ناحية أخرى. ففي قصيدة «نهاية قصة» يجمع شاعرنا بين الباء والهاء والألف في قافية وبين مجزوء البحر الكامل حيث يقول:

يا قلب: لا تحفل بها
واكتب نهاية حبها
لا لا تصدقها وإن
حلفت بعزة ربها
أن التي أحببتها
يا قلب عبدة كذبها
وهل التي لا تحتوي
قلباً تحب بقلبها؟

وهنا لا يكتفي شاعرنا بالأسماء والمصادر والأوصاف التي تجري مع هذا الوزن وتلك القافية من أمثال: قربها، جبها، ثوبها، دربها، ركبها، صعبها، شعبها، ذنبها.. بل يتجاوز ذلك إلى الأوصاف مثل: مشبها، متنبها. وإلى الأفعال مضارعة كانت أم أفعال أمر، مثل: قلبها، ولم يسكر بها.

ولا يكتفي صالح بالمواءمة بين القافية والوزن، بل يلجأ في اختيار شعره إلى المواءمة بين موضوع القصيدة وبحرها. ففي قصيدته «مينيون» - أي المرأة الحلوة القليلة الضئيلة الجسد - يلجأ إلى وزن قصير يلائم ضآلة المرأة التي يشبب بها كما يلجأ في الوقت نفسه إلى قافية رقيقة مطاوعة تلائم الموضوع كله، فيقول:

يحسـبني.. أحسـبه
ويزدهيني حسبه
وفسرته تعجبني
وقلتي تعجبه

وقد أمدت هذه القافية الحلوة الثرية شاعرنا بفيض من المعاني والألفاظ والأعلام التاريخية مثل «جوهر الصقلي - الهرم الأكبر - تدمر - بلقيس - إسكندر - قيصر - منف كما أنها بسطت أمامه مجال القول في معان قومية وعربية رائعة.

ولقد بلغ من رقة الشاعر صالح جودت في قوافيه أنه حين يختار الروي غير المألوف - كالواو مثلاً - فإنه يحيله إلى قافية مطاوعة رقيقة، كقوله في قصيدة «حب من السماء»:

سلواي: يا أحلى من الحلوى
يا لذة اللذات يا سلوى

أهواك في صبر وفي عفة

أهواك في طهر وفي تقوى

اصنع من وحيك قيثارتي

واملأ الدنيا بها شدوا

حتى قافية «الضاد» على ما فيها من بعض الثقل قد أحالها الشاعر صالح جودت إلى لحن رقيق أنيق في قصيدة «نصيحة» التي يقول فيها:

يا من أسوق إليه

شفاعتي تترضى

قلبي بكفيك رهن

فهب حنانك قرضا

كفاك تيها وكبرا

وابسط جناحك خفضا

وجد بوصلك يوما

واكتم لوعدك نقضا

عدني به عند موتي

فأقطع العمر ركضا

وإذا كان قدامى النقاد المتذوقين للشعر قد قالوا أن هناك بعض ألفاظ غير شعرية لا يليق بالشاعر المجيد أن يستعملها، مثل لفظة «أيضاً» فإن شاعرنا صالح جودت قد أنزل هذه

اللفظة أجمل منزل وأكرم موضع فى قوله:

خليت فى الحب عقلى

فخل عقلك «أيضاً»

و«أيضاً» هنا رقيقة سائغة فى شعر صالح جودت رقتها فى شعر الشاعر القديم الذى يقول:

رب ورقاء هتوف بالضحى

ذات سجع صدحت فى فنن

ذكرت إلفا وعيشا سالفا

فبكت حزنا وهاجت حزنى

فبكائى ربما أرقها

وبكاها ربما أرقنى

غير أنى بالجوى أعرفها

وهى «أيضاً» بالجوى تعرفنى

وفى هذا دلالة على أن الشاعر الساحر الصناع يسكب من روحه الشاعرة، ونفسه الطاهرة على الألفاظ غير الشعرية عطراً يجعلها ألفاظاً تأتزر بالشعر وترتدى.

كان صالح جودت من هذا الطراز الفاتن الساحر من الشعراء الملهمين الذين يخلعون على القوافى والألفاظ ما يبث فيها الفتنة والرقة والجمال.

أما الناقد د. عبدالعزيز الدسوقى «١٩٢٧ –» فيرى أن

التجديد في شعر صالح جودت كان إحساساً جمالياً واتجاهاً وجدانياً فنياً في الشعر العربي المعاصر (١).

لم يكن التجديد في شعر صالح جودت، وزملائه من أبناء التيار الوجداني في شعرنا الحديث نزوة عابرة، أو تقليداً لموجات التجديد السائدة في الغرب، بل كان إحساساً جمالياً حاداً، اقتضته ظروفهم النفسية والوجدانية وطبيعة حياتهم، وتصورهم لمشكلات الكون والوجود، ورؤيتهم الاجتماعية الخاصة، ونزوعهم نحو التغلب على تخطي الهوة العميقة بين الحلم وبين الواقع المعتم الكئيب الذي يعيشون في ظلاله، ولهذا جاء تجديدهم ذا طبيعة فنية متفردة، وانطلقت تجربتهم الشعرية منذ الثلاثينات، تحمل ذلك الشجى الوجداني النافذ والنزعة التأملية العميقة.

ومن أجل هذا لم يقتصر تجديدهم على الناحية الشكلية أو الناحية الفكرية، بل انصهرت طبيعة تكوينهم الروحي والثقافي وظروف حياتهم ومشكلاتهم في بوتقة واحدة. وطبعت تجربتهم الشعرية بطابع جديد. فالتجربة في قاموسها الشعري، جديدة في الزاوية التي تصوروها. جديدة في فكرتها. جديدة في طبيعتها الجمالية. ولعل صالح جودت كان من أقدر أبناء

---

(١) مجلة الثقافة / عدد أغسطس ١٩٧٦.

أبوللو على التعبير عن تلك التجربة الوجدانية وكان تعبيره الحاد عن علاقة الرجل بالمرأة، وعلاقة الإنسان بالإله وفكرة الموت، يأخذ عنده أشكالاً كثيرة، وصلت إلى ذروتها في مطولته الفلسفية «الراهب المتمرد».

وقد عاش صالح جودت في حالة نفسية عاصفة بعد هذه المطولة جعلته يهجر الشعر ويكتب مقطوعة بعنوان «القصيدة الأخيرة» يقول فيها:

لا رعاك الله يا شعرى على الدهر ولا حياك حى
قد تمردت على الله فتحلت نقمة الله على
يا إلهى قد نفضت الشعر عن قلبى وأخليت يدى
وكسرت اليوم أقلامي وأغلقت بقلبى شفتى

ولكن هل حقا كانت هي القصيدة الأخيرة التي كتبها صالح جودت بعد ذلك؟

والجواب معروف، فقد استمر يكتب الشعر طوال حياته، بل غدا الشعر حياته ووجوده حتى صار من أكبر شعراء الوجدان في شعرنا العربي الحديث. ولكن لماذا قال هذا الكلام في فجر شبابه؟ لماذا كان يحس كل تلك الأحاسيس ويشعر بتلك المشاعر؟!... تلك كانت محنة هؤلاء الشبان من جيل أبوللو. والتي فجرت شاعريتهم، وجعلت لإبداعهم الفني

مذاقاً جديداً وطعماً خاصاً، وإذا كان شعراء أبوللو قد نفضوا عن أنفسهم تلك المحنة بطرق مختلفة، فقد نفضها صالح جودت عن نفسه بمعاناتها وتصويرها شعراً جميلاً أخاذاً يهز الوجدان ويحرك العقل، وكان في سن متأججة ملتهبة فلم يكن قد تجاوز العشرين إلا بعامين أو ثلاثة، وفي تلك السن المبكرة استأثرت بشعره ثلاثة محاور رئيسية تدور حول الله. ومصر والحب. أبدع في كل محور من هذه المحاور أعذب الأنغام. وأحياناً كانت تمتزج كل هذه المحاور في العمل الفني الواحد، على نحو من الأنحاء.

وبجانب التجديد في الموسيقى الشعرية عند صالح جودت يرى د. الدسوقي أنه بجانب ذلك فإن أهم جوانب التجديد في شعر صالح جودت: تجديد في الموضوعات وتجديد في التناول وتجديد في قاموس الشعر وتجديد في طبيعة التجربة وتعبيرها عن طبيعة المرحلة الحضارية التي عاشها الشاعر، وإذا كانت معالم التجديد قد تجلت من حيث الموضوعات في محاور ثلاثة هي الله والحب ومصر فانها تجلت بشكل واضح في البناء الفني للقصيدة من حيث الوحدة الموضوعية والوحدة الفنية والوحدة العضوية، والنفس الدرامي الذي يملأ كل

تجاربه، وتجلت طرائق التجديد بشكل أوضح فى البراعة فى استخدام أدوات التعبير الفنية كالقدرة على استغلال التلوين الصوتي والتجسيد. والتشخيص الحركي، والمهارة في استخدام الأوزان القصيرة ومجزوءات البحور، والتفنن في التقفية التي فاق فيها صالح جودت الكثيرين من شعراء أبوللو.

على أن صالح جودت قد حاول في مطلع شبابه أن يتمرد على عروض الخليل بن أحمد، ويتحرر من نظام تفعيلاته الصارم، فحاول عدة محاولات بعضها كان بمثابة تشكيل موسيقي جديد، لم يلتزم فيه النظام الخليلي المعروف، ولكنه التزم نمطا موسيقيا شبيها به، وان كان قد حاول في البعض الآخر أن يخرج خروجاً تاماً على نظام الشطرين المعروف. وله عدة قصائد في دواوينه وفي مجلدات أبوللو تنحو هذا النحو ومن أهم هذه القصائد مشهد درامي بعنوان «يومان» وهو حوار بين رجل وامرأة يرمز لهما بـ«هي وهو» كما أنه حاول أن يجدد في موسيقي القصيدة الغنائية، وقد استطاع أن ينوع في موسيقا شعره مما أثرى موسيقا الشعر العربي المعاصر.

ولعل أهم الظواهر الصياغية في شعر صالح جودت:

روعة موسيقاه: حيث يعتبر أن أساس الشعر عنده هو الموسيقى وقد ظهر ذلك فى التالي:

- غرامه بالأوزان القصيرة خاصة في شعره الغزلى.

- اتخاذه «الهاء الساكنة» رويا للكثير من قصائده مثل قصيدته «عصير التفاحة».

- الكلمات الأنيقة الرشيقة مثل: العيون الزرق والشعر الذهب - البخور - العطور.

أما التصوير في شعره ففيه الكثير من الأضواء والظلال كما أنه يقدم لنا في نفس الوقت صوراً شعرية تحلل نفسية العاشق وتستبطن أعماقه مثل قصيدته «مينيون» وقصيدة «الموعد الخائب» التي رسم فيها لوحة نفسية لخواطر عاشق ينتظر محبوبته التي أخلفت موعدها معه وتركته يواجه لواعج الانتظار والقلق والحنين.

- استلهامه للروح المصرية في نظرته للحب وللوطن ومن ذلك استخدامه الطريف لهذا التعبير المصرى الطريف:

إنى استشرت العمر فيك

فقال لى عمرى «كفايه»

لا تسأليني أن أعود

فأين أرضك من سمايه؟

وإذا كانت «المصرية» أهم ما يميز شعره، فإن عشقه لمصر

وتبتله في محرابها قد جعله «قيثارة مصر» التي غنت لمصر في انتصاراتها وانكساراتها، في أفراحها وأحزانها، فعزف على قيثارة أجمل أغنيات الحب والعشق لمصر الخالدة، ألم يقل فيها:

يا بلدي، يا ربوة	الأهرام والمعابد
آمنت من فجر الزمان	بالإله الواحد
يا آية الإيمان	يا عالية المساجد
أفديك يا حبيبتي	من عين كل حاسد
وما أجل المفتدي	وما أقل المفتدي
وخير ما أشدو به	أني أحب بلدي

الفصل الثامن :

صالح جودت شاعراً غنائياً

يازهرة فى خيالى
رعيتها فى فؤادى
جنت عليها الليالى
وأذبلتها الأيادى
وشاغلتها العيون
فمات سحر الجفون

صالح جودت

كان حال الأغنية العربية في مطلع القرن العشرين يفتقر إلى التجديد في الكلمات واللحن، فبالرغم من وجود أصوات جيدة إلا أنها كانت تفتقر – في معظم ما غنت – إلى الكلمة الجيدة.

وقد قيض الله للأغنية المصرية عدد من الشعراء الكبار الذين طوروا كلمات الأغنيات وارتقوا بمعانيها سواء بالشعر الفصيح أو بالزجل منهم أمير الشعراء أحمد شوقي، وأحمد رامي، وأحمد عبد المجيد، وعلي محمود طه وأحمد فتحي، وشعراء العامية محمود بيرم وبديع خيري وأمين عزت الهجين ومأمون الشناوي ولكن كيف كان حال كلمات أغنيات مطلع القرن؟ يذكر لنا مؤرخو تلك الحقبة بعض معالم الجو الفني، ومستوى أغنيات تلك الفترة الذي واكبت ظهور كوكب الشرق أم كلثوم والموسيقار محمد عبدالوهاب، فيذكرون أن الجو الفني وقت ظهور أم كلثوم كان منفلتاً، ملبداً بالغيوم، فالناس – فيما عدا قلة – منصرفون عن الطرب الحقيقي إلى الأغاني الخليعة، وكانوا مجانين بكل ما يثير الغرائز ويلهب المشاعر، فإذا غنت أمينة الصرفية:(١)

جـــاب لي اللمبـة مـيــــة وحبـــــة
واديهـــــا لا مك بـلا مـــســـــخـــرة

---

(١) كمال سعد أم كلثوم وزكريا أحمد / القاهرة ١٩٩٧

كانت ترد عليها أمينة شخلع ذات القوام اللولبي مطالبة إيانا بأن نحافظ على الحبيب ونحميه من لسعة الشمس:

قولوا لعين الشمس ما تحماشي
أحسن غزال البر صابح ماشي

وتتحمس بمبه كشر في مسابقة الأغاني الهابطة للطبيعة والخضرة بقولها

مـــا بين البـرسـيم والخـضـرة
أحـبـك ياللي مــاشي

وتتسلطن بهية المحلاوية، واعدة بائع النعناع بأن «يبوسها» في فمها وعلى خدها لو أوصلها لبلدها

يابتـاع النعناع يامنعنع
يابتـاع النعناع ياواد أنت
وديـنـي بـلـدي واديـلـك
بوسـة من خـدي وأوهب لك
مـالي وأمـوالك وأحـوش لك
حـوض من النعناع يامنعنع

وتدعو الست توحيدة البنات إلى الاضراب عن الزواج

ما تحسبوش يابنات   إن الجواز راحة
أول سبوع يابنات   على الفرش مرتاحة

تاني سبوع يابنات خوخسة وتفساحة
تالث سبوع يابنات حمساتي رداحة
رابع سبوع يابنات في البيت نواحة
خامس سبوع يابنات على القاضي سواحة
سادس سبوع يابنات علي بيت أبوها راحة

في مطالع القرن العشرين وصلت من بيروت للقاهرة بديعة مصابني مع نجيب الريحاني، وبمجرد وصولها بدأت أولى خطواتها الفنية بالتمثيل في المسرحيات عام ١٩٢٥، وافتتحت بعد رحلة شاقة صالة بديعة مصابني التي أطلقوا عليها اسم «الجامعة الفنية» فقد تخرج منها أشهر المغنين أمثال: عبد الغني السيد ومحمد عبدالمطلب وابراهيم حمودة وفريد الأطرش ومحمد فوزي وغيرهم، كما قدمت نجيب الريحاني كمنولوجست في مستهل حياته، وقدمت كذلك المنولوجست حسن فائق وحسين ونعمات المليجي!

وكان الناس قد بدأو يتحدثون عن مطربة ناشئة «غاوية» أوبريت تؤدي هذا اللون ببراعة، وكانت تلك المطربة هي مطربة العواطف «ملك»... وكانوا يتحدثون- عن نادرة أمين (١٩٠٦- ١٩٩٠) وهي مطربة جاءت من سورية للقاهرة عام ١٩٢٦ لتصبح ذات وزن فني بعد عام واحد من حضورها، وأقامت

المطربة نادرة أولى حفلاتها الغنائية على أكبر مسارح القاهرة وهو مسرح رمسيس!

وأصبحت المطربة نادرة صاحبة أول فيلم غنائي سينمائي في تاريخنا وهو فيلم «أنشودة الفؤاد» الذي أخرجه استوديو جـومون بباريس واشتركت في تمثيله أمام چورچ أبيض وعبدالرحمن رشدي في عام ١٩٣١،وقد تغنت بعدة قصائد للعقاد منها «في الهوى قلبي زورق يجري».

وفي عـام ١٩٣٤ أصبحت نادرة من أهم نجـوم الاذاعة، ولكنها سرعان، ما أفسحت الصفوف الأمامية لغيرها.

ولهذا كنت إذا ما ذهبت إلى حي الأزبكية، أو الحي الذي يتمثل فيه ليل القاهرة في هذه الفترة، كان يلفت نظرك على الفور مقاهي الطرب والرقص المتناثرة في كل مكان وخاصة في «الرويعي» و «بير حمص» و «قنطرة الدكة» و «ميدان الخزندار»، وكنت في هذه المقاهي ترى العجب، ترى من يغني المواويل الشـعـبـيـة من وحي «القـعـدة»، وترى من ترقص بالشمعدان وهي تقف وتجلس وتميل والشمعدان لا يتحرك من فوق رأسها، وكلما توقفت عن الرقص اندفع تجار القطن ليلصقوا على جبينها ووجهها الجنيهات، وتظل على هذه الحال إلى أن تجمع من نقوطها المعلوم فتنسحب وسط التهليل، وتترك الساحة لغيرها لتواصل ساعات الحظ!

كانت تلك المقاهي الفنية، التي تم فيها اكتشاف منيرة المهدية تتبارى فيما بينها لاجتذاب الناس الذين أصبحوا بعد الحرب يتهيبون السهر في المسارح، كما كانت شلل أولاد البلد تتجمع في كل ليلة، وتلف حول هذه المقاهي وهي تعبر عن ضيقها بترديد الأغنية الشعبية التي كان يحفظها كل أبناء مصر من كلمات الشيخ يونس القاضي (١٨٨٨-١٩٩٢):

ياست مصر صباح الخير ... يسعد صباحك ياعنيه
فين العدالة يامون شير ... وبس فين الحريه
أما الزمن ده له أحكام ... أحكام ولكن عرفيه
واللي يشوف ثغرة بسام ... يحسب أموره مرضيه
بعد الدهب تلبس أغلال ... وتعيش أسيرة ومقهوره
خدام بإيدى دأنا في حال ... يبكي أهل المعموره
وبس مين يرضى يارجال ... حرة وتصبح مأسوره

عاشت منيرة المهدية حياتها الفنية بالطول والعرض وظلت تتربع على عرش الغناء لفترة طويلة حتى ظهرت خلال سنوات مجدها أصوات شابة متميزة فظهرت أم كلثوم ثم أسمهان ثم ليلى مراد وغيرهن من الأصوات النسائية الجيدة فضلاً عن أصوات مطربي تلك الفترة مثل عبدالوهاب ثم كارم محمود وعبدالعزيز محمود وعبد الغني السيد وغيرهم.

وفي الثلاثينات من القرن العشرين بعد دخول صالح جودت في الحياة الأدبية والفنية بدأ يكتب أغنيات بالفصحى، ثم بالعامية، فكانت أغنية يازهرة فى خيالي التي تغنى بها الموسيقار فريد الأطرش في فيلم «حبيب العمر» عام ١٩٤٧.

ثم بدأ يكتب بالعامية فكتب يامسافر وناسي هواك للمطربة ليلى مراد، وأغنية «أحبك أحبك واضحي بحبك» للمطربة شادية وأغنية «يامالكة القلب في أيدك» للموسيقار فريد الأطرش التي يقول مطلعها:

يامالكة القلب فى أيدك	ده عيد الدنيا يوم عيدك
عيونك فى الهوى غنوه	وخدك للأماني كاس
وعودك لحسن ياحلوة	سحرتي به قلوب الناس
شافوكى فى المهج نشوة	وقالوا ربنا يزيدك

يامالكة القلب في أيدك

وغنى له الموسيقار فريد الأطرش «ياشمس قلبي وضله ياحكاية العمر كله» في الستينيات وغنى له العندليب الأسمر عبد الحليم حافظ «ألوى الوى» وغنت له ليلى مراد في فيلم شاطيء الغرام الذي عرض في فبراير ١٩٥٠ بطولة ليلى مراد وحسين صدقي عدة أغنيات رائعة منها «أحب اتنين سوا الميه والهوا» وأغنية «يامسافر وناسي هواك .. رايداك والنبي

رايداك» من ألحان .أحمد صدقي في فيلم «شاطئ الغرام» الذي تجري أحداثه في مدينة مرسي مطروح الساحلية الرائعة ، وكان صالح جودت من المتيمين بشاطئ مرسي مطروح الساحر ويعتبره من أجمل شواطي العالم. وغنت له المطربة صباح أغنية «باخاف من سحر عينيك من ألحان محمد القصبجي وغني له الموسيقار محمد فوزي استعراض الزهور الذي يقول فيه: أصل الزهور زي الستات لكل لون معنى ومغنى وكان صالح جودت يشتعل حبا ووطنية لوطنه مصر ولأمته العربية وقضاياها المصرية، فكتب عشرات من الأغنيات الوطنية الصادقة الباقية فغنت له فايزة أحمد قاهرتي- وفي شارع الأمل وغنت له سعاد محمد كبري ياأم المداين كبرى بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة وغني له الموسيقار محمد عبدالوهاب: كل أرض عربية وأرض النسور.

وغنت له أم كلثوم أنشودة

قم واسمعها من أعماقي فأنا الشعب

إبق فأنت السد الواقي لمنى الشعب

إبق فأنت الأمل الباقي لغد الشعب

أنت الخير، وأنت النور

أنت الصبر على المقدور

أنت الناصر والمنصور

إبق فأنت الأمل الباقي   لغد الشعب

والتي جاءت كإشعاع ضوء في لحظة حالكة من تاريخ مصر والعرب ليلة ٩ يونيه حين تنحى الزعيم جمال عبدالناصر عن الرئاسة إبان نكسة ١٩٦٧ وغنت له أم كلثوم أيضاً «الثلاثية المقدسة» التي يقول مطلعها:

رحاب الهدى، يامنار الضياء

رأيتك في ساعة من صفاء

تقول أنا البيت ظل الإله

وركن الخليل، أبي الأنبياء

وتوجد عشرات من الأغنيات الوطنية والقومية التي تحتاج لصفحات مطولة لاستعراضها.

وتغنت بقصائده في الثلاثينيات والأربعينيات عدة أصوات جميلة مثل قصيدة «أنشودة الفن» للموسيقار محمد عبدالوهاب وقصيدة

ما اسمك بين الأسامي   يامنيتي ياغرامي

التي تغنى بها المطرب الأصيل كارم محمود وتغنت المطربة نور دكاش بعدة قصائد له

والجدير بالذكر أن صالح جودت كان يتمنى أن تتغنى

كوكب الشرق أم كلثوم بقصائده خاصة أن صلته كانت طيبة بأم كلثوم ولكنه لم يشأ أن يغضب صديق عمره الشاعر أحمد رامي الذى كان يشعر بالغيرة الفنية من أي شاعر آخر معاصر تتغنى أم كلثوم بشعره وهو الذى كان يعتبر نفسه المستشار الأدبي الذى يجيز أولا يجيز أى قصيدة تغنيها واستمر ذلك حتى غنت أم كلثوم لصالح جودت قصيدته «الثلاثية المقدسة» بعد نكسة ١٩٦٧

ولكن تبقى أغنية «يازهرة في خيالى» إحدى علامات تطور الأغنية العربية لأنها أذيعت بكلمات راقية وصوت رائع للموسيقار فريد الأطرش تغنى بها فى فيلم «حبيب العمر» الذى عرض لأول مرة على شاشة السينما بالقاهرة فى ٢٧ مارس ١٩٤٧، وتقول كلماتها:

يازهرة في خيالي	رعيتها فى فؤادى
جنت عليها الليالى	وأذبلتها الأيادى
وشاغلتها العيون	فمات سحر الجفون

***

ياغرامي كل شئ ضاع منى

فنزعت الحب من قلبي وروحى

ووهبت العمر أوتارى ولحنى

وتغنيت فداويت جـــروحي
أنا طيـــر في ربى الفن أغني
للطيـــور، للزهور، للغصـــون

★★★

ردى جمالك للمحروم والخالي
لا تطمعى فى فؤادى، إنه سال
شغلت عنه بأحلامي وأمالي
كأن حبك لم يخطر على بالي

وتبقى لصالح جودت عشرات الأغنيات بالفصحى والعامية تغنى بها كبار المطربين والمطربات المصريين والعرب، والتى إذا درست دراسة مستفيضة فستكتشف كم أضاف صالح جودت للأغنية المصرية والعربية، وكم ارتقى بمستواها فى المعنى والكلمة الراقية التي تقترب من الفصحى بعيداً عن السطحية أو الإسفاف، ولذلك يحسب لصالح جودت أنه أحد رواد تجديد وتطوير الأغنية المصرية والعربية وانتشالها من وهدة الاسفاف والسطحية إلى قمة الجمال الفني وسمو المعنى وروعة الكلمة الشاعرة.

ويذكر عبدالمنعم شميس ان المداد الذى كتب به صالح جودت أغانيه التى تملأ الهواء لم يجف بعد، ومع ذلك فاته

ليس له ديوان لأعمـاله الشعرية الكاملة... وقـد يصبح من الصعب جمع هذا الديوان وطبعه (١)

المهم هو أن صالح جودت تميز مع إسلامياته بمصريته، وقد سمى ديوان شعره الصغير باسم «ليالى الهرم» لأنها تشير إلى الروح المصرية التى تملأ كيان هذا الديوان. كما يقول عن نفسه: « أحسب أن الروح المصرية هى أخص خصائص هذا الشاعر الذى حدثتك عنه».

وهو يعنى نفسه بالطبع.. وقد غنت له المطربة فايزة أحمد إحدى روائعه البديعة وهي قصيدة: «قاهرتى».

أننى أقف عاجزاً عن الحكم على الشاعر صالح جودت، لأننى لا أجد نصوص أشعاره التي نشرت فى الصحف والمجلات في مصر وخارج مصر أيضاً.. ولا أجد أغانيه التى تحتل مساحة كبيرة فى الغناء المصرى الحديث.

وهذه الأغانى لها طعم خاص هو «المصرية» إذا صح هذا التعبير، وهي من الأغانى الشاعرة التى لا تعتمد على الأغانى القديمة ولا الفولكلور الشعبى، ولكنها فى لهجتها الفصيحة أو فى لهجتها العامية قصائد شعر.

ليس فى شعر «صالح جودت» سوقية مثل بعض ما

---

(١) قام المؤلف (محمد رضوان) بجمع وتحقيق ودراسة أعمال صالح جودت الشعرية الكاملة عام ٢٠١٢.

نسمع أحياناً من أغنيات .

وليس في أغنيات «صالح جودت» مطالع قديمة مسروقة من الأغاني القديمة المنشورة في كتاب «سفينة شهاب» التي تضم معظم الفولكلور الغنائي المصري الذي يسرق الآن، ويدعي بعض مؤلفي الأغاني أنهم أصحابه.

أن المصرية التي تميز بها شعر صالح وأغانيه، هي المصرية العصرية المثقفة الأنيقة

يا حبيبي نامت الشمس وراء الهرم
وتهادى القمر النشوان بين الظلم
ملكاً يختال تيهاً فوق عرش الأنجم
وينادي كل لهفان إلى الحب ظمي

وقد نحس بالروح المصرية في التأليف والتصوير قبل اللفظ:

اسـأل الليل إذا الليل دنا
بدره المشرق أم يدري أنا؟
المني والسحر والعطر هنا
والهوى والكأس والليل لنا

ان الصورة الشعرية في الحالين واحدة، وهي صورة البدر في الليالي، والذين سهروا الليل في مدائن الدنيا يعرفون البدر في ليل القاهرة... ما أحلاه.. وما أجلاه.

كان صالح جودت يحب كتابة أشعاره عند سفح الهرم، ويجلس في شرفة فندق «ميناهاوس» يرقب أحياناً شروق الشمس، وقد تسوقه الأقدار ساعة العصارى (١)

أما لياليه فكانت في قلب القاهرة حيث كان يحلو السهر ويطيب الحديث والسمر.

قالت لي «السيدة ثريا جودت» ابنة عمه صالح بك جودت.

– هل نسيتم صالح جودت.. لقد مضت ست سنوات منذ رحيله؟

قلت:

– كيف ينسى من قال:

يا حبيبي ضمني يوماً إذا كنت بقربي
واسمع اللحن الذي تعزفه أوتار قلبي

كان صالح جودت قيثارة حب تغني.. وكان لحن شعر تعزف أصابعه دائماً على أوتار القلب.

كان يقول:

– أن أول ما أخذني من الشعر هو الموسيقى.. وعقيدتي في الشعر أنه أول ما يكون موسيقى.

كان صالح جودت واحداً من ملوك النغم في الشعر.



---

(١) مجلة الجديد : عبدالمنعم شميس أغسطس ١٩٨٢.

ويتناول الشاعر الناقد فاروق شوشة (١٩٣٦) أبرز ملامح شخصية صالح جودت وشعره، فيقول: (*)

«هذا شاعر لا يكاد يتذكره الآن أحد.. بالرغم من أنه كان يملأ الدنيا ويشغل الناس بقلمه وبكتاباته وبمعاركه منذ بزوغ اسمه في حياتنا الأدبية والصحفية، في النصف الثاني من ثلاثينيات القرن العشرين عندما أصدر ديوانه الأول «ديوان صالح جودت» عام ١٩٣٤ وحتى رحيله في عام ١٩٧٦ بعد أن أصدر آخر دواوينه «الله والنيل والحب» بعام واحد عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

«كان صالح جودت ومعه أقطاب التيار الرومانسي: «إبراهيم ناجي وعلي محمود طه ومحمد عبدالمعطي الهمشري ومحمود حسن إسماعيل وأحمد رامي ومختار الوكيل وحسن كامل الصيرفي وغيرهم يهيئون الأرض - بنماذجهم الشعرية المبكرة - لمذاق شعري جديد - غير مألوف، ولغة شعرية يلتمع في ثناياها معجم شعري يصف المحسوسات بصفات المعنويات والمعنويات بصفات المحسوسات ويطلق الخيال المحلق إلى تخوم شديدة البعد، لغة تتميز بالأناقة المترفة، والصياغة المغمغمة بالهمس والإيحاء، والتأثر بأشعار الرومانسيين الإنجليز والفرنسيين، من أمثال كيتس وشيلي

(*) الأهرام / ٤ يونيه ٢٠٠٠.

ووردزورث وبيرون ولامارتين والفرد دى موسيه وألفرد دى فيني.. وكان صالح جودت من بينهم جميعاً أقرب إلى الروح المصرية والمزاج المصري في أسلوب التعبير عن العواطف والمشاعر، واقتناص الكلمات المصرية ذات الدلالة المحلية الطابع، مما يذكرنا بما كان يصف شاعر مصرى قديم فتن به صالح جودت وكان دائم الإشارة إليه وذكره هو «البهاء زهير» تميز شعره بدرجة عالية من هذه الروح المصرية والطابع المصرى في الصياغة والتعبير.

الغريب أن صالح جودت كان على وعى بهذا الدور الشعرى الذى قامت به الحركة الرومانسية.. وفى حديثه عن صحبته لناجى وعلى محمود طه والهمشرى.. فى سنوات الصبا الباكر - إشارة إلى التكوينات الأولى، والنزعة الشعرية المشتركة، والأفق المغاير الذى يتطلع إليه الأربعة.. يقول

«كانت هذه الصحبة مدرسة جديدة في الشعر، تتقارب خطوطها كل التقارب إلى حد اختلط شعرنا على الناس في كثير من الأحيان فنسب إلى غير صاحبه، وإلى حد أن أحداً منا نحن الأربعة لم يكن يعرف من التلميذ ومن الأستاذ، فقد كان كل منا يفيد من صحبة الآخرين.

«وكان لنا أصحاب ثلاثة من شعراء الشباب فى الأدب الإنجليزى، هم: شيلى وكيتس ووردزورث، نقرؤهم دائماً،

ونحس بما بيننا وبينهم من أواصر الشعر ووشائج الشباب وعبادة الجمال وروح الثورة على القديم.

لكن المستقبل الأدبي بعد هذه السنوات التي يتحدث عنها صالح جودت وهي سنوات الدراسة الثانوية في المنصورة بين عامي ١٩٢٧، ١٩٣١.. التي جاءها من الزقازيق حيث كان مولده، هذا المستقبل قام بتوزيع الحظوظ الأدبية على الأربعة فيما يشبه القسمة العادلة طبقاً لموهبة كل منهم وإخلاصه للشعر، فليس صدفة أن تقدم ناجي وعلي محمود طه وجاء من بعدهما الهمشري وصالح جودت في ميزان الشعر الحقيقي.. والتهمت الحياة الصاخبة الممتلئة التي عاشها صالح جودت كثيراً من طاقته الإبداعية ومن تفرغه للشعر، كما التهمت معاركه الأدبية والصحفية والسياسية كثيراً مما تبقى من هذه الطاقة، وحين مشى في طريق صديقه الأثير أحمد رامي وبدأ يتجه إلى كتابة الأغنية، خاصة للعديد من الأفلام السينمائية.. أشهرها فيلم شاطئ الغرام.. كسبته الأغنية العاطفية ولم تكسبه القصيدة المجددة المحلقة التي كان يبدعها ناجي وعلي محمود طه.. وفي الإذاعة المصرية عمل صالح جودت عدة سنوات مشرفاً على الأحاديث ومقدماً للبرامج الشعرية ومكتشفاً للمواهب الجديدة، ومن خلاله عرف الناس شعر شاعر الكرنك أحمد فتحي قبل أن تشدو به أم كلثوم ومن

الإذاعة إلى الأهرام صحفياً وكاتباً فرئيساً لتحرير مجلة الراديو و«الإذاعة» فرئيساً لتحرير «المصور» ورئيساً لتحرير «الهلال» ونائباً لرئيس مجلس الإدارة بدار الهلال.. وبالرغم من تتابع دواوينه الشعرية ومؤلفاته الأدبية ورواياته ومجموعاته القصصية خلال هذه الرحلة الطويلة الحافلة إلا أن وجهه الشعري انعكست عليه شوائب معاركها التي تجاوزت الساحة الأدبية إلى الحدة السياسية ومن هنا وقع الظلم الشديد على شعر صالح جودت الذي يتسم بالعذوبة والأناقة الشعرية والخيال الوثاب، والذي ابتعد عنه النقاد والدارسون لأنهم ابتعدوا عن صاحبه وأصدروا حكمهم عليه، وكان هو نفسه سبباً في هذا الظلم الشديد الذي لحق بشعره، فقد اشتط في خصوماته ومواقفه العنيفة، ولم يقتصر حواره مع خصومه على الدائرة الأدبية وحدها، بل كان يصبغه دوماً بالطابع السياسي.

ثم يضيف الشاعر الكبير فاروق شوشة:

«ومنذ رحيله في ٢٣ يونيه ١٩٧٦ لم يذكره أحد بكلمة غير الأديب محمد محمود رضوان الذي ألف عنه كتابه «شاعر النيل والنخيل» منذ سنوات عديدة «سنة ١٩٧٧»».

لقد أصدر صالح جودت ستة دواوين هي: ديوان صالح جودت «١٩٣٤»، ليالي الهرم «١٩٥٧»، أغنيات على النيل

«١٩٦٢»، حكاية قلب «١٩٦٥»، ألحان مصرية «١٩٦٨»، الله والنيل والحب «١٩٧٥» وعدة دراسات أدبية هي: بلابل من الشرق، شاعر الكرنك، شعراء المجون، ملوك وصعاليك، ناجي: حياته وشعره، الهمشري: حياته وشعره، كما أصدر روايتين هما: الشباك وعودي إلى البيت، وعدداً من المجموعات القصصية هي: في فندق الله، وداعاً أيها الليل، خائفة من السماء، بنت أفنديا، كلنا خطايا، أولاد الحلال، أساطير وحواديت، وعدداً من كتب الرحلات أبرزها، قلم طائر لكنها - في مجموعها - كتابات تنتسب إلى عالم الكتابة الصحفية أكثر من انتسابها إلى علم الإبداع القصصي والروائي.

وبالرغم من وفرة هذا الإنتاج الأدبي وتعدد جوانبه، إلا أن الوجه الشعرى لصالح جودت يظل وجهه الأساسي والأصيل، وهو الوجه الذى شملت آخر تجلياته في قصيدة «الثلاثية المقدسة» التي تغنت بها أم كلثوم، والتي كتبها صالح جودت استجابة للفكرة التي ومضت في خاطر المفكر الإسلامي الراحل الدكتور عبدالعزيز كامل عندما كان وزيراً للأوقاف، وبعد حريق المسجد الأقصى.

يقول صالح جودت في قصيدته «أحلام المنصورة» مسترجعاً ذكريات الأيام البعيدة من الصبا ومطالع الشباب:

آه مما بي، وهل تدرين ما بي

يوم ودعـتك.. ودعت شـبـابـي
أين أحـلامي على تلك الروابي؟
ذابت الأحـلام في قلبي المذاب
لي حـبـيب فـيك أفـديه بعـمـري
سـمـرة النيل على خـديـه تغـري
هو إلـهـامي وأحـلامي وشـعـري

النزعة الحسية الطاغية، والظمأ الشديد لكل ما في الحياة من متع ورغائب، ملمحان لا يفارقان قارئ شعر صالح جودت، إنه ظامئ نهم بالجمال - يلمسه ويشمه ويتحسسه، لا يكتفي برؤيته أو تذوق عطوره، ولا يؤجل لذائذ يومه إلى غده.. هذه النزعة الأبيقورية أو الخيامية أو النواسية هي التي تقربه أحياناً من علي محمود طه وتباعد بينه وبين إبراهيم ناجي، فكلاهما: علي محمود طه، وصالح جودت حريص على تأكيد فروسيته في مجال العشق، وظفره بمن تتشاغله خيالاته وأفكاره، يقول صالح جودت:

أجل، ظمـــــــآن يا ليلى
ومـــــاء الحب في نهـــرك
خـــــذيني في ذراعـــــيك
وضـــمــــيني إلى صـــدرك
دعــــيني أشـرب النور الذي

ينســاب من شـعــرك

وروى لهـفـسـة الظمــآن

بالقــبلة من ثغــرك

هبــى لـى ليـلـة أثـمـل

ياليــلاى من خـمــرك

تقـولين: جـمـعت السـحـر

يا ظمــآن فى شـعـرك

وأنت قـصـيدتى الكبـرى

وهذا الشـعـر من سـحـرك

بين ميلاده فى الثانى عشر من ديسمبر ١٩٠٨ ورحيله فى الثالث والعشرين من يونيو ١٩٧٦ عاش صالح جودت حياة صاخبة حافلة، امتلأت بمعاركه القلمية فى الشعر والأدب والسياسة، وألقت بغبارها الكثيف على إبداعه الشعرى، إبان فوران الانتقال من العصر الناصرى إلى الساداتى، والآن - بعد أن انقشع الغبار أو كاد - آن أوان قراءة صالح جودت قراءة جديدة تعكف على شعره وحده.

الفصل التاسع :

مأساة شاعر الحب !

لا تقولوا غداً فعمري قليل

هده اليأس والعناء الطويل

أمنوا لي غدي لأصبر، لكن

كيف يعطي الأمان عزرائيل

لست أخشى الردى فعمري هباء

لم ينور حماي منه فتيل

وإذا العمر لم ينور حماه

فهو مهما يطل مداه ضئيل

صالح جودت

تغريدة البجعة

عرف عن البجعة أنها وهي تلفظ أواخر أنفاسها، تخرج نغمة أجمل ما تكون النغمات.

وقد عانى صالح جودت في سنواته الأخيرة آلاما مبرحة بسبب المرض العضال الذى أصيب به فى صدره في العامين الأخيرين من حياته منذ منتصف عام ١٩٧٢ حتى رحيله فى ٢٣يونيه ١٩٧٦

وقد روى لنا بأسلوبه المؤثر حكاية عذابه مع المرض أثناء معركة الحياة والموت التى واجهها بشجاعة نادرة وصبر لا ينفد وذلك فى بابه الشهرى الذى كان يكتبه فى مجلة الهلال التي كان يرأس تحريرها (١٩٧١ - ١٩٧٦) تحت عنوان «رحلة الشهر» وسماها «رحلة عذاب» يقول صالح جودت:(*)

«لم تكن فى الواقع رحلة شهر، وانما كانت رحلة عام وبعض العام...

«رحلة عذاب، بدأت فى أكتوبر سنة ١٩٧٤، وتخففت وتثاقلت، وتثاقلت وتخففت، إلى أن أدركت مطالع هذا العام، فانتقلت بي من معالجة سكرات الموت إلى معالجة سكرات الحياة.

(*) مجلة الهلال، مارس ١٩٧٦.

«بدأت بثلاثة أشهر في مستشفى القوات المسلحة بالمعادي، وانتهت بثلاثة أشهر مماثلة، منها شهر في مستشفى برومتون بلندن، وشهران في مستشفى رويال ماررزدن، بمدينة ساتون، على مسيرة ساعة من لندن.

في المعادي نزلت في جناح على النيل، مشرف على مدى واسع يمتد من أهرام الجيزة إلى أهرام ميدوم ودهشور وسقارة.

منظر رائع حقا...

ولكنه حينما يقترن بالرقدة الطويلة، والآلام المبرحة، والليل المؤرق، وسلسلة الجلوكوز والأنسولين والتحاليل والإشعات والإبر والعقاقير، يتحول من صورة حية إلى صورة جامدة لا تتحرك طول النهار، ولا تتبدل من يوم إلى يوم، وتصبح جهاز تسجيل للدموع والآهات والآلام والحسرات.

ويخفف من بعض هذا العذاب، ما لقيت من رعاية الأطباء الذين ما لبثوا أن تحولوا إلى أصدقاء خلصاء.

ويلطف من حدة هذه الشدة، ما لقيته من عطف الرئيس الحنون أنور السادات، ومن لطف ذات اليد الآسية الحانية، سيدة مصر الأولى، قرينته.

وتنتهي الأشهر الثلاثة الأولى من المحنة، وأخرج وأنا ألبس ثوب شفاء كاذب، أذهب بعده إلى الملتقى الإسلامي

بمدية تلمسان بالجزائر، فلا يلبث الثوب الكاذب أن يتمزق، وأسقط هناك لأجد نفسي على سرير المرض في مستشفى تلمسان.. وما أدراك ما مستشفى تلمسان.

وأتحامل على نفسي، وأعود إلى مصر، لأنني أريد أن أموت على أرض مصر..

وأعود إلى العمل، بنفس الطاقة التى أعمل بها طول حياتي.. ثماني عشرة ساعة كل يوم.. ولكن الطاقة كانت هذه المرة مستعارة لا صادقة....

مستعارة من وهم الشفاء، ومن حب الجهاد..

ولا ألبث أن أسقط مرة ثالثة فى بيتي، وأستسلم للمخدع وأسلم أمرى لله، وأحس بأن شيئا مجهولاً – غير كل ما يقوله الأطباء – يمهد لي طريقي إلى لقاء الله.

ويلاحقنى حب الأصدقاء بالسؤال أو بالزيارة كل يوم. وذات يوم يسألني الصديق الاستاذ محمود لطفي، المستشار القانوني لجمعية المؤلفين والملحنين كيف أصبحت، فأقول له: «كما كنت بالأمس، أن لم أكن أسوأ.

فيضطرب خاطره، ويصرخ في وجهي: إلى متى تصبر على نفسك والحالة تسير على هذا الوجه؟

فأقول له: إلى أن ألقى وجه الله.

وينتهي حديثنا، ويهرع هو إلى صديق العمر، موسيقار الجيل، الاستاذ محمد عبدالوهاب ويقص عليه ما دار بيننا فيضطرب خاطر عبدالوهاب هو الآخر، ويتصل بي، ويقول في حزم: كيف تصبر على نفسك، ولماذا لا تطلب أن تعالج في الخارج؟

قلت له - وهذه حقيقة من حقائق حياتي منذ طفولتي - أنني ما تعودت أن أطلب من أحد شيئًا لنفسي.

فأنهى الحديث، واتصل من فوره بالصديق الحبيب يوسف السباعي، وزير الثقافة والإعلام، وفي غمضة عين، وجدت يوسف السباعي فوق رأسي، يلومني على قولي أني لا أحب أن أطلب من أحد شيئا، لأن الدولة ليست أحدا، وإنما هي الدولة التي نحرق حيواتنا جميعا في سبيل مجدها وعزها، ومن حقنا عليها أن تقف معنا في محنتنا.

وفي أيام معدودة، أنجز يوسف السباعي - رعاه الله - أوراق السفر، وذهبت إلى لندن.

خرجت من القاهرة مستندا إلى ذراعي الصديقين حسن عبدالمنعم، رئيس اتحاد الإذاعة والتليفزيون، وعبدالرحيم سرور، رئيس هيئة التليفزيون.

أما في لندن، فما كان أقسى المشهد على نفسي حين رأيتني محمولا من سلم الطائرة إلى السيارة على كرسي ذي

عجلتين، يدفعه أحد حمالي المطار، ونظرات الإشفاق بادية في عيون القادمين والراحلين.

★★★

لم أر من لندن شيئاً طوال الشهور الثلاثة.. فقد قضيتها جميعا في حبس انفرادي.

ذهبت - أول ما ذهبت - إلى عيادة الدكتور ستررون، الطبيب الجهير الذي اختاروه لي. وما كاد يسمع قصتي حتى أربد وجهه لسبب لا أعلمه، وأن كنت أرجح أنه أدرك شيئاً، لعله ذلك الشيء المجهول الذي كنت أحس أنه يمهد طريقي إلى لقاء الله.

وحدد الطبيب لي موعدا أستقر فيه بمستشفى برومتون.

وذهبت، وبدأت مرحلة جديدة من الفحوص والتحاليل وصور الأشعة... إلى جانب عمليتي منظار، المنظار الأول يدخل في الأنف ويصل إلى الجوف، والثاني يدخل من الفم ويصل إلى العمق.

وأخيرا.. جاء الدكتور سيترون، ومعه الجراح الكبير الدكتور «باناث»... يصارحانني بالحقيقة القاسية: سرطان في الرئة اليمنى... ولابد من عملية جراحية لاستئصال هذه الرئة.

هذا هو المجهول الذي طالما أحسست أنه يمهد لي الطريق إلى لقاء الله.

وسألاني، وكأنهما الملكان عن يمين ويسار: ما هو قرارك؟

قلت مؤمنا: ليس هناك اختيار.

ووقعت إقرارا بقبول هذا القرار وأجريت العملية، وفتحت عيني بعدها لأجد حولي وجوها مصرية حبيبة تبارك نجاح العملية، منها سفير مصر في لندن، الاستاذ سميح أنور، وقنصلنا العام، الاستاذ أمين سامي، والدكتور خلاف مدير المكتب الصحي، وغيرهم من أعضاء السفارة والقنصلية ومكتب الجامعة العربية.

الشيء الذي وقفت أمامه حائرا، هو أن الجراح الكبير الذي أجرى لي العملية، لم يمر بي بعدها لعدة أيام.

وفي البنج لم أره طبعا..

وذات يوم، لمحته عابرا أمام غرفتي بالمستشفي، فناديته، فجاء، فسألته لماذا لم يلق نظرة على العملية التي أجراها، على جسامتها، فقال بهدوء «الجراح البريطاني» الذي تحدثت عنه أغنية سعاد حسني: ولماذا ألقي نظرة؟ ما دمت أجريت العملية، فهي ناجحة ولا تحتاج إلى مراجعة..

ثقة بالنفس.. هي ثقة العالم الواثق بعلمه، وبمساعديه وبجهاز التمريض الذي يحيط به...

متى ... متى نصل في بلادنا إلى هذا المستوى؟

«ومر الشهر.. وجاءت مرحلة جديدة من العلاج بالاشعاع الذري، فانتقلت - مطروحا على ظهري في سيارة إسعاف - من مستشفى برومتون إلى مستشفى رويال ماردن، بمقاطعة ساري، وسط الريف الانجليزي الجميل. حيث قضيت شهرين واصلت فيهما الحبس الانفرادي، وتكررت حكاية المعادي ومشهد النيل، أصبح مشهد الريف الانجليزي الجميل على مر الأيام صورة متجمدة من العذاب والأرق والدموع.

ومرة أخرى بدأت مرحلة من الفحوص والتحاليل وصور الأشعة. وأخيرا، جاءت الدكتورة بيكر، أستاذة العلاج الذري، لتضع خطة للعلاج مداها ستة أسابيع.

وبدأ العلاج... جلسات يومية قد لا يزيد مدى الجلسة منها على ثلاث دقائق لا ألم فيها، ولكنها بعد ذلك تعقب أشكالا وألوانا من الآلام المنوعة، بعضها فوق ما يحتمل البشر.

وتنتهي الرحلة... وأعود إلى مصر هزيلا مترنحا أعالج سكرات الحياة، إلى أن أعود مرة أخرى إلى لندن بعد ستة أشهر ليراجع الأطباء مسيرة العلاج.

ومع هذا يهتز القلم من جديد..

لست أروي هذه القصة لأشغل القارئ بحكاية شخصية، فما عودته أن أتحدث عن شخصي أبدا.

ولكنني هذه المرة أضع نفسى أمام القارئ كعينة.. مجرد عينة... لنا نحن خدام الكلمة.

كلنا نذوب ونحترق ولكن القلم يظل يتحرك كل يوم.

في لندن إذ أنا هناك، كان هناك الزميل على أمين يعانى آلاماً مبرحة في الكبد..

ولكن قلمه كان يتحرك كل يوم ..

وكان هناك الزميل حسين فهمي، أحد رؤساء الأخبار، يعانى آلاما لا تزال تحت التشخيص.

وكان هناك الزميل الدكتور يوسف إدريس، يشكو ورما في القلب، وقد أجريت له عملية جراحية خطيرة لاستئصال هذا الورم.

وكان هناك الزميل فاروق منيب، المحرر بالجمهورية، وهو مصاب بفشل كلوي، أي أن الكليتين متعطلتان تماما، وهو يذهب إلى مركز الكلى الصناعية لتجديد حياته ثلاث مرات في الأسبوع.. وقد وطن نفسه على أن يعيش على هذه الحال طول العمر.

هل يعرف القارئ ما هي وسيلتنا إلى احتمال كل هذه المعاناة؟ الإيمان

ان المعاناة أعظم ما يدعم الإيمان

يوسف إدريس سار نفس سيرتي.. كان في مستشفى المعادي حينما كنت هناك، وكان تحت العلاج في لندن حينما كنت هناك.

وكنت أعرف أنه من المتشككين بحكم يساريته. ولكنني حينما زرته في المعادي، وجدت في عينيه بريق الإيمان، ولمحت حول سريره أربعة مصاحف.

وفي لندن كان مترددا في أمر عمليته، هل يقدم أو يحجم وأخيرا قال لي بمنتهى الإيمان:

- توكلت على الله، وأنا ذاهب إلى المستشفي

قرائي الأعزاء

زادكم الله إيمانا فأنه خير زاد في الدنيا والآخرة..

★★★

لم يتخل صالح جودت عن قوة إيمانه وصبره وهو يعلم أنه يواجه شبح الموت، فكانت آخر كلماته وهو يستعد للسفر إلى لندن للمرة الثانية خلال بضعة شهور (١).

«الحياة والموت بيد الله، والمؤمن الحق من رضي بهما معا».

«أكتب هذه الكلمة وأنا راحل عن مصر الحبيبة إلى أرض أنتظر فيها قدري، فإما الأولى وإما الثانية في هذه الساعة أتذكر خطبة الموت للإمام علي رضي الله عنه»

---

(١) الهلال / يونيه ١٩٧٦

«نسألك اللهم أن تجعلنا من أهل الثانية بما أخلصنا من قول، وما أحسنا من عمل، أنك أنت السميع المجيب».

★★★

وأتذكر أنني بعد عودته إلى مصر قمت بزيارته في منزله بحي المنيرة وكان لقاء مؤثرا، رأيت أمامي شبحا وهو العملاق الذي كان يمتلأ قوة وحيوية، وأحسست أنني أراه للمرة الأخيرة، فعانقته مودعا قبل سفرى إلى سلطنة عمان للعمل مديرا لتحرير مجلة السراج التى أسستها هناك ووقع لى قبل مرضه الأخير قرار الموافقة على أجازة بدون مرتب بعد أن عارض طويلا لتمسكه ببقائى فى مصر فى مجلة الهلال

وتلقيت فى ديار الغربة نبأ رحيله وقلبى يتمزق. قرأت فى مجلة حواء (*) الخبر التالى للكاتب الصحفى الكبير أحمد زكى عبدالحليم الذى كتب يقول: «مات الشاعر الذى كان يغنى للحب على كل الأغصان ويغرد للحياة والآمال الحلوة».

«مات الشاعر صالح جودت بعد معاناة طويلة مع المرض الأسود الذى يحرق دماء الحياة، ويمتص رحيقها، فلا يوقفه إلا رحمة الموت.. وبعد عامين من هذه المعاناة القاسية، اختارت رحمة الله صالح جودت إلى جواره.

---

(١) حواء / ١٩٧٦/٦/٢٦

وقد تخرج راحلنا العزيز في كلية التجارة، ولكن بريق الكلمة الحلوة اجتذبه بعيدا عن الأرقام فاتجه إلى ميدان الكلمة، كاتبا وشاعرا وصحفيا ومذيعا، وامتدت رحلة القلم منذ عام ١٩٣٢ إلى أن توقف النبض الأخير مساء الثلاثاء الماضي بمنزله وعلى أرض مصر التي عشقها، وقد دوى النبأ الحزين بين أبناء دار الهلال، فبرغم كل شيء كنا نعتقد أن الابتسامة الحلوة يمكن أن تقهر أخطر الأعداء وأقسى الأمراض، ونسينا في هذا الأمل أن المرض لا يرحم، وان الحياة لها نهاية.



وحين سافر الشاعر الكبير إلى لندن للعلاج من مرضه العضال، واجهه الأطباء هناك بوضوح بحقيقة مرضه العضال فآثر العودة إلى وطنه الذى يعشقه ليموت على ترابه كما تمنى، وكتب يقول بعد عودته عنوان «عائد من رحلة عذاب»: (١)

«رحلة دامت ثلاثة أشهر، سكت فيها القلم وتكلم الألم

«كانت الرحلة إلى لندن.

«وتسألني: وماذا رأيت في لندن؟ فأقول لك: لا شيء لم أر غير غرفتين عشت فيهما في حبس انفرادي: لا أكلم أحدا ولا

---

(١) المصور ٢٧ فبراير ١٩٧٦.

يكلمني أحد. قضيت في أولاهما شهرا كاملا بمستشفى «برومتون» أعظم مستشفيات لندن لأمراض القلب والصدر، وقضيت في الثانية شهرين كاملين بمستشفى رويال ماردن» بمقاطعة ساري» على مسيرة ساعة من لندن، وهذا هو أهم مركز في غرب أوربا للعلاج بالإشعاع الذري المستخدم في محاربة الأورام» خرجت من المستشفى الأول وقد فقدت نصف صدري في جراحة عاتية لم يكن لها بديلا إلا الموت.. الموت الذي كان يتربص بي منذ عام، لولا أن لكل أجل كتابا، وكتابي لم تزل فيه بضع صفحات بأمر الله.

أقول أن الموت كان يتربص بي منذ عام.. ولو لم أذهب إلى لندن، لكان محتملا كل الاحتمال أن يختصر القدر بعضا من الصفحات الباقية من كتاب الأجل».

ودع صالح جودت، ذلك القلب الفياض بالحب الحياة مساء يوم الثلاثاء ٢٣ يونيه ١٩٧٦ وكانت آخر قصائده التي تركها ولم يكملها قصيدته الأخيرة التي يودع فيها الحياة كتبها على سرير المرض في لندن، وكان القلم يرتعش في يده، قال فيها:

ذبلت نضـــرتي وجف الإهاب
وتداني إلي الخـــتـــام الكتـــاب
من مـــعـــيني على ثلاثة آلام
ســقــام ووحــدة واغــتــراب

وقد أثار رحيل صالح جودت، شاعر الحب والرقة والجمال مشاعر الحزن واللوعة والأسى فى قلوب محبيه فكتب صديقه الأديب كمال النجمي كلمة وداع مفعمة بالأسى مبللة بدموع المحبة ولوعة الفراق: (١)

«تلك الخطوات القصار التى مشيناها منذ أيام فى باحة جامع عمر مكرم كانت من أصعب الخطى وأشدها إيلاما.

مشيناها نودع زميلنا وصديقنا وأخانا صالح جودت، إلى المثوى الأخير الذى يمضى إليه كل انسان.. وفى كل خطوة كانت الحياة فينا ومن حولنا تتنفس بأفكار ما بعد الحياة.. أن الإنسان يعيش غفلاته ثم لا يشعر إلا فى مثل هذه الساعة أن الطريق قصير. وأن الرحلة لم تتوقف لحظة واحدة..

كان صالح جودت شاعر الرقة، لكن الداء الوبيل لم يعرف الرقة معه، فقوانين الحياة والموت لا تعرف الفرق بين الشاعر وغير الشاعر.. ورحاها الطاحنة تدور على الجميع.

وكل ما يستطيعه الأحياء أن يقولوا لأصدقائهم الراحلين: «إلى اللقاء يا من ضرب الموت حجابا بيننا وبينكم.. يا أصدقاءنا .. يا أحزاننا»!..

كان صالح جودت فى معركة المرض العضال التى خاضها منذ أواخر سنة ١٩٧٤، أشبه بمقاتل يحمل السلاح، بالرغم

---

(١) الكواكب / يوليو ١٩٧٦

من احتفاظه بروح الشاعر وتشبثه بقلمه بين أصابعه إلى آخر النهاية.

وصالح جودت من أصدق قراء الكواكب، وقراء كل مجلة أسبوعية أو شهرية من مجلات دار الهلال، فقد كتب فيها جميعا زمنا طويلا، وكان رئيسا لتحرير بعضها، وذهب إلى لقاء ربه واسمه يتصدر ثلاث مجلات شهرية احداها مجلة «الهلال» كبرى مجلات العالم العربي التي تولى رياسة تحريرها منذ سنة ١٩٧١.

وصالح جودت من حملة الأقلام ذوي الاتجاهات المتعددة، فضلا عن نشاطه الغزير في الصحافة، اشتغل بكتابة القصص والسيناريوهات والأغاني، وأسهم في البحث الأدبي. وأصدر عددا كبيرا من دواوين الشعر المتنوعة الطعوم والروائح والموضوعات والاهتمامات، إلى ما أصدره من كتب أدبية وروايات ومجموعات قصص كثيرة وفي السنوات الثلاث أو الأربع الأخيرة من حياته، توالت كتاباته السياسية، فجلبت عليه عداوات من هنا وهناك، كما جلبت عليه كتاباته عن الشعر الجديد والقديم مثل هذه العداوات أو أشد.. ولكنه كان صادقا مع نفسه فيما كتب في السياسة والشعر والأدب جميعاً.

وقد عاش صالح جودت بضعة وستين عاما، وكان قبل مرضه يبدو في مرح الشباب وعنفوانه، ولولا هذا المرض

الذى انهزم أمامه الطب، لحقق صالح - رحمه الله - نظريته التي كان يسميها:

«الشباب الأول، والشباب الثاني، والشباب الثالث»..

فأما الشباب الأول، فينتهي عند الثلاثين ليبدأ الشباب الثاني باسطا ظلاله حتى الخمسين، فإذا تفيأ هذه الظلال، وأطل عليه وجه الحياة بعد الخمسين، فقد بدأ الشباب الثالث، ولا ينتهي إلا في الثمانين.

وعلى غلاف ديوانه «حكاية قلب» نقش هذه الكلمة: «الشباب لا ينتهي إلا بانطفاء شعلة الحياة».

ويروى لنا صديقه الكاتب الصحفي صبري أبوالمجد رئيس تحرير مجلة المصور يومئذ رحلة شاعر الحب والجمال مع عذاب المرض ومعاناة الألم وقسوته ، وكيف كانت قسوة اغترابه عن مصر أكثر ألما عنده من قسوة مرضه، العضال القاتل ، فقال (١)

«كنا في منتصف يوليو - تموز - ١٩٧٥ نشترك في الملتقى التاسع للفكر الإسلامي ، الذى أقيم في مدينة تلمسان، أجمل ، وأخلد مدن الجزائر الحبيبة ، وكان صالح جودت نجم ذلك الملتقى ، الذين يتفقون معه في الفكر

---

(١) الهلال أغسطس ١٩٧٦ / صالح جودت ورحلة العذاب

السياسي ، والذين يختلفون وأياه ، وكان صالح ، الذى كان خارجا لتوه من مستشفي المعادي بعد فترة مرض طويل ، قضى جزءا منها فى غرفة الإنعاش ، حريصا على ضرورة الاشتراك في الملتقى رغم أنه لم يشف تماما من مرضه وكان سبب ذلك الحرص أن أعتذر للأخ الصديق الأستاذ مولود قاسم وزير التعليم الأصلي والشئون الدينية بالجزائر فى العام الماضى عن المشاركة فى الملتقى التاسع حتى لايغضب مولود قاسم ، وألقي صالح جودت قصيدته الرائعة فى الملتقى حيث استقبلت استقبالا حافلا وكان أكثر أبياتها تأييداومعارضة قول صالح

ما أجدب الأيام لما خلت
من نغمات الكرد والأصفهان
وبئس ليل ما به آهة
من أم كلثوم ومن أسمهان
وما هوى المألوف أما أستوت
أنغامه فوق نفور العيان
ويا هناء الروح أما انتشت
برنة العود وسحر الكمان
بعدهما تحلو الليالي كما
تحلو صلاة الفجر بعد الآذان

وعاد صالح جودت إلى الفندق الذى كنا نقيم فيه بعد جولة قصيرة قضاها والحر شديد للغاية ، فى بعض أرجاء المدينة الجميلة ، سيرا على الأقدام ، وفى الصباح الباكر أجد من يوقظنى من نومى ليذهب بى إلى المستشفى العام فى المدينة حيث أجد صالح جودت غارقا فى بحار من الدم ، لقد أصيب فى ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم بنزيف حاد ونقلوه فورا إلى المستشفى ، ورفضوا إخبارى بالأمر فور وقوعه، حتى لايهزنى الموقف العنيف الذى تعرض له «صالح»، ولم يكد يرانى صالح جودت حتى أجهش بالبكاء حتى تجمع المرضى الذين كانوا يقيمون فى نفس الطابق من حولنا فلأول مرة يجدون من يبكى يمثل هذه الدرجة من الإنفعال والألم ، ولم يكن بكاء صالح جودت لأنهم كانوا ينقلون الدم الذى ينزف من أنفه بالجرادل ، ولم يكن بكاء صالح جودت لأن نبض قلبه قد أصبح لكثرة ما نزف منه الدم يكاد يتوقف كان بكاء صالح لأنه يخشى أن يموت خارج مصر .. كان يقول لى فى كلمات متقطعة باكية مبكية لا أريد أن أموت بعيداً عن مصر ، ودعونا الله معا أن تتحقق المعجزة وأن يتوقف النزيف ، واستجاب الله لدعائنا وأوقف النزيف

وبدأت المشكلة الكبرى التى عجزنا عن حلها أن صالح يقيم فى غرفة مشتركة مع مريض أخر كثير الشكوى والأنين

وقد عجزنا عن نقله إلى غرفة مستقلة .. أن معاملة المرضين للمرضى كانت من أقسى ما عرفناه فى حياتنا ، لدرجة أن المرض ، وكنا نظنه فى البداية طبيبا لأنه كان يحمل في يده «سماعة» ، قسا على صالح وضربه على ظهره عدة ضربات موجعة ليعرف مكان الألم !!

وأصر صالح على الخروج من المستشفى وقال الأطباء المعالجون أن الخطر واقع لا محالة إذا ما تحرك المريض وقال لى صالح خير لى أن أموت فى الطريق إلى الفندق من أن أموت هنا بين تلك الجدران السوداء حاولت أن أزين له البقاء فى المستشفى ولكنه رفض واستكتبونى وإياه – فى المستشفى – عدة أوراق نؤكد أننا نعرف خطورة نقل المريض، وأننا نتحمل وحدنا المسئولية !

ونقل صالح إلى الفندق وتحسنت صحته على الفور .. وبدأ يعود إلى حالته الطبيعية .. يتحدث ، يناقش ، يروى الشعر ، يتغزل فى الممرضات اللاتى جئن لعلاجه وقال الطبيب المعالج ، المقيم معنا فى الفندق خصيصا للإشراف على علاج صالح أنها معجزة أن يعيش المريض بعد كل ذلك الدم الذى نزف منه

وظل صالح أسبوعا كاملا على السرير لايتحرك عاده كل من شارك فى الملتقى ، تمنوا جميعا له السلامة والنجاة

كانت كلماته لي لا أمل في الحياة كل ما أريده أن ألفظ أنفاسي الأخيرة في مصر ، التي عشقتها وأحببتها

وحرصا منه على أن يعود إلى مصر كان يقاوم المرض بكل بسالة ، إلى أن عدنا إلى مصر ، وبدأ صالح يباشر عمله، وكنت بين حين وآخر أذكره بحاله في الجزائر ، وأطلب منه أن يشفق على نفسه ، فيتوقف عن العمل ولكنه كان دائما يأبى أن يستمع إلى النصيحة ثم عاوده المرض العضال وذهب إلى لندن ، وعاد وحالته النفسية جيدة للغاية لقد توهم أن العملية التي أجريت له قد نجحت ، بينما الأمر كان على عكس ذلك تماما ، فلقد فتحوا ثم أغلقوا ، بعد أن تبين للأطباء أن المرض قد وصل إلى العظام .. وعاوده المرض للمرة الأخيرة وكان لايريد في هذه المرة أن يسافر إلى لندن.. عارض السفر أكثر من مرة ، ولكنه تحت إلحاح الأصدقاء والأهل وافق على السفر ، وعندما يئس الأطباء من العلاج ، وطلبوا منه العودة ، أيقن صالح من أن النهاية قد اقتربت ، ورغم تيقنه هذا كان يبتسم لكل من يلقاه كتب إلى أصدقائه أكثر من عشرة خطابات يبشرهم فيها بأن كل شيء على مايرام ، وفي الصباح طلب من شريكة حياته التي رافقته في رحلة الحياة حلوها ومرها أكثر من ثلاثين عاما ، أن

تعطيه الخطابات ليكتب علي غلاف كل واحد منها تاريخ عودته.

وفي مستشفاه بلندن ، لم تتخل عنه موهبة الشاعر ، وعلى ورقة صغيرة ، تناول القلم وكتب أبياتا قصيرة لاتحمل إلا الآلم والمعاناة ، الانفعال هو انفعال صالح ، ولكن الخط لم يكن أبدا خط صالح .. لقد كان القلم يرتعش في يده وهو يسطر خلجات قلبه

ذبلت نضـــــــرتي وجف الأهاب
وتوالى إلى الخـــتـــام الكتـــاب
من مـــــســـيني على ثلاثة آلام
ســـقـــام ، ووحـــدة ، واغـــتـــراب
مـــحنة جاوزت من العـــمـــر عـــامـــا
فـــالى أين ينتـــهي بي العـــذاب
مـــــرض تفـــــزع المســـــامع منه
وتشـــيب الـــردى وتعـــنو الرقـــاب
فـــهـــو الأخطبوط ينهش في الصـــدر
كـــمـــا تنهش العظـــام الذئـــاب
أنا في غـــرفـــة يضج بها الصـــمت
وينعى أركـــانهـــا الاكـــتـــئـــاب

ويقول أيضا فى نفس الصفحة

ايـــــه يا لنـــدن الكئيـبـــــة

أين منى قـــاهرة الحب والأحـبـــاب

ويعود صالح إلى قاهرة الحب .. شبحا هزيلا ، ضعيفا يعرف أنه لم تبق له فى الحياة إلا أياما معدودة ؟

وألقاه فى المطار وأنا فى طريقى إلى الصين أثر عودته من لندن .. ويقول لى أنها النهاية كما يقول ذلك لكل من يلقاه..

وفي بعض الأحيان كانت تنتابه صحوة الموت فيعود إلى حالته الطبيعية يتحدث بأمل ، ويدخن فى شراهة ، ويأكل بشهية ، ويرفض تناول الدواء ، لأنه قد شفي تماما ثم تعود الأزمة من جديدة ..

وقبيل النهاية بساعات ، يستدعى زوجته المخلصة الوفية «سها» ، وشقيقها كمال يقول كل شىء ، ويكتب كل شىء .. لقـد تعـــود فى كل رحلة من رحـــلاته الطويلة أن يكتب صفحات عما يجب أن يتم فى غيابه ، وها هو ذا في أطول رحلة يصـــر على أن يكتب كل شىء .. ثم تجىء اللحظة الحاسمة .. ينزل الله الصبر على شريكة حياته ، فتقرأ الفاتحة والشهادتين ، وتسبل العينين .. وفجأة تصرخ ابنته

الروحية مني بابا .. بابا .. فيستيقظ من غفوته ويهز رأسه ، كأنما هو في حلم ، وتكون النهاية .

وعزاؤنا في خسارتنا في صالح أنه ترك ثروة خالدة من الشعر سوف تبقى ما بقيت لغة الضاد .. وكان صالح جودت في ملتقى الجزائر ، وهو آخر ملتقى عام ، ألقى به قصيدة من قصائده قد عبر عن أهمية سلاح الشعر في يده فأجاد التعبير عندما قال

الشعر إن فشات يدى أنتهى
حظى من الدنيا فمالى يدان
والله ما لى غير إيقاعه
وسيلة ترجى بها الحسنيان
وهبته لله أرجو به
كرامة العفو ، وظل الأمان
نظمته من وسوسات الحلى
وصغته من حدقات الجمان
وسقته أنشودة للهدى
وصنته من عثرات اللسان
فإن تفجرت مني غضبة
يرضى عليها الله والقبلتان
وفي سبيل الوطن المفتدى

حـسـبـة لله يوم الطعـان
وأن تغـزلت فـلا عن هوى
الناعسـات الناعـمـات اللدان
وإنما تسـبـيـحـة للذى
استودع الحسن وجوه الحسان

رحم الله صالح جودت الشاعر الكبير فإن خسارتنا فيه لا تعوض نحاول أن نفي صالحا بعض حقه علينا فما أكثر ما قدم لبلده الذى كان يعشقه إلى أبعد درجات العشق

وسكتت القيثارة !

فجع الأدباء وأصدقاء الشاعر الكبير صالح جودت عند رحيله فى ٢٣ يونيه ١٩٧٦ فكتب أحد رفاقه في مجلة أبوللو الشاعر عامر محمد بحيرى (١٩١٢-١٩٨٨) تحت عنوان «صالح جودت زميل رحلة الشعر» يقول

«في عام ١٩٣٢ أقامت اللجنة الأدبية لمشروع القرش مسابقة شعرية بين شعراء الشباب في ذلك الوقت للإشادة بما كان يمثله ذلك المشروع من معاني العزة القومية ، والاعتماد على النفس ، والدعوة إلى إقامة بناء الاستقلال الاقتصادي للوطن .

ورصدت اللجنة لهذه المسابقة ثلاث جوائز أو ثلاث ميداليات الأولى ذهبية ، والثانية فضية والثالثة برونزية.. كما

عينت لجنة التحكيم من كبار الأساتذة في ذلك الوقت أيضاً ، أذكر أنه كان بينهم الدكتور محمد حسين هيكل والدكتور طه حسين والأستاذ عباس محمود العقاد والأستاذ توفيق دياب.

ومحصت هذه اللجنة الجليلة ، ما قدم لها من قصائدالشباب التي أرسلت إليها، تمحيصاً شديداً وناهيك بلجنة أدبية تضم أولئك الأساتذة الأعلام وتضع لعملها منهجاً صادقاً في الحكم ، وتحري العدالة المطلقة .

وترقبت النتيجة بفارغ الصبر ، بين مخاوف ورجاء حتى أعلنتها اللجنة الموقرة فقالت في بيانها أنها رأت أن جميع القصائد المقدمة لها لا ترقى إلى مستوى الجائزة الأولى ذات الميدالية الذهبية وأنها منحت بعد ذلك الميدالية الفضية للشاعر الشاب صالح جودت والميدالية البرونزية للشاعر الشاب أيضاً ، كاتب هذة السطور

منذ ذلك الحين عرفت صديقي الشاعر صالح جودت ، وعرفت أنه يسبقني دون شك من حيث الموهبة الشعرية ، ولأمر ما استبعد صالح بعد ذلك هذه القصيدة من نشرها في دواوينه ، التي لم أقرأها وعدها من شعر الشباب الذي لا يرقى إلى مستوى شعره فيما بعد .

أما قصيدتي فبقيت لدي صورة منها أذكر مطلعها وهو

هنئ الشباب بيومه المشهود وقل أعملوا فالنصر غير بعيد
وأقول في ختامها عن مصر :

أبمثل ذلك من خطى وثابة ترقى إلى استقلالها المنشود
لا بالذى يرجى الدعاية غالبا من غير فعل باليدين مقيد !

وفى نفس هذا العام الذى أتحدث عنه وقع حدث أدبى كبير ، فقد ظهرت فى أفق الصحافة الأدبية مجلة خطيرة الشأن ، لموضوعها ، ولاتجاهها ولتوقيت صدورها .. وهى مجلة «أبوللو» التى انشأها المرحوم الدكتور الشاعر أحمد زكى أبو شادي وأمير جماعتها أمير الشعراء أحمد شوقى فى أول جلسة لها في كرمة ابن هانىء ، ثم تولي رئاستها بعد ذلك الشاعر الكبير خليل مطران .. وفى دار هذه المجلة ، وعلى صفحاتها ، وبناء على ما اختط لها صاحبها من سياسة العدل والمساواة وتشجيع المواهب الناشئة ، عرفت كوكبة من شعراء الشباب ، وكان فى مقدمتهم صالح جودت.. لأنه كان أرقهم شاعرية ، وأوفرهم خصوبة ونشاطاً ولم يكن يقل فى ذ لك الزميل المرحوم محمد عبد المعطي الهمشرى ، الذى لازمته . أو زاملته ، عاماً في كلية الآداب .. كان من أخصب أعوامى الشعرية. كما كان منهم الشاعر مختار الوكيل والشاعر حسن كامل الصيرفي وغيرهم وغيرهم

كل هذه المقدمة ضرورية إذا ما أردت التحدث عن صديق العمر ، وزميل رحلة الشعر الذي فقدناه أخيراً ونحن أحوج ما نكون إليه شاعراً موهوباً وإنسانا طيباً وكاتباً وصحفياً وصل إلي الصفوف الأولي بقلمه ، وفكره ووجدانه الوطني الصميم .

وإذا كانت الأيام قد فرقت أحياناً بيني وبين هذه الكوكبة من شعراء الشباب ، كل يسعى في طريقه إلا أن ما كان أحب إلينا أن نجتمع ، وأن نسعد أنفسنا بفرصة قصيرة أو لمحة خاطفة أو تحية عابرة ..

وكان صالح جودت يعمل في الإذاعة عام ١٩٥١ أبان اشتدادا معركة القنال بين جنود الاحتلال وبين رجال الشرطة المصريين ، ومن انضم إليهم من فرق المنتظرين في صفوف جيش التحرير ..

ودعاني صالح جودت مع نخبة من كبار الشعراء يلقون القصائد الوطنية والحماسية في هذه المناسبة وكان يقدم كل ثلاثة من الشعراء في حلقة لمدة نصف ساعة وقد وضعني في حلقة مع استاذين كبيرين هما الشاعر الكبير أحمد رامي والشاعر الزميل محمود حسن اسماعيل .. وكانت هذه لفتة من صديقي مقدم البرنامج تدل على أنه يعرف الأقدار ويحفظ عهد الأصدقاء

وتمضي الحياة من بعد بكثير من ألوانها المبهجة والمحزنة.
ولكن صالحاً يتخذ منها دائما ذلك اللون المبهج .. فهو شاعر الغناء ، وشاعر الغزل ، وصاحب الابتسامة والنكتة ، والصديق الوفي الكريم .

ونلتقي بعد ذلك في لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، منذ أوائل الستينيات وقد سبقني كعادته في دخول اللجنة كما شاركني ، أو لعل الصحيح أنه كان لي شرف مشاركته في جائزة شعرية ابتدعت باسم جائزة شوقي ، عن صديق عمره الشاعر «الهمشري» فكما حصلنا في مطلع حياتنا معاً على جائزة مشروع القرش . فقد حصلنا كذلك معا في أخريات أيامنا على جائزة أمير الشعراء أحمد شوقي

على أن الشاعر السابق يبقى دائماً مفرداً سباقاً . فقد حصل صالح بحق على جائزة الدولة التشجيعية في الشعر عام ١٩٥٨ ثم رشح لجائزة الدولة التقديرية بحق أيضاً في العام الماضي ، ولولا أن عاجله القدر المحتوم والأجل المكتوب لكانت من نصيبه هذا العام ، وبذلك كان يتوج عمل شاعر كبير وكاتب قدير ويمنح اسم الشاعر الراحل . بعد أن ذهب بشخصه . ويبقى بيننا بشعره الخالد وذكره الجميل



وتمر عدة سنوات على رحيل صالح جودت ، ويحاول أرباب الشعر الحديث واليساريون إسدال أستار النسيان والتجاهل والصمت حيال هذا العلم الشامخ ، لكن صديقه الأديب كمال النجمي يتناول سيرته وشعره بعد تسع سنوات من رحيله ، فماذا قال عنه (١) «هل من كلمة تقال عن الشاعر صالح جودت – رحمه الله – وقد مضى على مفارقته الدنيا أكثر من تسع سنوات . فتوارى اسمه . وهدأت الرياح التى أثارها طوال حياته فى وجوه شانئيه ومحبيه جميعاً ، وأقصر عن الكلام فيه من كان يراه شاعراً لا يشق له غبار ، وانصرف عن ذكره من كان يراه شاعراً كثير الإغارة ، يأخذ من هذا الشاعر ومن ذاك ثم يدعى على الشعراء الزعامة والإمارة بدون جدارة !

«كان صالح جودت طفلاً كبيراً اجتمعت فيه براءة الأطفال وعنفهم وطيشهم وحبهم لأنفسهم . عاش حياة مفعمة شعراً لم ينقض يوم منها بدون أن ينظم شعراً ، أو يحياه . أو يصحب واحداً من أهله أو واحدة . وكان فى كل أحواله لا يفارق طفولته بريئاً عنيفاً طياشاً . وإن كان من أكثر الناس معرفة بالجانب العملى من الحياة فهو فى هذا الجانب خراج ولاج لا يضيع من يده شىء ! ..

---

(١) المصور يونية ١٩٨٥.

إلا أنه لم يثبت قط على خصومة مع أنه ثبت على صداقات كثيرة أشهرها صداقته للشاعر أحمد رامي . بالرغم مما وضعه رامي من عراقيل وحواجز تمنع شعراء عصره من تقديم أشعارهم إلى أم كلثوم رجاء أن تغنيها كما تغني شعر رامي وكان من هؤلاء الشعراء المتعطشين إلى سماع أشعارهم بصوت أم كلثوم . أصدق أصدقاء رامي وأكثرهم دفاعاً عنه صالح جودت !

ولم تكن غيرة صالح ممن يعتبرهم منافسين له في الشعر أقل حدة من غيرة رامي ممن يحاولون - من وراء ظهره - تقديم أشعارهم إلى أم كلثوم إلا أن رامي كان يغار فيما يخص أم كلثوم فقط ثم يفتح صدره على مصراعيه لجميع الشعراء بعيداً عن هذا «المسرح الفني» الذي يتولى سدانته !

يذكرني هذا بأول مرة رأيت فيها صالح جودت . وكنت قبلها أقر أشعره في الصحف منذ سنة ١٩٣٥ ، بل أذكر أول قصيدة قرأتها من شعره في مجلة «أبو الهول» عن «العيون الزرق والشعر الذهب» ولقد لبث عمره مفتوناً بهذا اللون من الجمال

الذكريات عن صالح جودت كثيرة لكن المهم أن نتكلم عن شعره بما ينصفه ولا يسلكه في الخاملين والعاجزين ، بعد أن

عاش حياته كلها شاعراً مرموقاً على اختلاف الناس في النظر إلى شعره وشاعريته !..

ربما جني عليه أنه انحاز إلى فكر ا جتماعي أو سياسي أو أدبي لم تكن تنحاز إليه غالبية نقاد الشعر والأدب في مصر خلال الخمسينيات والستينيات ، فضلاً عن سبعينيات القرن العشرين. التي عاش صالح جودت إلى ما بعد منتصفها يخوض معارك صحفية عنيفة كأنه كان يحاول الثأر ممن تجاهلوه طويلاً وأقاموا لشعره ميزاناً اجتماعيا وسياسياً خدش جوهر شاعريته - وهو في رأينا جوهر صحيح - وتحيف فنه الشعري الرقيق المنغوم المتميز ولم يكن يقبل هدنة في هذا المجال ..

لكن المرء لا يفلت من موقفه في حياته ، ولا يصح في الذهن أن يقف أحد موقفاً لا حساب عليه ، خيراً كان أو شراً .. وهذا ما حدث لصالح جودت ، فقد أضاعه عند نقاد عصره. مواقفه التي أوجزنا الإشارة إليها ، وغلبه النقاد وأهملوه وشوهوا صورته .. وكانت بضاعته الفكرية طيبة وكان يقرأ بالعربية والإنجليزية والفرنسية ، فلم يثبت وسط المعمعة وخلال زحام «المدارس» التي استولت على ساحة الأدب والشعر .. وحاول برغم ذلك أن يعد نفسه في الثوريين وأن يقيم الأدلة على ثوريته ، لكن خصومه نزعوا عنه هذا اللقب بقسوة بالغة !

والمفارقة في هذا ، أن صالح جودت هو حفيد ثائر تركي شديد المراس اسمه اسماعيل جودت بك ، نجل جودت باشا.. كان من أحرار العثمانيين .. أديباً خطيباً مفوها ، ينظم الشعر بالتركية والفرنسية.. اضطهده سلاطين آل عثمان فلجأ إلى مصر وشارك في الثورة العرابية فقبض عليه الانجليز وأخرجوه منها !..

وتاريخ صالح جودت الشعري بدأ في مسارح عماد الدين وروض الفرج بالقاهرة ، ولهذا ظل «الفن» يلازمه إلى آخر حياته

وبسبب علاقاته الحميمة بالوسط الفني ، أخرجته الحكومة من وظيفته بالإذاعة سنة ١٩٥٢ كما أخرجت صديقه الشاعر ابراهيم ناجي من وظيفته في وزارة الأوقاف

وإذا كان صالح قد بدأ حياته شاعراً رومانسياً أقرب إلى تهافت التعبير منه إلى جزالته، فإنه اتسع بعد ذلك في الإطلاع على الشعر العربي واللغة العربية ، فطرأ على شعره الكثير من الرصانة ، وداخلته مائية الشعر الكلاسيكي الحديث كما نراها في شعر شوقي .. وقد تعلق صالح جودت بشوقي، فجرى في آثاره ، وافتتن بأسلوبه، حتى اختلطت الأنغام الرومانسية في شعره بالأنغام الكلاسيكية وصار أعرف لغة مما كان في نشأته، ولكن جوهر شعره بقي

رومانسياً حالماً مشبوباً ، يستمد جاذبيته من صدق تجاربه في الحب ، وما أكثرها

والشعر الرومانسي المصري لا تكتمل صورته إذا استبعدنا منها الخطوط المتميزة الزاهية الألوان التي أضافها صالح جودت إلى هذه الصورة ، وأودعها دواوينه الستة التي أصدرها بين سنتي ١٩٣٤ و١٩٧٥

وكلمتنا هذه مجرد إشارة إلى ذكراه وإيماءة بالتحية إلى شعره وشاعريته .. وعسى أن يتاح لنا أن نكتب عنه يوماً ما نضع به حقه في نصابه ، فلا يضيع بين الذاكرين والناكرين.. ولا يضيع صوته واسمه بعد أن غنى للناس ما غنى طوال خمسين عاماً كما ضاع اسم المطرب «كثير» مطرب خمارويه الخاص الذي وضع لحن «قطرالندى» منذ ألف سنة!

وبين المطرب «كثير» ملحن أغاني قطر الندى ، وبين صالح جودت مشابه كثيرة .. والكلام ذو شجون ، ولنا عودة ، وقد أدركنا الصباح ، ولابد لنا من السكوت عن الكلام المباح!

★★★

ويتناول صديقه الشاعر «مصطفى عبدالرحمن (١٩١٥-١٩٩٢)» لمحات من حياته وبشعره ، فيقول:

صالح جودت صاحب ديوان الحب الذى عشنا أصالة شاعريته ، ورقة أسلوبه ، وروعة خياله ، وعذوبة موسيقاه فغنينا له ومعه أجمل أناشيد الحياة

بلقيس أني قد سعيت ... إلى حماك وخضت بحره
وحملت وعثاء الطريق ... إلى مزارك غير مكره
أتنسم المأثور من ماضيك ... أواستاف عطره
وبلغت شرفة (مأرب) ... استل من ذكراك عبره
وأقول أين الجنتان ... وأين سدك والبحيره

ويطير البلبل الصداح من سماء (سبأ) ليحلق فى سماء (الفيحاء) ويغيب عن سماء (الفيحاء) لينشدنا فى سماء (تونس الخضراء) أجمل أغاني الحب والوفاء

يا تونس الخضراء يا كنفا ... للفن ، والأنغام ، والسحر
يا بلدة (الشابي) وهو لنا ... خدن الشباب وزهرة العمر
وربى (أبوللو) النضر تجمعنا ... حول الشباب وعهده النضر
سأعود يا خضراء بعد غد ... من وكرك الحاني إلى وكري
سأعود فى جنبي أحمل ... ما حملتنيه فى هوى مصر
سأعود من وطني إلى وطني ... وكلاهما بصبابتي يغري

وجودت الذى غنى على مزهر الحرية هذا الغناء العذب هو جودت أحد رواد مدرسة «أبوللو» التي من أعلامهما أبو شادي، وناجي، وعلي محمود طه ، ومخيمر ، ومحمودحسن

إسماعيل وحسن كامل الصيرفي ، والعوضي الوكيل ، ومختار الوكيل ، والهمشري ، والشابي ، والتيجاني.

هؤلاء الذين صاغوا لنا أناشيدهم الخالدة خلود الأبد والتي يتسع فيها الخيال اتساع اللانهاية ويعمق فيها الفكر عميق الأزل ، وحلقوا بنا في سموات من النور والجمال برسالتهم التي حملت للناس رسالة الشعر الجديد والتي نلتمس فيها تلك الروح الغلابة المتألقة كالصباح ، المتوهجة كحرارة الشمس ، المتطلعة إلي أعلي درجات الكمال

لقد تحرروا من القيود التقليدية ، وانطلقوا على سجيته يعبرون عن ذواتهم في حرية ، وبساطة في عالم من الخيال بعيدا عن الواقع .. في جنة ظليلة قطوفها دانية لهم هذا الخيال الرفاف بأجنحة من نور

لقد ارتفعوا بهذا الخيال إلى المثل العليا للانسانية وأسعدوا الناس بما قدموه من نفثات صدورهم ، ونبضات قلوبهم من معان رائعات ، مشرقات .

إن جودت يؤكد بعمق معناه ، ودقة تصويره ، وقوة تعبيره وصدق إحساسه وحلاوة موسيقاه أن الربيع هو ربيع القلب الذي يحبونا كما يقول العقاد بخصب أغنى وأوفر من ذلك الخصب الذي ينبت منه الشجر ويزكو فيه الثمر ويصب من

حياه كئوسا دهاقا كالتي يسكر بها الطير فيصدح ، ويحتسي منها النسيم فيخفق ويعب منها الفضاء فيصفو ويتألق .

أن الربيع بكل ما فيه من ألق وإشراق وكل ما فيه من فتنة لم تهز مواكبه قلب شاعرنا جودت لقد نسيه موعد اللقيا مع الحب ، والأمل ، والنور الذي يطالعه في مشرق كل ربيع

ذلك هو شاعر الرومانسية صالح جودت الذي غني للحب أحلى هتفات القلب

★★★

وشعر الحب عند جودت مزيج من هتفات الروح ، ونداء المادة تمتزج نظرة الحرمان والتقديس للمرأة فيه بالنظرة المادية التي تعبر عن طلب اللذة والاستمتاع بالحياة

فهو حينا مع رومانسية ناجي والشابي بما فيها من عذاب وحرمان ، ودموع ويأس .. وحينا آخر مع عمر بن أبي ربيعة في دنيا المادة التي تدعوه أن يأخذ حظه من الحياة الدنيا فالحياة فيها الحب والمرارة ودنيا من السحر زاخرة بألوان التمتع من الجمال فهو لا يستطيع أن يعصي للحب أمرا ، لأنه أضعف من القدر بأسا ، وأكرم في صبوته نفسا فكيف ينسى وليس بيده أن ينسى

سوف أنساك .. ولكن كيف أنسى

وأنا في صبوتي أكرم نفسا

وأنا أضـــعف من غــدرك بأســا

ليــتنى أنسى .. ولكن كـيف أنسى

هذا هو شاعر الرومانسية صالح جودت الشاعر العاطفى الرقيق شاعر الحب الذى مـلأ القلوب والأسماع بأغاريده العذبة الرقيقة ... شاعر الوطنية والقومية العربية الذى غنى للحرية أخلد أناشيدها

★★★

ويقول عبدالمنعم شميس عن صالح جودت

«اشتغل صالح جودت بالصحافة لينفق على الشعر

كان شاعرا فى حركته ، ونظرته ، همسته ، وكلمته ، ولم أر شاعرا يعيش الليل مثله ، ومثل كامل الشناوى . ولكن ليالى صالح جودت تختلف عن ليالى كامل الشناوى فقد كان صالح يحب الحياة فى الليل ، بينما كان كامل الشناوى يخاف من الموت فى الليل .

أما ابراهيم ناجى فقد عاش الليل أيضا . وكنت أراه مثل الطائر الحزين ، لا ينيمــه الكأس ولا يوقظه ، وكان يقول الشـعر وهو بين اليقظة والنوم ، حتى أصبحت حياته كلها شعرا يكتبه على علب السجاير ، وعلى الورق الذى يمسح به يديه . حتى أنه كتب الشعر بأقلام الحواجب التى تستخدمها السيدات

بدأ صالح يقول الشعر عام ١٩٣٢ ، وهو طالب في كلية التجارة ، ولما يبلغ العشرين من عمره ، وانضم إلى مدرسة (أبو للو) التي دعانا إليها الدكتور أحمد زكى أبو شادى ، وكان زعيمها أحمد زكي أبو شادي ، وكان زعيمها أحمد شوقي الذي كان له الأثر الأول في شاعريته ، لأن شوقي - كما يقول صالح جودت - كان موسيقيا يعزف على أوتار القوافي عزفا لم تسم إليه ريشة ابن الرومي ولا المتنبي ولذلك حفظ شعره عن ظهر قلب ، ولم تتغير عقيدته في شوقي حتى آخر لحظات حياته

وأصبح الشاب ابن العشرين عضوا في مجلس إدارة جماعة (أبوللو) ، يجلس إلى جانب شوقي وخليل مطران وابراهيم ناجي وعلي محمود طه وغيرهم . ووجد نفسه وسط هؤلاء الأعلام الذين كان يقرأ لهم ويسمع عنهم ، ويخيل له أنهم عمالقة جبابرة لا يدنو منهم أحد

عندما وجد صالح جودت نفسه صاحبا لهؤلاء العمالقة ، قريبا إلى قلوبهم ، يحدثهم ويحدثونه ، ويقرأون له ويمتدحونه، أوشك أن يملكه الزهو والغرور

لقد نشرت له مجلة (أبوللو) في يناير ١٩٣٤ قصيدة (ظمآن) ، التي يقول في مطلعها

أجل ظمـآن يا ليلي ومـاء الحب في نهـرك
خـذيني في ذراعـيك وضـمـيني إلي صـدرك

ثم تخرج الشاعر الشاب في كلية التجارة ، واشتغل في بنك مـصـر ، ثم عمل في جريدة الأهرام ، وأصبح رئيسـا لتحرير مجلة (الراديو المصرى) التى كانت تصدرها إذاعة القاهرة . وظل يشتغل في الصحافة حتي نهاية حياته حيث كان محررا لمجلة المصور ، وكانت له على صفحاتها المقالات الرنانة

لقد قال صالح جودت عن نفسه

«لست نادما على السنوات التي تعثرت فـيـهـا - خـلال الدراسة الجامعية - لأننى أفدت بها في مدرسة أبوللو دروسا لم تزل عندى أعز من مدرسة الجامعة .. ولا أقول أعز وحسب ، بل هي في الواقع أجدى وأمتع ، فقد أعدتني - بعد تخرجي في كلية التجارة - لطريق ألطف من التجارة - وأجمل من السياسة هو طريق القلم الذى أعيش له ومنه عيشة راضية بحمد الله».

ولكن .. ماذا بقي من صالح جودت ؟

لقد كتب عشرات المقالات وألف رواية طويلة سـماها (عـودى إلى البيت) . كما أصدر مجموعتين من القصص القصيرة هي في فندق الله وكلنا خطايا

ولكن الذى بقى من صالح جودت هو الشعر ، الذى أنفق عليه كل ما يكسبه في الكتابة وهو الصحفى اللامع ، والكاتب المبدع

كان أكثر الشعر الذى كتبه صالح أغنيات مازالت تملأ أسماعنا. ومنه ما كتبه بالفصحى ، ومنه ماكتبه باللهجة العامية المصرية . كما نشرت له قصائد كثيرة ولم يهتم بجمع شعره فقد نشر ديوانا صغيرا عام ١٩٥٧ سماه (ليالى الهرم) لأنه كان من عشاق الهرم .

كما كان آخر من جلس على رصيف وكان يستلهم عراقة مصر وحضارتها ، عندما يزيد كتابة الشعر ، فيذهب إلى فندق مينا هاوس

ويجلس إلى مائدة فى شرفته ليكتب قصائده وأغانيه، فهو شاعر الهرم ، كما أحببت أن اسميه لك .

ولم يفهم كثيرون لماذا كان صالح جودت ، يحارب على صفحات مجلة المصور الذين يتطاولون على مصر ، أو يحاولون إقحام المذاهب المستوردة على عقيدتها . وهو رجل الفكر، وليس رجعيا ولا متجمدا، ولكن هدفه لم يكن أى مذهب، بل كان شديد الحرص على سلامة مصر وكرامتها وعزتها. وكان يرى فيها القدرة الدائمة على إعادة صنع الحياة والحضارة.

ليس للمصري أن يعتنق مذهبا غير مصر، أو أن يتلون بلون غير لون مصر. وهو يقول في قصيدته..ليالي الهرم:

ياحبيبي هذه الربوة لغز العالمين

رقية من سحر فرعون لصد الفاتحين

أين ملك الفرس والرومان والفتح المبين؟

أين نابليون؟هل ردته مرفوع الجبين؟

★★★

هذه القمة أم القمم

كم طوت ثورتها من أمم

وشدا النيل بحلو النغم

زالت الاعلام إلا علمي

كان شاعرا شديد الاعتزاز بأرضه ووطنه

أنا ابن شعب يتحدى الزمنا

ابن الروابي الخضر من أرض (منا)

المجد كان لجدودي وثنا

ولم أزل بما ورثت مؤمنا

أنا إذا ناديت للنجم رنا

أنا إذا أومأت للبدر دنا

ولكن هذا الاعتزاز له أسبابه.التي جعلت صالح جودت

يتغنى لمصر في قصائده ومقطوعاته الغنائية، فقد كان التصاقه بالهرم شيئا يحير الفكر فاذا أحس برغبته في كتابة الشعر، أسرع بسيارته إلى مكانه المفضل عند سفح الهرم، فيكتب.

وعندما تطول قامة الشاعر لتطاول الهرم، فأن اعتزازه يصبح مفهوما في مقاييس الحضارات والثقافات والتواريخ والسياسات.

كانت القاهرة كلها تضيق به، ولايحب أن يراها الا من هناك، من أعلي قممها.

هذه القمة أم القمم

كم طوت ثورتها عن أمم

وعندما اشتغل صالح جودت بالصحافة، وكتب المقالات، سيطرت عليه شخصية الشاعر. وكان مؤمنا بأنه ابن شعب يتحدى الزمن. وكانت الروح المصرية تملأ كيان شعره، وهي أخص خصائصه كشاعر

ولذلك كان شديد الاندفاع في كتاباته، عندما يحس بأن أحدا يحاول أن يجرح مصر، بأي صورة من الصور وتعرض بسبب ذلك لهجوم كثير، ولكنه كان المنتصر دائما لأنه كان مخلصا لمصر. شديد الايمان بها، ولكن المقالات السياسية مثل السجاير تشعل ثم تطفئ، وقد اشتغل عمالقة

الجيل الماضى من الكتاب والشعراء بالسياسة، ولكن الذى بقى من طه حسين والعقاد والمازني والدكتور هيكل هو هذا الفن الرفيع الذى نسميه الأدب.

الشاعر صالح جودت من أعظم أصحاب الموسيقى فى شعرنا الحديث، وقد كان صديقا صدوقا ملازما للشاعر أحمد رامى، وكانا من أنغام الليالى الساهرة في القاهرة.

وأحمد رامي هو أحد صناع الأنغام السحرية، للقيثارة الذهبية التي لا يجود بها الزمان..أم كلثوم.

أما صالح فقد كتب لأم كلثوم الثلاثية المقدسة. وكان شاعر الهرم وليالي القاهرة مؤمنا شديد الايمان، وكان مسلما متجردا ولكن كثيرين لم يفهموا روح الشاعر المسلم. ورأوا في لياليه وسهراته صورة أخرى لا تمثل حقيقته

كان في قلب صالح جودت ايمان عامر بلا حدود أو قيود.

الشاعر الذى تغزل بكل شئ حتى سيقان امرأة فوق كرسى البار. وكانت لياليه انتقالا من كأس إلى كأس، ومن شفة إلى شفة، أو من مكان إلى مكان. كانت تشغله فكرة الوجود والوحدانية. وسط كل هذا الموج الذهبي المتلألئ من ضحكات الحسان.

ان اسلاميات صالح جودت من أعاجيب الزمان وهو شاعر الثلاثية المقدسة التى تغنت بها أم كلثوم.

المؤمن بشفتيه يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله،
والمؤمن بقلبه يرى محمدا رسول الله.

★★★

وصالح من أصحاب الرؤية الثاقبة النافذة.

لقيته مصادفة في ميدان سليمان باشا ، وكنت قد كتبت مقالا عن رأى بعض المستشرقين المنصفين للاسلام، فوقف، وقال لى أن هؤلاء الذين ذكرتهم من المؤمنين. وقلت له أنني سمعت أحدهم يقول لى اشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فأطرق الشاعر فى خشية من ربه، وقال في صوت متهدج: لا إله إلا الله.. محمد رسول الله.

في أعداد مجلة الهلال التي أصدرها صالح جودت عدد خاص عن القرآن . ولو طال به الزمان لأصدر أعدادا عن أخطر موضوعات الاسلام.

كان صالح جودت ظاهرة من الظواهر الحضارية في فكر جيلنا . ولكن شاعريته كانت أقوى من نثريته، ولا غرابة في ذلك لأن الشعر أعلى الفنون وأرقاها وأعظمها ، ومن منحه الله هذه المنحة فهو الأمير. ولو أن الدنيا أسعفت صالح جودت لأصبح أمير شعراء. ولكنه كما قلت لك، وكما قال هو عن

نفسه، كان يتكسب من الصحافة لينفق على الشعر، ولكنه لم يتكسب بالشعر.

شقي بين المطابع والصحف والمجلات ليعيش حياة الكرماء. وأنفق ثمن الشقاء طوال نهاره في ليلة أو لحظة، ليكتب قصيدة.

كان يخاف الفقر، فأنفق عمره كله مستورا، يعمل بالقلم والورق ليرد عن نفسه هذا الغول الرهيب الذي يحطم حياة الانسان.. الفقر.

وكان لا يملك الغنى، فكتب سطور الذهب من دمه الذي حوله إلى ذهب وكانت المأساة أنه يبحث في كل صباح عن دم في عروقه ليحوله إلى ذهب.

شوقي هو مثله الأعلى.

ولكن صالح جودت لم يستطع الوصول إلى شوقي، لأن الزمان قد اختلف

لا ذهب ينير تحت قدمي الشاعر، ولا ذهب بين يديه.

أخذت السينما من الشاعر أحلى أغانيه، وأخذ الغناء من راحتيه أعذب الألحان ..ثم ضاع الشاعر، وبقيت كلمات مكتوبة على الورق هي أعز الكلمات.

وكان واحدا من ملوك الكلمة ولكن بلا عرش يجلس عليه.

لأن جيله كان فيه ملوك بلا عروش . وآخر من جلس على عرش الكلمة وهو الأمير أحمد شوقي .. كما كان من جلس على رصف الكلمة يدخن الشيشة ويكركر، ويقول النكت هو أمير شعراء الرصيف حافظ ابراهيم.

وعارض صالح جودت مذاهب الشعر الجديد لا بسبب جموده لكن لسبب آخر عرفه، وأتقنه، وتعلمه وهو موسيقى الشعر.

ولم يكن صالح جاهلا بأنماط الشعر الأوروبي بل كان في هوائه، مثل كل أبناء جماعة أبوللو، ولكن غرامة بموسيقى الشعر العربي، ودراسته لهذه الموسيقى، وخبرته فيها، كانت تدفعه إلى مقاومة تيارات الانحراف، التي تدعي لنفسها التجديد.

الشعر الانجليزي له نغم وموسيقى

الشعر الالماني له نغم وموسيقى

الشعر العربي له نغم وموسيقى

ت.س..اليوت لم يجدد في الشعر الانجليزي بعيدا عن شكسبير.

لماذا تريدني أنا العربي أن أجدد شعري بعيدا عن امرئ القيس أو عن شوقي؟

الشاعر هو الشاعر..لايبيع نفسه لفكر مهجور، ولا يرضى

لفنه أن يصبح مسخا بين الفنون.

أن أشكال الشعر في كل لغة من لغات الدنيا، لا تبتعد عن أصولها وجذورها، ومنابتها. الشعر هو لغة الموسيقى فكيف تصبح الموسيقى الهندية هولندية؟ومقامات الشعر وموسيقاه، مثل مقامات الموسيقى وموسيقاها.

ربع تون ..ونصف تون..وتفعيلة شعر..والقفلة أو القافية.

خصائص ومميزات الفن الأسمى.. فن الكلمة والنغمة.

والشعر العربي مثل الموسيقى العربية، وهما في بحر واحد.

وكان صالح جودت يدافع عن الشعر العربي مثل دفاع عبد الوهاب عن الموسيقى العربية.

التجديد..نعم..بشرط بقاء النغم.

والتبديد ..لا لأنني لا أريد أن أفقد النغم.

وكتب صالح مقطوعات على نظم الموشحات الأندلسية، ومنها مقطوعة يقول فيها:

ضحيت بالعمـــر	للبيض والشـــقر
وكنـــت لا أدرى	أنـــى ســـألقاك
يافتنـــة الســـمر	بلـــونك الخمـــرى
قد حيـرت أمـــرى	في الحـــب عينـــاك
ياهـــالة البـــدر	ولمحـــة الفجـــر
النيـــل لا يجـــرى	إلا ليـــــرعاك

وكان فى استطاعة صالح جودت الشاعر تقديم نماذج كثيرة وجديدة من الشعر المتجدد، على الميزان والموسيقى، ولكن حياته الخاطفة كانت أسرع من خطواته على طريق الفن.

سرقته السينما والاذاعة. وأبعدته في غالب الأحيان عن طريق الشعر.

قليل قليل من كلماته لأغنيات الاذاعة والسينما كان من الشعر.

لكنه على كل حال كان شمعة مضيئة متوهجة فوق عرش الشعر المصرى الحديث

النغم الحلو .واللفظ العذب.. والشاعرية المتدفقة..

ولكن صالح جودت لم يكتب القصيدة الخارقة.

وأأسفاه على شاعر ضاع مع الأيام.. وضيعته الأيام.. فلم يكتب القصائد الخارقة (١).

كان صالح جودت أحد شعراء مدرسة (أبوللو) الظاهرين، وكان على رأس هذه المدرسة أمير الشعراء شوقى، ومن أعلامها خليل مطران، ومن أبنائها الدكتور ابراهيم ناجى وعلى محمود طه والشاعر الذى ذهب فى عز شبابه: محمد الهمشرى، وقد التقى صالح جودت بهؤلاء الأبناء الثلاثة لمدرسة (أبوللو) فى المنصورة ، وتقاربت أرواحهم

---

(١) عبدالمنعم شميس الجديد/ أول أغسطس ١٩٨٤

ومشاعرهم،حتى أصبح التمييز بين أشعارهم صعبا إلا في المشهور منه ، مثل (الجندول) لعلي محمود طه أو (الأطلال) لابراهيم ناجي.

عرفت ناجي وعرفت صالح جودت معرفة شخصية، ولفت نظري أنهما كانا مشتركين في خصائص واحدة، وهما من أبناء الليل، لا يأويان إلى مضاجعهما إلا مع أبي نواس حين يحسب الديك حمارا كما قال في شعره، وهي قصة من لطائف قصص الشعر والشعراء. فقد كان أبو نواس يبحث عن حماره ليعود إلى داره عندما يسمع أذان الديك في الفجر.

كان ناجي وصالح جودت في هدوء نفس وابتسام دائم في ظاهر أمرهما، وكانت البراكين والزلازل تتفجر وتتصدع داخل قلبيهما، وكانت الاغراءات الجمالية لهما مما يثير الشعر، حتى لا يمل الجليس مجلس الواحد منهما ولو امتد إلى مطلع الشمس.

لم تكن فيهما ليالي الأنس والفكاهة عند كامل الشناوي الذي يسرح بأهل المجلس في المشارق والمغارب، ويأتي من العجائب ما ينسيهم أنفسهم حتى تشرق الشمس.

لكن صالح جودت كانت له خصائص أخرى تجذبه إليك، حتى لا تستطيع مفارقته، وأهمها طيب الحديث، ودماثة

الخلق، وحلو الغزل مما يأسر ولا يجرح، فقد كان بطبعه شاعرا حتى صوته الرقيق الهامس، ونظرته الوالهة العاشقة.

لم تنج سيدة في مجالس الليل المؤنسة من غزله، فإن لم تسعفه العينان تغزل في الشفتين.. وكان في كل ذلك ظريفا لطيفا قاهريا رغم أرومته التركية التى انصهرت وتحللت تحت شمس مصر، كما حدث لغيره من شعراء مصر: البارودي وشوقي وحسين شفيق المصرى وغيرهم.

وكان أحمد رامي يسهر أحيانا فى تلك الليالى، فتكتمل بذلك السهرة، فقد كان الشاعران متقاربين من ناحية دفء الصداقة، لا من ناحية وحدة الشعور، لأن صالح جودت كان أقرب إلى ابراهيم ناجي من ناحية الشعور والوجدان. وقد تولى جمع ديوان ناجي بعد وفاته، ولم يجد هو – أى صالح جودت– من يجمع شعره المبعثر حتى الآن.

إن ديوان (ليالى الهرم) الذي اهداه لى فى نوفمبر ١٩٥٧، هو ديوان شعر صغير لا يضم الا القدر الضئيل من قصائد صالح جودت وأغانيه المشهورة. وهذه وحدها من أعاجيب الأدب المصري الحديث.

ومع ذلك فان المثل الأعلى فى التعبير الشعرى الموسيقى عند صالح جودت هو أحمد شوقى، وكان صالح –رحمه الله– هو الابن الرومانسى لهذا الوالد الكلاسيكى الشهير..

صحيح أن شعر شوقي لم يخل من نفحات رومانسية بديعة، ولكنها كانت امتداداً مصرياً عصرياً لرومانسية شعراء بغداد في العصر العباسي الأول وبعض العصر الثاني..

وبين رومانسية الشعر الأوربي، ورومانسية الشعر العربي التي بدأت في الواقع مبكرة جداً -قبل ألف سنة- فروق واضحة، لا يجعلها النقاد في اعتبارهم.

ولا مجال هنا للإفاضة في هذه الحكاية، فنجتزئ بالاشارة إلى أن صالح جودت بدأت رومانسيته أوربية الطابع، وكانت لغته لم تنضج بعد، فلما أنضج لغته على نار شوقي الكلاسيكية انتقل إليه تكنيك التعبير الكلاسيكي في الكثير من شعره، وانتقلت إليه أيضاً تقاليد «العمود» بكل وقارها..

وكان صالح جودت منذ الثلاثينات معروفاً بين الشعراء المصريين الرومانسيين ومن هؤلاء علي محمود طه وإبراهيم ناجي ومحمد عبدالمعطي الهمشري وأحمد فتحي وكامل الشناوي.. وقد أصدر صالح جودت كتاباً عن هؤلاء الشعراء ومعاصريهم سماه «بلابل من الشرق».

وليست هذه العجالة إلا قليلاً مما يمكن أن يكتب عن هذه الحياة القوية الصاخبة السعيدة المتألمة التي كان اسمها صالح جودت.

ولقد مشينا خلف نعشه منذ أيام في قيظ يونيو، والظل في الشارع ساخن شاحب منسحب إلى جدران البيوت، منكمش بعضه في بعض كأنه متهيب للموكب الحزين.

وتذكرت عندئذ أبياتاً قلتها في شاعر سبق صالح جودت إلى الدار الآخرة هو كامل الشناوي، أخذت تلح على ذاكرتي برغم مضي عشر سنوات عليها:

فإن تهجر الدنيا فما في حرورها
ولا ظلها إلا قليل بقاء
غضارة أحلام الشباب وطيبها
ورونق عهد الصحبة الندماء

وتبقى دائماً رحمة ربك، طيف حب وحنان يمد جناحيه على الشعراء، كما يمدها على كل من انبعث في هذه الدنيا الفانية إنساناً سوياً مجبولاً من صلصال كالفخار يزيد نضجه بمر السنين، ولكن السنين تنتقصه بالهرم والألم، ثم يمضي إلى المجهول.

وهز رحيل شاعر الحب والمحبة صديقه وزميله الكاتب الصحفي «فوميل لبيب» فكتب خاطرة تحت عنوان «ونحن نداماك ننتظر» يقول فيها (١) .

لا تقولوا غداً فعمري قليل
هذه اليأس والعناء الطويل

لست أخشى الردى فعمري هباء
لم ينور حماى منه فستيل
وإذا العمر لم ينور حماد
فهو مهما يطل مداه ضئيل

هذا ماقاله عزيزنا الذي اختطفه الموت منا.. قاله منذ سنوات وعاش العمر كما كان يرى بالبصيرة شمعته وهي تنطفيء.. عاشه سباقاً عامر النهار صاحب الشعر عاش للناس وبالناس، ولم يكن يخفف عنه إلا أن يتحلقوا حول فراشه.. يسمع منهم ويروى لهم.. فإذا أشفقوا عليه لمعت في مآقيه الدموع.. كان يرفض أن يخضع لوهن المرض أو يستسلم لقسوة الداء العضال الذي حار فيه الأطباء عامين كاملين التقيت به في نهاية الخريف الماضي في لندن فإذا بالطود قد تساقط على الفراش تساقط أوراق الشجر.. وقلت له اكتب فالقلم لحامل القلم طب ودواء، فانتهرتني زوجته الملتاعة ولما ابتعدت عنا همس قائلا: «سوف أكتب»..

وكتب وهو يعرف أن له قدماً في القبر وقدماً في الفانية.. فإذا به وهو مريض صلب القلم.. فلا المرض أخذ من وهج روحه.. ولا العلة نالت من اقتناعه بمواقفه.

---

(١) المصور ٢ يوليو ١٩٧٦

سألني عنه أحمد رامي.. رفيقه وحبيبه.. ولما أجبته مطمئناً سالت دموع رامي وقال: أنا أعلم ما به.. وأنت تخدعني..

وأنا لم أر أليفين غريدين كرامي وصالح.. أطال الله في عمر الأول، وقيض من يجمع شعر لياليهما العذاب، وأخبار صبواتهما وجولاتهما بين الغيد والأحباب..

وكان صالح لا يستقر على حال.. لا يهدأ على إقامة ولا يستمر في ترحال، كان يأخذ الحياة طولاً وعرضاً.. ويذرعها حباً وحرباً فتعجب كيف يلتقي كيوبيد ومارس رمز الحرب في شاعر مع ما بين الاثنين من تضارب الخصال، ولكن سره هو أنه يخلص إلى ما يعتنق، وهو بعمر الخيام في شاعريته صنو وشبيه.. قد ذهبت وراءه إلى سان فرانسيسكو فوجدته قد ترك عند «مرديكيان» ملك الارمن وصاحب ملهى عمر الخيام قصيدته التي يقول فيها:

ليلة في سان فرانسيسكو نهبناها اختلاسا
في رواق عمر الخيام أرساه أساسا
ودعا فيه من الندل الذي يرضي نواسا
وجلا فيه من النقل الذي طاب غراسا
ومن «اليكور» ابريزاً وياقوتاً وماسا
ومن الأنغام والأضواء أبهاها انعكاسا

ومثل عمر الخيام تراه صوفياً ناسكاً يقول أروع شعره إذا نظر إلى السماء.. فيقول شاعرنا الراحل:

لوجهك أنت أحب الحياه
لأنك أنت وهبت الحياه
أحبك في نفحات الزهور
وشدو الطيور وهمس المياه
وفي كل نور يضيء العيون
وفي الابتسامات فوق الشفاه
وفي كل نجوى لذات الإله
يبوح به الراكع الساجد
وفي كل ما حولنا آية
«تدل على أنك الواحد»

وهو شاعر الحب عصرياً متفوقاً متدفقاً، تعينه على الشاعرية سلاسة وعذوبة تضعه بين شعراء الحب في موضع مرموق.. استمع إليه:

قولي لهم وأعلني: أحبه يحسبني
أما ترون حبنا في خلجات الأعين؟
وتسمعون همسنا بالشجو والتحنن؟
وتشهدون بوحنا كصلوات المؤمن؟
وتعلمون أن بالحب الحياة تغتني

أمـــــا ترون أنه.. أمـــــا ترون أننى

أحـــــــبـــــــه يحـــــــبنى؟

وبعد يا صالح.. فعشرة اثنين وعشرين عاماً لا يطويها موت ينتقيك من بيننا، صديق وزميل.. وأنت بأعماقنا وقلوبنا وتسرى الدم لا تموت..

ولن يموت عند الملايين من أسعدها شاعراً وكاتباً.. وسيبقى خالداً بكل كتاب عليه اسمه، وكل قصيدة من خياله ورسمه.. وكل نفحة حب أهداها، وكل بسمة على شفاه وضعها..

★★★

وبعد، فقد مضت رحلة صالح جودت مع الحب والمحبة: حب مصر، وحب العروبة وحب الإنسانية، وحب الطبيعة، وحب المرأة إلى غايتها وظل يعزف لنا على قيثاره أجمل أغنيات الحب والجمال وظل يغرد لنا أشجى أغاريده حتى آخر نسمة فى حياته..

رحل عن دنيانا صالح جودت البلبل الغريد الذى ملأ حياتنا بالحب والبهجة والجدل والوفاء، رحل قيثارة مصر الذى عزف لنا أصدق أناشيد الحب والوفاء لمصر تاريخا وحضارة ومكانة وعلى حد تعبير الباحث اللبنانى فوزى عطوى فانه لم نر شاعراً من شعراء الوطنية لم يتدله فى حب

وطنه كما تدله صالح جودت في حب مصر: فقد أحبها أرضاً وسماءً، أحبها نسماً وتراباً، أحبها نيلاً ونخيلاً، أحبها فرعونية وعربية، ووزع بالقسطاس المستقيم هواه على مدنها وأريافها، واستحضر تاريخها وأمجادها، وبكلمة مختصرة كان صالح جودت شاعر مصر الواله الذائب في كيانها ووجدانها، المروج لأحلامها وطموحاتها، الثائر لأشجانها وأحزانها الغاضب على كل حاقد مشوه لحضارتها وحرية شعبها، وكرامة استقلالها، وقد عزف في حبها أناشيد الحب والعشق النادر.. وستظل أناشيده سيمفونية حب وانتماء ووفاء لمصر الخالدة على مدى الأزمان وسيظل في أعماق كل مصري أصيل أناشيد صالح جودت «قيثارة مصر» الخالدة

الفهرس

صفحة

محمد رضوان



* ولد محمد محمود رضوان بمدينة الجمالية -محافظة الدقهلية بمصر في ١٥ سبتمبر ١٩٤٨ م.

* حاصل على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٧١ م.

* كاتب صحفي بدار الهلال -- عضو نقابة الصحفيين - عضو اتحاد كتاب مصر (منذ مارس ١٩٧٣).

* من الأدباء والنقاد الذين تناولوا مؤلفاته بالدراسة والنقد والتحليل (صالح جودت -أنيس منصور -أحمد عبدالمجيد -عبدالعليم القباني -د.مقداد يالجن -كمال نشأت -فاروق شوشة -محمد إبراهيم أبوسنة - د. يوسف نوفل - د. حسن فتح الباب - د. ماهر شفيق فريد).

* له خبرة في الصحافة الأدبية والسياسية، حيث عمل في سلطنة عمان رئيساً لتحرير مجلة السراج الأدبية (١٩٧٦)، ومديراً لتحرير مجلة «النهضة» السياسية (١٩٨٢)، ويعمل حالياً مستشاراً للتحرير بمجلة الهلال بالقاهرة.

* ابتدع لنفسه منهجاً أدبياً في كتابة السير سماه «المنهج الوجداني» يجمع بين الموضوعية والعاطفية، بين التحليل الأدبي النفسي وذاتية الكاتب وذوقه الأدبي

هذا الكتاب

يعد الشاعر صالح جودت (١٩٠٨-١٩٧٦) أحد أبرز شعراء الوجدان الذين أفرزتهم جماعة أبوللو حيث يشكل مع علي محمود طه وابراهيم ناجي والهمشري وأحمد فتحي وحسن كامل الصيرفي التيار الوجداني الرومانسي المجدد في شكل القصيدة ومضمونها.

وقد امتدت رحلة الشاعر صالح جودت لأكثر من أربعة عقود قدم فيها ستة دواوين شعرية لكن منذ رحيله أسدلت علي سيرته وشعره ستارة من النسيان والتجاهل المتعمد نظراً لمواقفه الأدبية والسياسية الصريحة والتي أدخلته في العديد من المعارك النارية مع أدباء ونقاد عصره.

ويأتي هذا الكتاب للأديب الناقد محمد رضوان بمثابة إعادة اعتبار لهذا الشاعر المجدد والذي يلقي الضوء على حياة صالح جودت وشعره الذي المجهول مع التركيز على وطنية هذا الشاعر الذي أحب مصر حباً جارفا رغم أرومته التركية فغنى لها أبدع أغاريد الحب والوفاء والفداء ومثل مصر في العديد من المهرجانات الأدبية في شتى أنحاء الوطن العربي حتى حق للمؤلف أن يطلق عليه لقب «قيثارة مصر» الذي عزف على قيثارتها أجمل الأناشيد التي ستبقى على مر الزمان أنشودة للخلود في محراب مصر المحروسة.

روايات مصرية للجيب

إنها بالفعل شيء ملائكي رائع



المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع 10 ، 16 ش كامل صدقي الفجالة ،
4 ش الإسحاقي بمنشية البكري روكسي مصر الجديدة - القاهرة - ت : 22586197 - 24677371 - 24677138
فاكس - 202/24677188 ج.م.ع . 4 ش بدوي محرم بك - الإسكندرية ت : 03/4970840 - 03/4970850